مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين ،سيّدنا محمد الأمين و على آله وصحبه، ومن ولاه إلى يوم الدين و بعد :

يُعدّ موضوع الاغتراب من المواضيع الهامة التي نالت حيزا واسعا في الدراسات الأدبية الغربية والعربية على حد سواء ؛ فظاهرة الاغتراب لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له ، ولذلك نلاحظ انعكاسها في الأعمال الأدبية و في الشعر تحديدا ؛ لما يحمله من خصوصية ؛ إذ أنّه يظل إجمالا ترجمانا للإحساس والعواطف والأفكار، وميدانا رحبا لهواجس الإنسان ، وتعبيرا أصيلا عن خلجات النفوس ، كما أنّه يبقى أكثر قدرة من النثر على عكس تجارب الشاعر الحزينة والمؤلمة بشكل صاف .

ولأنّ الشعر كان ولايزال وسيبقى تجسيدا لاستجابة إنسانية لرؤية العالم ، فقد كان أكثر صلة بظاهرة الاغتراب وأفصح في التعبير عنها وأدق في تصويرها. والدارس للشعر العربي الحديث عامّة ، والشعر الجزائري الحديث بخاصّة يصادف فيضا من مشاعر الاغتراب بمختلف أنماطه، وهو ما يوضّحه الإطلاع السريع على الإنتاج الشعري للشعراء الجزائريين في الفترة (1980 – 1925) ؛ وعليه قام هذا البحث كمحاولة لإماطة اللثام عن ظاهرة الاغتراب في شعرنا الجزائري الحديث ، إذ إن المتتبّع للدراسات في هذا الميدان يلاحظ قلّتها إن لم نقل ندرتها ، حيث انصب اهتمام معظم الباحثين في الغالب على دراسة اتجاهات الشعر الجزائري و تطوّر الحركة الشعرية في الجزائر.

وقد انطلق البحث من إشكالية رئيسية تمحورت حول مجموعة من التساؤلات تمثّلت فيمايلي :

- هل كان ظهور الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث نتيجة لظروف وعوامل محلّية عايشها الشاعر الجزائري في العصر الحديث ؟ أم كان نتيجة لتأثّره بالإنتاج الشعري في المشرق العربي ؟
- ما هي أنماط الاغتراب التي برزت في القصيدة الجزائرية الحديثة ؟

❖ كيف تجلّت ظاهرة الاغتراب في القصيدة الجزائرية الحديثة من خلال شكلها الفني ؟.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أدرسه في أربعة فصول؛ حيث خصّصت الفصل الأوّل : للتعريف بماهية الاغتراب و مفهومه في اللّغة العربية،و اللّغات الأجنبية ثمّ تطّرقت إلى مفهومه الاصطلاحي وذلك في الفكر الغربي والعربي، وفي علمي النفس والاجتماع بالإضافة إلى علاقته بالأدب وذلك في الرواية والشعر.

أمّا الفصل الثاني الموسوم :تجلّيات الاغتراب في الشعر العربي القديم و الحديث فقد حاولت من خلاله تتبّع جذور الظاهرة في الشعر العربي ،قديمه و حديثه فتناولت فيه أنماط الاغتراب التي برزت في القصيدة العربية ،من خلال استنطاق بعض النصوص الشعرية بداية من العصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلامي و العصر الأموي و العصر العباسي ، وانتهاء بالعصر الحديث ؛ أين وقفت على الظاهرة في الشعر المهجري و شعر جماعتي الديوان و أبولو ، و الشعر الحر مقتصرة على شعراء روّاد.

ثم تطرّقت في الفصل الثالث للقضايا الموضوعية لشعر الاغتراب في الجزائر و ذلك من خلال الكشف عن أهمّ أنماط الاغتراب التي ظهرت في القصيدة الحديثة والتي تمثّلت في : الاغتراب السياسي، و الاغتراب الفكري والنفسي ، والاغتراب المكاني؛ مع الكشف عن الأسباب و الظروف التي أدّت إلى ظهور هذه الأنماط .

في حين خصّصت الفصل الرابع و الأخير للقضايا الفنية في شعر الاغتراب؛ حيث حاولت أن أبيّن كيفية توظيف الشاعر الجزائري لأدواته الفنّية في خلق النص وتجسيد الرؤية وذلك من خلال المعجم الشعري و الصورة الشعرية و الموسيقى الشعرية.

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على المنهج الوصفي واستعنت بالمنهج النفسي ؛ حيث كان هذان المنهجان وسيلتي في استقراء النصوص الشعرية و الوقوف عند مضامينها و خصائصها الفنّية .

وقد اعتمدت في الدراسة مجموعة من المصادر و المراجع تنوّعت بين الأدبية و السياسية ، و النفسية و الاجتماعية على اعتبار أنّ الاغتراب موضوع متداخل بين

علوم شتّى ، فكانت هذه المراجع خير معين لي و زوّدتني بالمادة اللاّزمة للبحث وأذكر منها : الدواوين الشعرية ، كتاب "التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي" لعبد القـــادر عبد الحميد زيدان ، و كتاب "الاغتراب في الشعر الأموي" لفاطمة حميد السويدي ، و كتاب" الشعر العربي القديم "لكاميليا عبد الفتاح ، بالإضـــافة إلى كتـــاب "الشـــعر الجزائري الحديث (1925ـــ 1975)" لمحمد ناصر، وكتاب " الغربة و الحنين في الشـــعر الجزائري (1945ـــ 1964)" لعمر بوقرورة ،وكتاب "حمّود رمضان" لصالح خرفي .

أمّا عن صعوبات البحث فترجع أساسا إلى طبيعة ظاهرة الاغتراب المعقدة ،علاوة على تعذّر الاطلاع على المتن الشعري كلّه للفترة المحددة للدراسة.

و ختاما أُقرّ بالفضل لأصحابه فأسجّل شكري و امتنـــاني لأســـتاذي المشـــرف الأستاذ الدكتور محمد مهداوي على تفضّله بالإشراف ، وإكباري لأساتذتي الكرام على تجشّمهم عناء القراءة و التقويم و التوجيه ، كما أتمنى أن أكون قد وُفقت ولو إلى حـــدّ ما في تقديم إضافة للموروث الأدبي الجزائري .

و الله أرجو التوفيق و السداد

أمينة بوعلامات

تلمسان في : الأربعاء 06 رجب 1432 ه

الموافق ل : 08 جوان 2011 م

الفصل الأول: ماهية الاغتراب.

يُعدُّ الاغتراب سمة بارزة في حياتنا المعاصرة، وهو من أكثر المواضيع التي يطرح تناولها إشكالات عدة،أبرزها الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح، فعلى الرغم من أن ظهوره ليس حديثا، فجذوره ضاربة في القِدم؛ حيث تعرضت لدراسته مختلف العلوم كالفلسفة وعلمي النفس والاجتماع ،ومؤخرا كان له حضورا في الفنون والآداب، إلا أننا لا نكاد نعثر على تعريف موحد له، يتفق الباحثون عليه مما يدل على تعدد معانيه واتساعها والتباين الكبير في توظيفها، ولهذا خُصِّص الفصل الأول من هذا البحث للوقوف على هذه المعاني في هذه العلوم المشار إليها أعلاه،بالإضافة إلى المعاني التي يأخذها في اللغة العربية وفي بعض اللغات الأجنبية حتى يتسنى لي لاحقا إدراك معانيه في الشعر الجزائري الحديث.

أولا : الاغتراب لغة:

أ – في اللغة العربية:

يرد لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة المكانية أي البعد عن الوطن فتجد في لسان العرب لابن منظور في مادة غَرُبَ[1]: الغُربة: النَّوى والبُعد، والتغريبُ: النفي عن البلد، والغُربة والغُروب النّزوح عن الوطن ومنه الفعل اغترب، يغتربُ أي نزح عن الوطن ونأى عنه، قال زهير بن أبي سلمى:

ومن يغتربْ يحْسَبُ عدُوًّا صديقه ومن لا يظلم الناس يُظلم[2]

ويقول الإمام الشافعي (150 هـ - 204 هـ):

ما في المُقام لذي عقلٍ وذي أدبٍ من راحةٍ فدعِ الأوطانَ واغترِبِ[3]

ويقول أيضا:

---

[1] – المجلد الأول ،بيروت، لبنان، ط 2 ،1994 ، ص: 638.

[2] – الديوان،اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2 ،2005 ، ، ص: 70.

[3] – الديوان، اعتنى به و شرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2005، ط 2، ص: 27.

تغرَّب عن الأوطانِ في طلبِ العلاَ وسافرْ فَفي الأسفارِ خمسُ فوائدِ[1]

والمعنى نفسه يتكرّر في المعجم المحيط: الغربة بالضم: التروح عن الوطن وأيضا الاغتراب والتغرّب، ونجد أيضا غرَّبَ: غاب، كغرَّب وبَعُدَ واغترب تزوّج في غير الأقارب[2]، وفي الحديث النبوي الشريف: "اغتربوا لا تُضْوُوا"[3].

أي لا يتزوج الرجل القرابة فيجيء ولده ضاويا[F]. وفي المعجم الوسيط: غرَّب في الأرض أمعن فيها فسافر سفرا بعيدا واغترب فُلانٌ نزح عن الوطن وفلانُ تزوج في غير الأقارب والغريب الرجل ليس من القوم ولا من البلد (ج) غراء والغَرْبَةُ: النّوى والبُعد[4]. ويرد هذا المعنى في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس، الغُربَة: البُعد عن الوطن ويُقال غَرَبَتِ الدَّارُ ومن هذا الباب غُرُوب الشمس، كأنه بُعدها عن وجه الأرض وشأوٌ مغرَّبٌ أي بعيد ويقولون هل مِن مُغَرّبةِ خبر يُريدون خبرا أتى من بُعدٍ[5]، ومن خلال تتبّعي للمصطلح في المعاجم العربية لاحظتُ تعدّد المعاني التي يتّسع لها لفظ الاغتراب،ولكني اخترت منها ماكان له صلة مباشرة ببحثي وهو البعد عن الوطن والانفصال عن الآخرين جسدّيا سواء أكان ذلك عن اختياره ورضا أم عن طريق الإجبار بالنفي والإبعاد القسري،وهذا ما يُمثل الجانب المادّي من الاغتراب؛ حيث اقتصرت أغلب المعاجم عليه ،ولم يرد في أيّ منها جانبه المعنوي وهو الاغتراب النفسي سواء عن الذات أو عن

---

[1] – الديوان ، ص: 49.

[2] – مجد الدين الفيروزآبادي، "المعجم المحيط"، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المركشيلي، مادة (غ ر ب)،دار إحياء التراث العربي، الجزء الأول، بيروت، ط 1،1997، ص: 206 و 207.

[3] – الجوهري، "الصحاح"، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956، ص: 191.

[F] – الهزيل والضعيف.

[4] – إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر، "المعجم الوسيط"، دار العودة، اسطنبول، 1989، ص: 647 و 648.

[5] – تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الرابع، دار الجيل، بيروت، ط 1،1991، ص: 421.

الآخرين في المجتمع بمعنى "الاغتراب عن المبادئ والقيم والأفكار والتقاليد والأعراف التي يتمسك بها الناس في المجتمع"[1].

وهو أيضا جانب من جوانب دراستي للنصوص الشعرية ونجد الاغتراب بهذا المعنى عند الأصبهاني في قوله "فقد الأحبة في الوطن غربة"[2] ،كما نجده في قول أبي حيان التوحيدي حيث يقول: "أغربُ الغرباء مَن صار غريبا في وطنه"[3] ومن خلال هذين المقولتين ندرك أن البعد عن الوطن ليس شرطا للاغتراب، فقد يكون الإنسان داخل وطنه وبين أهله وخلاّنه ولكنّه يشعر بالاغتراب عنهم ؛وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل النفسية المتعلّقة بالتركيب الخاصّ لشخصيته، ممّا يجعله غير قادر على التواؤم مع ما يسود في مجتمعه من قيم؛ فالاغتراب النفسي هو أكبر اغتراب يعيشه الإنسان؛ لأنّه قد يصل إلى درجة إحساسه بغربته عن نفسه وذاته، وتجدر الإشارة إلى أنّي ضمّنت تحت مصطلح الاغتراب النفسي جميع أنواع الاغتراب الأخرى التي لا تتعلّق بالغربة المكانية (الاجتماعي، الروحي، الوجودي) باعتبار أنّ مصدرها الأساس هو النفس البشرية.

ب – في اللغات الأجنبية:

سأتطّرق إلى مفهوم الاغتراب في كلّ من اللّغتين الفرنسية والانجليزية بالإضافة إلى اللّغة الألمانية على اعتبار أنّ أهمّ الدراسات التي اهتمّت بهذه الظاهرة جاءت بهذه اللّغات.

تعود أصول كلمة (Aliénation) الفرنسية وكلمة (Alienation) الانجليزية اللتان تدلّان على الاغتراب إلى الكلمة اللاتينية (Alenatio)، وهي اسم يستمِّد معناه من الفعل اللاتيني (Alienare) بمعنى ينقل أو يحوّل أو يسلّم أو يبتعد، وهذا الفعل بدوره مأخوذ من

---

[1] – بنعلي قريش، "الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)"، رسالة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2006-2007، ص: 15.

[2] – أبو الفتح الأصبهاني، "أدب الغرباء"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط 1، 1972 ص: 32

[3] –. أبو حيان التوحيدي، "الإشارات الإلهية"، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار العلم ، ط 1، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1981، ص: 81.

كلمة لاتينية أخرى هي (Alienus) التي تعني الانتماء إلى الآخر، وهي مشتقّة من (Alius) بمعنى الآخر[1].

كما أنّ أحد استخدامات هذه الكلمة في اللّغات المشار إليها يرتبط بما يتعلّق بالملكية ؛أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، فهذا المعنى اللّغوي يرد في معجم (Quillet) للّغة الفرنسية: "اغترب واستلب بمعنى التنازل عن ملكية"[2] .إذًا الاغتراب بهذا المعنى يُقصد به "نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر أو التخلّي (مجانا أو بالبيع أوالمقايضة) عن ملكية شيء ما وتحويله لآخر "غيري"، كأن أتخلّى لغيري عن منزل أو سيارة أو قطعة أرض،أو غير ذلك"[3]. وورد المعنى ذاته في اللغة الانجليزية المتداولة في العصور الوسطى، "حيث كانت تفيد قيام شخص ما باغتبار أو تغريب أو تجيير شيء يمتلكه، كالأراضي والمنازل إلى الغير"[4]، ومن هنا اكتسبت الكلمة بعد الانفصال أو الغربة والاضمحلال في الآخر، أي في غير الذات،فالملكية جزء من الذات الإنسانية وعندما تنسلخ عنها تفقد الذات شيئا من كيانها وتختلف عما كانت عليه من قبل.

كما أنّها تأخذ معنى الاضطراب العقلي حيث إنّ لفظ "Aliene" يعني الشخص المختّل أو المعتوه الذي فقد القدرة على إدراك ماهيته "فما دام الشخص مختلاّ عقليا فهو مغترب عن ذاته وعن العالم الخارجي"[5].

و يمكن استخدام لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر، حيث إنّ فعل (Alienare) يفيد معنى "التسبب في فتور علاقة ودّية مع شخص آخر أو في حدوث انفصال"[6] وبالتالي يصبح كل منهما غريبا عن الآخر ،أي إنّه يعيش حالة اغتراب.

ويوجد تعريف آخر للاغتراب في معجم لاروس وهو: "الحالة التي تنتج عن الترك

[1] – يُنظر: سهير عبد السلام، "مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز"، دار المعرفة الجامعية، الأزايطة، 2003، ص: 21.

[2]- Dictionnaire Quillet de la langue française, Tome1, libraire Aristide, Quillet, Paris, 1975, p: 171.

[3] – سالم بيطار، "اغتراب الإنسان وحريته"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص: 26.

[4] – نفسه، ص: 27.

[5] – إبراهيم محمود، "حول الاغتراب الكافكاوي ورواية المسخ نموذجا"، عالم الفكر، مجلد 15، عدد 02، 1984، ص: 80.

[6] – نفسه، ص: 79.

أو المنع من حق طبيعي: قبول استلاب حرية الإنسان"[1]؛ أي إنّ الشخص يصبح وبفعل ظروف اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية عبدا للأشياء فاقدا لحريته، وبالتالي يعامل نفسه كشيء، وعليه ، فإنّ الإنسان المغترب يعاني من نقص معيّن في شخصيته، إما في عقله أو في حقوقه مما يجعله مُستلَبا.

وفي اللّغة الألمانية لم ترد لفظة الاغتراب بالمعنى السابق أي: النقل القانوني للملكية ولكن وردت .بمعنى: "النقل بواسطة السّطو والسلب والأخذ عنوة"[2] كما أنّ كلمة الاغتراب ترتبط بالغربة (entFremung)،وهذا الاصطلاح يعني التغريب (Vertremdung) أو السطو أو السلب،وهو يضع اللفظ الألماني (Fremd) مُقابِلَ اللفظ اللاتيني (Alienus) واللفظ الانجليزي (alien) ؛حيث يعني الانتماء إلى آخر أو التعلق به[3].

.بمعنى أن أنتمي لغيري وأتعلق به وأُصبح رهن إرادته، فالمصطلح الألماني يدّل في معناه المباشر قبل توظيفه في مجال الفلسفة على العملية التي يصبح فيها الشخص غريبا، والمعنى في اللّغة الألمانية قريب من المعنى في اللغة العربية، كما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة للفظة اغتراب في القواميس الاسبانية، وهي غالبا تصبّ في معنى "الانتقال المكاني والتروح عن الوطن، وكذا التي تدل على معنى عدم التوافق والانسجام مع اللحظة الآنية، ففي قاموس الأكاديمية الملكية (Dictionario de la real accademio)" ورد لفظ الغربة (escilio) .بمعنى البعد عن الوطن،وأنّ الغريب (esciliodo) هو المُبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام،وكذلك من معانيها النفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التي يعيش فيها الإنسان[4]، وبالتالي فإن القواميس الأجنبية تكاد تجمع على ثلاثة مَعان

[1] -Grand Larousse de la langue française, volume1, libraire Larousse, paris, 1971, p: 118.

[2] – ريتشارد شاخت، "الاغتراب"، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص: 64.

[3] – يُنظر: المرجع نفسه، ص: 63.

[4] – يُنظر: أشرف علي دعدو، "الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة"، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002، ص: 19-20.

للاغتراب: الأول: بمعنى نقل الملكية،والثاني: الاضطراب العقلي، والأخير: الغربة بين البشر، فإذا قارنا بين المعنى اللغوي في اللّغة العربية والمعنى اللغوي في اللّغات الأجنبية نجد أنّ العربية اقتصرت على الجانب المادّي له (الغربة المكانية) إلّا إذا لاحظنا في لسان العرب (الذهاب والتنحي عن الناس)، ولكنها لا تعبّر مباشرة عن معنى الاغتراب النفسي في حين إنّ لفظ الاغتراب في المعاجم الأجنبية ينطوي على هذا المعنى إضافة إلى معاني أخرى. وبعد هذه الوقفة مع المعنى اللغوي للاغتراب سأتطّرق لمعناه الاصطلاحي.

ثانيا : الاغتراب اصطلاحا:

يُعدّ الفكر الغربي سبَّاقا إلى بحث ظاهرة الاغتراب وتتبّع أصولها ومنابعها الأولى، و لذلك ارتأيت أن تكون الانطلاقة منه ،لكنّ ذلك لا ينفي اهتمام الفكر العربي هو الآخر بهذه الظاهرة ؛حيث نجد صداها في كتابات العديد من المفكرين والفلاسفة العرب، والمعنى الديني[1] للاغتراب هو الأصل؛ حيث نجده على علاقة مع بقيّة المعاني التي يتّخذها الاغتراب في البيئات الأخرى للعلوم الإنسانية المختلفة وحتى يتسنّى لي إدراك هذه المعاني سأحاول تتبّع تطور الدلالات التي تقمصّها المصطلح عند مختلف المفكّرين والفلاسفة سواء في الفكر الغربي أو الفكر العربي،كما سأقف عند آرائهم وإسهاماتهم وكتاباتهم عن الاغتراب.

أ – في الفكر الغربي:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وُجدت بوجود الإنسان، وكلّما تعقّدت العوامل والظروف الباعثة عليها كلّما زادت تشابُكا واستعصت على الفهم،فهي تختلف في درجاتها باختلاف العصور وبمرور الزمن، والإنسان كلّما أدرك أنه عاجز على الانسجام

[1] – الاغتراب في البيئة الدينية هو انفصام الإنسان عن نفسه إثر تحوله إلى الكون أو إلى النظام والمؤسسات وسائر الماديات الأخرى التي تلفته عن عالمه الداخلي. ينظر: كاميليا عبد الفتاح، "الشعر العربي القديم"، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص: 05.

وبدأ اغتراب الإنسان بنزول الإنسان إلى الأرض واغترابه عن وطنه الأصلي الفردوسي ولذلك ارتبط معناه بالخطيئة وقد استخدم في العصور الوسطى لتعريف العلاقة بين الإنسان والله واستعمله كالفن ليشير للموت الروحي الذي يعني اغتراب روح الإنسان عن الله، يُنظر: شتا السيد علي، "الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية"، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 1997، ص: 20.

مع محيطه والتأقلم مع ما يسود فيه من قيم وأفكار اغترب عنه وتناقض مع مفاهيمه ومتطلّباته، وهذا يُدخله في حالة صراع مع الآخرين فيترسّخ شعوره بعدم الانتماء إليهم،فما هي جذور هذا الاغتراب في الفكر الغربي؟

تشير بعض الدراسات إلى أن الجذور الأولى للاغتراب هي جذور يونانية ويردّه الكثير من مؤرخي الفلسفة لكتابات أفلاطون فهو أوّل من أسَّس لفكرة الاغتراب بوعي؛ حيث يعدّ "فكره بذاته أوّل اغتراب واع، عندما قسّم العالم إلى مطلق ووجود، والمطلق هو عالم المُثل، والوجود هو عالم الظلال والصور المشوشّة، ثم كانت جمهوريته تجسيدا لهذه الفكرة الاغترابية"[1].

والمثال هو ما كان أفلاطون يطمح إلى تحقيقه، أو هو الصورة التي كان يُريد لمجتمعه أن يكون عليها؛ لأنّه لم يكن يشعر بالرضا عليه، "فقد كان أفلاطون مغتربا بالنسبة لأخلاقيات عصره ومجتمعه [ ] وما اعتبار الواقع ظلاّ لفكرة كانت تتمحور في ذهنه طوال حياته سُمِيّت بالمثال إلا تأكيدا على وجود الاغتراب"[2].

وعبارة سقراط الشهيرة "اعرف نفسك" نموذج حقيقي لاغتراب الإنسان عن ذاته، فهو بعدم إدراكه لماهيته ومعرفته لنفسه ينفصل عنها ويصبح غريبا ضائعا، ولاحقا وَجَدت فكرة الاغتراب صداها في أوروبا خلال القرنين الثامن عشرة والتاسعة عشرة لدى مُنظِّري فكرة العقد الاجتماعي، ولعل جون جاك روسو هو أوّل من استخدم كلمة الغربة بمعناها السياسي "عندما تحدّث عن اغتراب حقوق الفرد الطبيعية لصالح المجتمع"[3]، فالفرد عندما يتخلى لأفراد آخرين عن حقوقه ودوره في ممارسته للسيادة الخاصة به، فإنه بذلك يأخذ طريقه إلى العزلة داخل وطنه، ومن هنا يأتي الشعور بالعزلة[4] ؛التي هي مظهر أساسي من مظاهر الاغتراب، ولكن في نظر روسو فإنّ هذا النوع من

---

[1] – عادل الألوسي، "الاغتراب والعبقرية"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ،ط 1 ، 2003 ، ص: 12.

[2] – إبراهيم محمود، "حول الاغتراب الكافكاوي"، مجلة عالم الفكر، ص: 82.

[3] – شتا السيد علي، "الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية"، ص: 32.

[4] – يُنظر: إرنست فيتشر، "ضرورة الفن"، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة العامة، القاهرة، 1971، ص: 105.

الاغتراب إيجابي؛ لأنّه يشتمل على تضحية الفرد في سبيل تحقيق هدف نبيل يتمثّل في قيام الدولة والمجتمع؛ولن يتأتّى ذلك إلاّ عن طريق تخلّيه عن ممارسة السيادة الخاصة به (كما كان عليه الأمر في حالة الفطرة)؛ حيث كان كل فرد مسئولا عن حكم نفسه بنفسه،ولكن "بموجب هذه النظرية تغترب الحقوق الطبيعية للفرد عنه وتنتقل إلى الدولة، ويغدو الإنسان الذي كان حرّا مستقلا تابعا للدولة، بل وعبدا لها"[1].

أما النوع الآخر من الاغتراب فهو سلبي ومختلف تماما عن المفهوم السياسي للاغتراب،وهو يتعلّق بكتابات روسو في "سياق نقده للحضارة والمجتمع الغربيين، فهو يرى أن الحضارة الغربية سلبت الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية والنماذج السلوكية التي أنشأتها"[2].

فالحضارة في اعتقاده عامل من عوامل إفساد الإنسان وفصله عن الطبيعة التي كانت تُوفِّر له الانسجام بين عالمه الداخلي والخارجي، وبلحاقه بهذا التطور فَقَدَ انسجامه و توافقه مع الطبيعة،الأمر الذي أدّى إلى تفاقم غربته، فـ"التطور الذي يصحب الإنسان في حالة التمدين والتحضير، وهو يسير به نحو اكتمال المجتمع، يسير به في الوقت ذاته نحو إفساده. بمعنى أن هذا التطور يتميّز بالتناقض الحاد الذي يوحّده بين المجتمع في حالة اكتماله وبين التروع الإنساني في حالة اغترابه"[3].

ويكون قهر الاغتراب بالنسبة له عن طريق العودة إلى المحبّة والتعاطف الإنساني اللذين كانت تتسم بهما حياة الفطرة (الطبيعة)،فروسو إذا ينظر إلى الاغتراب من وجهتين: سياسية، وهي الجانب الايجابي منه، مضافا إليها الوجهة الثانية المتمثّلة في الشقاق الذي يُحدثه التمدين بين الإنسان وبين المجتمع، وهو الوجه السلبي للاغتراب، ولعلّ "الجذور الاجتماعية لهذا المفهوم إنما تنتمي إلى طبيعة حياة روسو، فمن المعروف أن

---

[1] – سميرة سلامي، "الاغتراب في الشعر العباسي القرن 4 هـ"، دار الينابيع، دمشق، ط 1، 2000، ص: 24.

[2] – بنعلي قريش، "الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)"، ص: 17.

[3] – عبد القادر عبد الحميد زيدان، "التمرد والغربة في الشعر الجاهلي"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت، ص: 11.

روسو عاش غريبا بين البشر، وكان يشعر بأنه غريب في العالم؛ إذ أن معارضته للمجتمع وعدم رضوخه لمسلماته الفكرية والاجتماعية والسياسية جعلته يتمرّد وينعزل عن الناس وينطوي على نفسه"[1].

ومن خلال سيرة حياته يتبيّن لنا كيف أنّه كان محاربا من الجميع، ثم أخذ المفهوم مسارا آخر مع هيغل، "فقد كان العصر الذي عاشه هيغل لا يخلو من تأزّم وتمزّق، ودائما ما تكون الأزمات التاريخية وليدة توتّر وتناقض يرتبط بالعلاقة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه"[2]. ويرى إيريك فروم أن هيغل هو أوّل من صاغ مفهوم الاغتراب؛ حيث يحدّده هذا الأخير الاغتراب بأنّه:

1- غربة الإنسان عن نفسه، أي الفرد مغتربا عن ذاته، وذلك الاغتراب ناجم عن فقدان الكليّة وتكون النتيجة تفريق النفس عن الطبيعة الجوهرية.

2- غربة البنية الاجتماعية: وهي الوجه الثاني لغربة الفرد وانفصاله[3]. فالاغتراب الأول مردُّه إلى التصادم بين الطبيعة الجوهرية للإنسان وبين وضعه العام ،أمّا الثاني فناجم عن صلة الفرد بالمجتمع أو بالبنية الاجتماعية المحيطة به (الدولة أو المجتمع ككل) ويرى هيغل أن الإنسان حتى يقهر الاغتراب عليه أن يندمج في هذه البنية الاجتماعية، وذلك باغترابه عن ذاته والانفصال عنها، وبالتالي يتسنى له أن ينسجم مع الكلّية ويتوافق معها، وعليه "يحدث اتحاد الفرد بالجوهر الاجتماعي نتيجة لتنازله عن فرديته"[4]؛ أي إنّه يقهر الاغتراب بالاغتراب "وقد وصل الاغتراب إلى ازدواجية دلالة المصطلح ، فهو يرى فيه

[1] – زامل صالح، "تحول المثال"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص: 23.

[2] – عبد القادر عبد الحميد زيدان، "التمرد والغربة في الشعر الجاهلي"، ص: 12.

[3] – عزيز السيد جاسم، "تأملات في الحضارة والاغتراب"، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص: 43.

[4] – قيس النوري، "الاغتراب اصطلاحا"، مجلة عالم الفكر، عدد خاص عن الاغتراب، العدد 1، سنة 1979، ص: 50.

معنيين: معنى إيجابي، ومعنى سلبي[1]؛و يتمثّل المعنى الأوّل في تخارج الروح وتجلّيها على نحو إبداعي، أمّا الثاني فيتمثّل في عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات[2].

وبعد هيغل حُصر مفهوم الاغتراب في جانبه السلبي فماركس الذي يَعدّ الاغتراب الاقتصادي أصلا لجميع أنواع الاغتراب الأخرى،ويتخّذ المفهوم عنده معنى أعمق وهو "الأكثر شيوعا وتأثيرا في الفكر المعاصر من أي مفهوم آخر، وربما يعود ذلك إلى بساطة ما يطرحه، و إلى ارتباطه بالواقع المادّي المباشر، خاصّة وأنّه يوظّفه في النواحي الاقتصادية"[3]، فقد تحدّث عن اغتراب واقعي ملموس، وجاءت أفكاره مستخلصه من التناقضات الحادّة بين الفرد وذاته، وبين الفرد وعمله ،وبين الفرد ومجتمعه، وهو يرى بأنّ الرأسماليّة جرّدت الفرد من إنسانيته وحوّلته إلى مجرّد سلعة حين أكدّ بأنّ العامل مُستغَّل، وأنّه مغترب في عمله في النظام الرأسمالي؛ حيث يصبح منتوجه غريبا عنه"[4].

فالاغتراب إذن نتيجة طبيعية لعملية الإنتاج ؛حيث يغترب الإنسان عمّا يقوم بصنعه، ويغترب عن كيانه وذاته ، ويفسر ذلك بأنّ العامل يفقد جوهره كإنسان حرّ واعي، فهو ينتج من أجل ربّ العمل بأجر زهيد، وعلى الرغم من أنّ الإنسان هو صاحب العمل الذي يُنتجه فهو يرتبط به إلاّ أنّه يصبح غريبا عنه لأنّه يذهب لشخص آخر يستفيد منه "فالإنتاج يصبح موضوعا غريبا بالنسبة لمنتجه ولا يشعر منتجه بأي

- – استخدم هيغل مصطلحين في اللغة الألمانية للدلالة على مفهوم الاغتراب فكلمة (entaeusserung) هي الخاصة بالمعنى الايجابي و (entfremdung) هي الخاصة بالمعنى السلبي.

[1] – يُنظر: صبار نور الدين، "الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية"، مجلة الموقف الأدبي، موقع اتحاد الكتاب العرب. www.awu-dam.org

[2] – يُنظر: فاطمة حميد السويدي، "الاغتراب في الشعر الأموي"، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص: 04.

[3] – سمير بركات، "الاغتراب بين ابن باجة وأبو حيان التوحيدي"، في: www.kotobarabia.com

[4] – قيس هادي أحمد، "الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيوز"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1980، ص: 97.

رابطة به، هذه العملية تُولِّد اغترابا شاملا بسبب آلية الاستغلال التي يتحكم بها رب العمل"[1].

ويعتقد ماركس أنّ قهر الاغتراب مرهون بزوال الملكية الخاصة، كما أنّه يُرجع ظهوره إلى الجوانب المادّية في الحياة (الاقتصاد) ويُهمل بواعثه المعنويّة (الثقافية والفكرية والدينية) التي هي روابط يتصل الفرد من خلالها مع الآخرين ومن تتبعنا لما قاله ماركس وحلله نجد أنّه يؤكّد على أمرين:

الأوّل: عندما يكون الإنسان في حالة العمل، وبخاصّة عندما يمارس هذا العمل في نطاق رأسمالي، فإنّه يكون دائما في حالة اغتراب عن قواه الإبداعية.

والأخر: شعوره بالغربة نتيجة لإحساسه بأنّ وجوده هو من أجل الإنتاج بدلا من أن يكون الإنتاج موجودا من أجله[2].

ومن خلال ما سبق تتوضّح أطروحة ماركس عن العامل المغترب على النحو التالي:

"كلما زاد نتاج العامل قلّ ما يستهلكه، وكلّما ازدادت القيم التي يخلقها، تدنّت قيمته، وكلّما ازداد كمال شكل ما ينتج زاد تشوّهه (العامل)، وكلّما ازداد الطابع الحضاري لما ينتج ازدادت همجيته، وكلما ازدادت القوة الكامنة في العمل أصبح العامل عاجزا، وكلّما توهجت الروح التي يودعها في العمل تقلّصت روحه وغدا عبدا للطبيعة"[3].

يُعدّ كل من ماركس وهيغل من أبرز المفكرين الغربيين الذين عالجوا موضوع الاغتراب ففي حين كانت معالجة هيغل له مجردة؛ أي إنّه ربطه بالعقل جاءت معالجة ماركس ملموسة حرّرت المفهوم من تجريدات هيغل، كما أنّ ماركس يعتقد عكس ما يعتقد هيغل بأنّ قهر الاغتراب يكون عن طريق الثورة ومحاربة المستغِلّين، لا عن طريق التخلّي عن الذات والتسليم والاتحاد بالبنية الاجتماعية.

---

[1] – إبراهيم محمود، "حول الاغتراب الكافكاوي ورواية المسخ نموذجا"، عالم الفكر ، ص: 83.

[2] – عبد القادر زيدان، "الغربة والتمرد في الشعر الجاهلي"، ص: 21.

[3] – عزيز السيد جاسم، "تأملات في الحضارة والاغتراب"، ص: 146.

وشهد المصطلح فيما بعد رواجا واستخداما كبيرين في الفلسفة الوجودية التي يشكّل موضوع الاغتراب فيها موضوعا خصبا تناوله أعلامها بالدراسة، وقد بدأت هذه الفلسفة بالنمو مع (كيركجارد) الذي كان يرى بأنّ الإنسان "مغترب عن ذاته وعما حوله واليأس صفة داخل نسيج وجوده، وقد رأى أنّ تجاوز الاغتراب يتمّ عن طريق الدين ثم تطورت هذه الفلسفة، وتفرّعت إلى شقّين، الشق الذي يمثّل الفلسفة الوجودية المتدّينة* والشق الذي يمثّل الفلسفة الوجودية الملحدة*[1].

وتختلف نظرة الفريقين لظاهرة الاغتراب؛ حيث إنّ الوجودية المتدينة تعتقد بأنّ تجاوز الاغتراب يكمن في التسليم بالدين المسيحي، في حين إن الوجودية الملحدة ترى بأنّ الاغتراب ميتافيزيقي الأصل، وأنّ الإنسان مهما حاول التخلّص منه وقهره فإنّه لن يُفلِح في ذلك ومن هذا المنطلق اختلفت الوجودية مع غيرها من العلوم والفلسفات الأخرى "ولعلّ الاختلاف الأساسي [ ] يكمن في أنّ الفلسفات والعلوم السابقة على الوجودية ترى إمكانية علاج الاغتراب؛ حيث رأى ماركس وعلماء النفس أن الاغتراب ظاهرة عرضية تنشأ في ظروف نفسية واجتماعية وفي أوضاع اقتصادية يمكن تجاوزها"[2] ، بتغيير هذه الظروف وباختلاف هذه الأوضاع، في حين ترى الوجودية عكس ذلك؛ لأنّ الاغتراب مرتبط بطبيعة خلق الحياة لا بجوهر الوجود العيني. والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الفلسفة يتمثل في أسبقية الوجود للماهية، حيث يرى جون بول سارتر (Jean Paul Sartre) "أنَّ الإنسان يوجد أوّلا وقبل كل شيء، ويواجه نفسه، وينخرط في العالم، ثم يعرف نفسه فيما بعد"[3].

---

* – أهم أعلامها: برديائيف وغبريال مارسيل وكاريسبرز وبوبر.

* – أهم روادها: هيدجر، سارتر، سيمون دي بوفوار، كامو.

[1] – إبراهيم محمود، "حول الاغتراب الكافكاوي ورواية المسخ نموذجا"، مجلة عالم الفكر، ص: 84.

[2] – يُنظر : كاميليا عبد الفتاح، "الشعر العربي القديم: دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب: أبو العلاء المعري"، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص: 10-11.

[3] – جون ماكوري، "الوجودية"، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للفنون والآداب والثقافة، الكويت، 1982، ص: 78.

وكان هذا القانون متحكّما في طريقة نظرتهم للكون والحياة يقول سارتر : "كل حيٍّ يولد بلا مبرِّر، ويستمر عن ضعف، ويموت مصادفة، وهكذا يكون الإنسان شهوة لا جدوى منها"[1].نستشف من هذه المقولة النظرة العدمية للفيلسوف الوجودي في فهمه لوجود الإنسان الضائع في هذه الحياة. وقد تتلمذ ساتر على يدي (هايدجر) وتأثّر بأفكاره؛ فهو ينظر إلى الوجود على أنه "ينبثق من العدم، والإنسان كائن مُلقى في العالم، ولاشيء أكيد في مصيره سوى الموت"[2]، ويُفسّر سارتر الاغتراب بانعدام الحرية الإنسانية؛ حيث أن الفرد يُحرم من ذاته الحقيقية ويغترب عنها بخضوعه لسيطرة الآخرين، بمعنى أنّ الفرد يكون مستلَبا ومجبرا على تقبُّل المعايير والقيم السائدة في المجتمع، وإن كان غير مقتنع بها رافضا لها، فـ"الإنسان يعيش منذ صغره هذا الصراع مع الذات؛ لأنّ الإنسان يفرض عليه نموذج الإنسان الاجتماعي الذي سيكون عليه في المستقبل، وهذا الوضع قد يتقبّله أو يرفضه"[3]، والرفض بمعناه الواسع الثورة والتمرد على الواقع.

فالوجودي إذا يفهم الاغتراب على أنه "اغتراب الموجود البشري عن وجود العميق، بحيث لا يكون ذاته وإنما مجرّد صفر على الشمال في الوجود الجمعي للجماهير"[4].

ومن هذا المنطلق كان الوجود بين الآخرين وجودا مُزيّفا والعلاقات الاجتماعية مشوهة، فالآخر إذن مصدر اغتراب بالنسبة للوجوديين؛ فبالنسبة (لهايدجر) "يعني الغير، السقوط في معترك الحياة العامة التي يعيشها بقيّة الناس، ومن هنا يصعب عليها أن تمارس حياتها الذاتية التي تخصّها، فضلا عن خضوعها للمقاييس التي يخضع لها الناس في مجموعهم"[5].

---

[1]- Jean Paul Sartre," la nausée", édition Gallimard, Paris ,1938.

[2] – سالم بيطار،" اغتراب الإنسان و حريته"، ص: 79.

[3] – فريدة غيوة حيرش، "من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل"، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، د.ت، ص: 238.

[4] – جون ماكوري، "الوجودية"، ص: 225.

[5] – عبد القادر عبد الحميد زيدان، "التمرد والغربة في الشعر الجاهلي"، ص: 22.

وتؤكّد هذه النظرة مقولة سارتر بأن الغير هو الجحيم[6].

فنظرته إلى الآخر تشاؤمية يقول: "الغير هو الموت المستور لإمكاناتي" و"سقوطي هو وجود الغير"[2]، فهذا الوجود بين الغير؛ أي التواجد مع الآخر في المجتمع بالنسبة للوجودي هو وجود زائف ومُشوّه،أما الوجود الأصيل فهو "ذاك الوجود الذي لا تقرِّره علاقات المرء بالآخرين، وإنما تحدّده قرارات المرء وخياراته"[3].

وهذه دعوة لقهر الاغتراب عن طريق مقاومة نظرة الغير إلى هذه النظرة التي تجعل الإنسان يستسلم للغير ويفقد حريته، فالخلاص يكون بمعرفته لذاته عن طريق البحث عنها، إذن "الوحدة مع الغير غير قابلة للتحقيق"[4] في نظره.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نجمل الاغتراب عند الوجوديين في ثلاثة أنواع:

أوّلا: الاغتراب عن العالم وعن الآخرين.

ثانيا: الاغتراب عن الذات.

ثالثا: الاغتراب عن الله عند الوجودية المؤمنة، علما أنّ أنواع الاغتراب هذه متداخلة فيما بينها في كتابات الوجوديين ومبثوتة في مجمل مؤلفاتهم"[5]، ومن النتائج الشعورية لهذه الفلسفة التي تقوم على اللاعقلانية العبث وهو "الشعور باستقصاء ظاهر الكون على منطق العقل الإنساني أو تصادمه مع قوانين هذا العقل المحدود معرفيا"[6].

بالإضافة إلى مشاعر الألم واليأس والقلق والتمرد الوجودي، وهو "أحد وسائل مقاومة الوجود الزائف أو الوجود المغترب"[7]. وهو تمرّد إيجابي يلجأ إليه المغترب

---

[6] – يُنظر: جون ماكوري، "الوجودية"، ص: 152، ويُنظر: جون بول سارتر، "الجحيم"، ترجمة: طارق فودة، دار الثقافة، د.ت، ص: 98.

[2] – نقلا عن: عبد القادر عبد الحميد زيدان، "التمرد والغربة في الشعر الجاهلي"، ص: 23.

[3] – شاخت، "الاغتراب"، ص: 263.

[4] – جون بول سارتر ، "الوجود والعدم"، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دا الآداب، بيروت، ط 1،1966، ص: 590.

[5] – سميرة سلامي، "الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري"، ص: 50.

[6] – كاميليا عبد الفتاح، "الشعر العربي القديم" ، ص: 15.

[7] – نفسه، ص: 16.

كمحاولة لقهر اغترابه عن طريق عملية الإبداع والخلق الفني؛ حيث يخلق عالما آخر يطمح إليه يستعيض به عن واقعه المرير، وقد لخصّ الوجوديون مصادر العبث في أربع طرائق مختلفة:

أوّلا: الطبيعة الآلية لحياة العديد من الأفراد، ويستمدّ العبث مصدره الثاني من الإحساس الحادّ بمرور الزمن، ثالثا: من الإحساس بالانعزال في عالم الاغتراب الذي يشعر به الناس بدرجات متفاوتة، وأخيرا يمكننا معاناة العبث عن طريق الإحساس الحاد بانعزالنا جوهريا عن غيرنا من بني الإنسان[1].

كان المبحث السابق تتبّعا لتطور مفهوم مصطلح الاغتراب في الفكر الغربي وفيما يلي من صفحات سنتعرف على معناه في الفكر العربي.

ب – في الفكر العربي:

إنّ موضوع الاغتراب من المواضع التي عبّر عنها القرآن الكريم، إذ حملت آيات من الذكر الحكيم معنى اغتراب الإنسان؛ اغتراب الإنسان عن الله، واغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أوّل اغتراب له، ومحنة الإنسان من الشيطان كان اغترابًا آخر"[2].

فالإنسان إذن اغترب عن ربّه عندما عصاه فخرج من نعيم الجنّة واغترب في أرض موحشة ومن كرم الله عز وجل أنْ كان هذا الاغتراب في حدود المكان؛ حيث أنه قبل توبة آدم عليه السلام بعدما عصاه، وبعد أن كادت مشاعر اليأس والحزن والخوف والقلق والألم تستولي عليه،8 فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ3 (سورة البقرة: 37) وبذلك خفّت مشاعر الغربة؛ لأن الإنسان كلّما اقترب من الله ازداد إيمانه واطمئن قلبه مصداقا لقوله تعالى: 8 الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ3

[1] – يُنظر: جون كرونشانك، "ألبير كامي وأدب التمرد"، ترجمة: جلال العشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص: 88.

[2] – عادل الألوسي، "الاغتراب والعبقرية"، ص: 3.

(سورة الرعد: 28) وكان الأنبياء سلام الله عليهم ممن أدركتهم الغربة وهم يحملون الرسالة التي كلّفهم الله تعالى بنشرها، فقد خرج سيدنا موسى "من مصر هاربا من ظلم فرعون وقومه، وناجى ربه"[1] قائلا: "يا رب إني وحيد مريض غريب..."فناداه ربه: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة"[2].

وهذا ما يؤكّد المعنى السابق من أنَّ قهر الاغتراب ومشاعر اليأس والقلق والألم والتشاؤم لن يكون إلا بقرب الإنسان من الله والرسول صلى الله عليه وسلم ذاق الغربة في وطنه مكّة ؛حيث تعرض لاستنكار أهل وطنه ومحاربتهم ؛لأنّه جاء بالهداية الصحيحة التي تخالف معتقداتهم وشركهم وكفرهم بالله، فخرج من مكّة إلى الطائف مجتنبا اضطهادهم، وعندما اشتدّ به الألم توجّه إلى ربّه بدعائه الذي يفيض بمشاعر الغربة والآلام والحزن والإيمان: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟"[3].

كما أن مصطلح الاغتراب ورد في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي فيها امتداح لغربة أهل الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء»[4].

لقد كان الإسلام غريبا لأنه لم يلاق الإقبال والنصرة في أول عهده؛ حيث وقف الأهل والأقارب ضدّ المسلمين الذين اعتنقوه وكان عددهم قليل، فعانوا من الاضطهاد والتنكر ولكنهم كانوا صابرين محتسبين وأخرجوا من ديارهم فازدادوا غربة على غربة

---

[1] – عادل الألوسي، "الاغتراب والعبقرية"، ص: 04.

[2] – ابن القيم الجوزية، "مدارج السالكين"، تحقيق : رضوان جامع رضوان ،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ،القاهرة ،2001 ، 2/371.

[3] – محمد ناصر الدين الألباني،" ضعيف الجامع " ، مركز نور الإسلام لأبحاث القران و السنة ، الإسكندرية، مصر، 8 / 54

[4] – أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، " الصحيح " ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1/ 90.

،فصدق قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(سورة الحج: 40) وسيعود الإسلام كذلك في آخر الزمان حيث يصبح الناس الذين يتمسكون بتعاليم الإسلام قلّة غرباء داخل مجتمعاتهم، وفي وصفه لأولئك الغرباء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «هم الذين يزيدون إذا نقص الناس»[1]، ويفسّر ابن قيم الجوزية معنى الزيادة في الحديث النبوي الشريف: "بالزيادة في الخير و الايمان والتُقى إذا نقص الناس من ذلك[2].

فوجه الغربة منطلقه من أفعالهم الخيّرة التي تعد غريبة في مجتمع تهالكت قيمه وابتعد الناس فيه عن سواء السبيل إلا القلة منهم. كما أن الدين الإسلامي يدعو الناس إلى الغربة بمعناها الايجابي؛ حيث أنه يحضّهم على اعتبار الدنيا محطة عبور إلى دار البقاء الدار الآخرة وأن لا يتشبثوا بالدنيا ويجعلوها وطنا لهم قال الله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (سورة غافر: 39)، وفي الحديث النبوي الشريف تأكيد لهذا المعنى: «كن في الدنيا كأنك غريب: أو عابر سبيل»[3]، وهكذا فإن الإنسان الذي يتمسّك بتعاليم الدين الصحيح ويبتعد عن شهوات الدنيا ولا تغره بزينتها يشعر بأنه غريب فيها يحنّ دائما إلى وطنه الأصلي (الدار الآخرة) في حين أن الذين يغترّون بها ويتمسكون بملذاتها "لا يشعرون بالاغتراب في الدنيا بل يستوحشون من تركها وترك ملذّاتها"[4]، وقد كان المفكرون والفلاسفة العرب أيضا من أشد الناس معاناة لمختلف ضروب الاغتراب والعزلة في حياتهم، فالفارابي مثلا كان "منفردا بنفسه، لا يجالس الناس،(...) وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر

---

[1] – ابن القيم الجوزية، "مدارج السالكين"، 2/ 369

[2] – نفسه ، 2/ 369 .

[3] – محمد بن احمد أبو حاتم التميمي البستي ، "صحيح ابن حبان"، تحقيق :شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1993، ط 2 ،2/ 741

[4] – سميرة سلامي، "الاغتراب في الشعر العباسي القرن 4 هـ"، دار الينابيع، دمشق، ط 1، 2000، ص: 24.

مكسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهـــم، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته"[1]، فاجتناب الناس واعتزال الحياة هـــو أحـــد النتـــائج الشعورية لظاهرة الاغتراب "وهذه الصورة التي تُنقل لنا عن الفارابي تعلل لنـــا الســـبب الكامن وراء تأليفه المدينة الفاضلة، فهي لون من الهرب من الواقع ،ملائم جدا لعزلتـــه، فمدينته حلم طوباوي بمدينة حكماء مستقبلية، طالما رَاود الفلاسفة منـــذ أفلاطـــون في جمهوريته إلى عصور قريبة"[2].

إذا نستشف من خلال ذلك أنه لم يكن راضيا عن واقعه المعاش، واغترابه نابع من تجربته الحياتية، والأمر كذلك بالنسبة لأبي حيان التوحيدي الذي ورد عنده المعنى الشامل للغربة ببعديها المادي والمعنوي؛ حيث يقول: "فأين أنت من غريب قد طالت غربتـــه في وطنه وقل حظه ونصيبه من جيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان"[3].

وأبو حيان التوحيدي كان مثالا للمثقف المغترب في مجتمعه؛ الذي خـــاب أملـــه ورجاؤه فيه: فهو" لم يحظ بالمكانة المرموقة التي تليق بمنزلته، ولذلك استوحشت حيـــاته، وعاش غريبا في مجتمعه"[4]. فأحرق كتبه ،فهذه النهاية المأساوية احتجاج منه على وطنـــه الذي لم يُوفّر له الحياة الكريمة، بل ذاق فيه ألوان الفقر والحاجة والعوز الذي زاده مـــن مشاعر الغربة لديه فكان أغرب الغرباء: "وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه"[5]، فالتوحيدي لم يعرف في وطنه إلا الخوف والشقاء. وابن باجة الفيلسوف الذي عاش في عصر ابرز سماته الضعف والانقسام ،اللذين أثرا على حرية البحث؛ حيث اُضطُهِد الفلاسفة وأُحرِقَت كتبهم، و ابن باجة عرف الاغـــتراب بمختلف ضروبه فـــ"اقتفى أثر فيلسوف المشرق الفارابي، فأحب العزلة، وأراد أن يعيش

[1] – ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر، بيروت ،1972، 5/156.

[2] – زامل صالح ، "تحول المثال"، ص: 17- 18.

[3] – أبو حيان التوحيدي، "الإشارات الإلهية"، ص: 79.

[4] – بنعلي قريش، "الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920-1945)"، ص: 11.

[5] – أبو حيان التوحيدي، "الإشارات الإلهية"، ص : 80 ، 81.

مغتربا عن الناس، فقد ضاق ذرعا بالحياة، كانت غربته روحية، فلسفية وعقلية، وأكثر ظني أن اغترابه كان بالنسبة إليه مصدر إمتاع ومؤانسة"[1].

حيث كان اعتزال الناس والمجتمع هو سبيل المرء الوحيد للعيش الأمثل وسيلته حتى يحيى كما ينبغي ويُسمّي ابن باجة في كتابه تدبير المتوحد المغتربين ب "الثوابت" وهم أولئك الذين حملوا معتقدا مخالفا لم يكن معروفا بين الناس أو خالفوا المجموع في الآراء

يقول ابن باجة: "إن الثوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة، وهؤلاء هم الأغراب الذين غادروا أوطانهم، وظلوا هناك غرباء في عاداتهم وفي آرائهم وأفكارهم"[2].

فاختلاف هؤلاء الأشخاص في رؤيتهم وإيمانهم بأفكارٍ وعادات غير تلك السائدة في مجتمعاتهم جعلهم مغتربين معنويا وبالتالي ماديا، وذلك عندما اضطروا لمغادرة أوطانهم، فهم لم يعودوا يشعروا فيها بالانسجام والتوافق ،وفي مؤلفه رسائل ابن باجة الإلهية تتوضّح آراؤه في الاغتراب من الوجهة الفلسفية؛ حيث يقول عن الثوابت: "هؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء؛ لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم غرباء في آرائهم، وقد سافروا بأفكارهم إلى مراتب آخرى هي لهم كالأوطان"[3]. فهؤلاء المغتربين اتخذوا من أفكارهم وطنا لهم عوضا من وطنهم الأصلي أو الحقيقي.

كما نجد ابن طفيل يجسَّد اغتراب الإنسان في قصته حي بن بقظان وذوبان هذه الغربة بالطبيعة فيصوّر "تخطيه هذه الغربة ليلتحم بالطبيعة؛ فتكون الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات أهلا له، حتى يتطور وتنمو مداركه ويصل إلى الكلام، ومن ثَمَّ يسمو إلى الحقيقة التي أوّلها معرفة الله"[4]، وبذلك يبلغ ما يبلغه أهل التصوف من مراتب المشاهدة والفناء بحب الله.

---

[1] – عادل الألوسي، "العبقرية والاغتراب"، ص: 59.

[2] – ابن باجة، "تدبير المتوحد"، تحقيق: ماجد فخري، بيروت، لبنان، 1968، ص: 88.

[3] – ابن باجة، "رسائل ابن باجة الإلهية"، بيروت، لبنان، د.ت، ص: 90. نقلا عن زامل صالح ،« تحول المثال »

[4] – عادل الألوسي، "العبقرية والاغتراب"، ص: 63.

وقد استخدم متصوفة الإسلام مصطلح الاغتراب وهو عندهم "ظـــاهرة إيجابيـــة، لأنّهم وجدوا فيه الطمأنينة والسكينة وراحة القلب. ولذلك كانوا حريصين على التقرب إلى الله، فلم يحنوّا إلى سواه ،و لم يطلبوا حاجة عند غيره"[1].والصوفية مغتربون عن ذواتهم وعن مجتمعاتهم. فغربتهم روحية وهم يفنون ذواتهم للوصول إلى الذات الإلهية، ومن هنا اختلف اغتراب الصوفية عن اغتراب غيرهم؛ لأنهم على العكس من المغتربين الآخرين لا يعانون من العذاب والألم واليأس والقلق التي هي من أهم النتائج الشعورية لهذه الظاهرة، فهم مستأنسين بوحدتهم وهي سبيلهم للوصول إلى الله. فهم يجدون فيها راحة من الهـــم وسكون أنفسهم وطمأنينتها ويتجنّبون بها الحياة ودناءتها ودناستها وزينتها وغرورها.

ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي الذي يغلب عليه "الشعور بالغربة الكونية لدرجـــة تجعلنا نستشف معها نزعة عدمية، قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبا، وغير أصيل، وذلك بالرجوع إلى الله والفناء فيه بوصفه الوجود الحق، أو على حدّ تعبير الصوفية الوطن الأصلي"[2].

فالصوفي يبلغ قمة السعادة في وحدته، ويعبّر عن هذا الشعور إبراهيم ابـــن أدهـــم الزاهد المتصوف بقوله:

هجرت الخلقَ طرّا في هواكَ وأيتَمْتُ العيالَ كي أراكَ

فلو قَطّعتَني في الحدِّ إربًا لـــما حنَّ الفؤادُ إلى سواكَا[3]

تقول رابعة العدوية :

رَاحتي يا إخوتِي في خَلـــوتِي و حَبيبي دائمًا في حَضْرتِي

---

[1] – بنعلي قريش، "الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920- 1945)" ، ص: 13.

[2] – صالح زامل، "تحول المثال"، ص: 21.

[3] – نقلا عن: ابن رجب الحنبلي، "كشف الكربة في وصف أهل الغربة "، مطبعة النهضة الأدبية، ط 1، 1332 هـــ، ص: 27.

قد هجرتُ الخلقَ جمعًا أرتجِي منكَ وصلاً فهو أقصَى مُنيَتِي[1]

فهي لا تجد الأنس والراحة إلاّ في اعتزال الناس والانصراف إلى مناجاة الله، والعزلة إحدى مظاهر اغتراب الصوفي.

وعندما تقارن علاقتها مع الناس بحبها الإلهي الرفيع تقول :

إنّي جَعلتُكَ في الفؤادِ مُحدِّثِي و أبحتُ جِسْمِي منْ أرادَ جُلُوسِي

الجِسمُ مِنّي للجَلِيسِ مُؤانِسُ وحَبيبُ قلبِي في الفُؤادِ أَنِيسِي[2]

فهي حاضرة بالجسم مع من يجالسها من الناس، ومشغولة الفكر شاردة العقل والقلب لأنّهما منصرفين إلى ذكر الله.

وقد انتشر الاغتراب الصوفي بكثرة في العصر العباسي، حيث فسدت الأخلاق وضعف الإيمان، فانتشرت الرذائل وأحسّ أولئك المتصوفون باغترابهم في هذا الزمان، وطلبوا العزلة اتقاء أن يصابوا بأمراض ذلك العصر، محاولين الحفاظ على جوهر النفس ووجدوا هذا الأمر في قربهم من الله.

ج- الاغتراب في علمي النفس والاجتماع:

تتعدّد الدراسات في علم النفس وعلم الاجتماع وتتسع بحيث يتخذ الاغتراب دلالات نفسية واجتماعية عدّة ،فهو "حالة سيكواجتماعية ناتجة عن تأثير الجماعة والأوضاع الاجتماعية في الفرد، وصراع هذا الأخير مع محيطه"[3].

[1] – عبد الرحمن بدوي ،" رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي"، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1962، ص : 163

[2] – نفسه ، ص :182

[3] – شريف بموسى عبد القادر، "الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة"، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 1996-1997، ص: 05.

وعليه سأتطرق إلى دراسة الظاهرة من وجهة نظر علم النفس ومن ثم علم الاجتماع مقتصرة على الدراسات المهمة والبارزة في هذين الميدانين.

1. **علم النفس** :

إنّ أول ملاحظة تواجه الباحث عن مفهوم الاغتراب في علم النفس هو اختلافه من باحث إلى آخر، ولكني اقتصرت على أهم التعاريف المتقاربة؛ حيث نجد بعض الباحثين يعرف الاغتراب بأنه "شعور بالوحدة أو الغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس،وهو حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة"[1]. بمعنى أنّ أساس نمو هذه المشاعر المغتربة وتفاقمها لدى الأشخاص نابع أصلا نتيجة عدم قدرتهم على خلق علاقات مع الغير بسبب نظرتهم أو تصوراتهم عن الآخر، ولذلك نجد تعريفا آخر قريبا من الأول يعرف الاغتراب على أنه:"اضطراب في العلاقة مع الآخر، وهو تغيُّر وتبدل في وظيفة التواصل"[2].

لذلك يعتبر التواصل الجيد مع الغير عملية مهمة في بناء شخصية ذات نفسية سوية قادرة على تجنب مثل هذه المشاعر السلبية (الاغتراب والعزلة نتيجة له).

ويُعدّ سيغموند فرويد من أبرز علماء النفس الذين ناقشوا هذه الظاهرة باستخدام مصطلحات علمية دقيقة: الأنا[3] والأنا الأعلى[4] والهو[5].

---

[1] – كمال الدسوقي، "ذخيرة علوم النفس"، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، 1/ 77.

[2]– Dictionnaire de psychologie, édition Bordas, paris, 1980, p: 50.

[3] – "Le moi" "يخضع من وجهة النظر الموقعية لمطالب "الهو" ولأوامر "الأنا الأعلى" ولمتطلبات الواقع في آن واحد. أما من وجهة النظر الدينامية، فيمثل الأنا القطب الدفاعي للشخصية". يُنظر: جان لابلانش وج.ب بونتاليس، "معجم مصطلحات التحليل النفسي"، ترجمة: مصطفى حجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر، 1985، ص: 97.

[4] – "Le sur-moi" هو بمثابة الضمير للأنا الواعية والهو ويتكون من "تجارب مبكرة تعود بشكل رئيسي إلى علاقة الولد بالأبوين، وهو الذي يخزن الأخلاق الاجتماعية وينتقد أفكار "الأنا وأفعالها""، يُنظر: أسعد رزوق، "موسوعة علم النفس"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،، بيورت، لبنان، ط 3، 1987 ، ص: 46.

[5] – "Le ca-" يكون قطب الشخصية التروي وتتكون محتوياته التي تشكل التعبير النفسي للنزوات اللاواعية، وهي وراثية فطرية في جزء منها، ومكبوتة مكتسبة في الجزء الآخر، يُنظر: "معجم مصطلحات التحليل النفسي"، ص: 570.

فهو يرى بأن الاغتراب ينشأ أساسا إذا ما فشل الأنا في أراء وظيفته المتمثلة في العمل على التوفيق بين مطالب "الهو" والأنا الأعلى بالإضافة إلى مطالب العالم الخارجي. وتكمن ضريبة هذا الفشل في الشعور بأن أجزاء من بدننا، بل وعناصر من حياتنا النفسية، من إدراكات وأفكار ومشاعر، قد تبدو لنا في بعض الأحوال وكأنها غريبة و أجنبية ولا تؤلّف جزءا من الأنا[1].

وذلك جرّاء الكبت والقمع الذي يوجه الأنا لبعض الدوافع الغريزية التي يطمح الهو إلى إشباعها وتكون غير متناسبة مع العالم الخارجي فتأتي ردة الفعل سلبية تجاهه، لأنّه يشكل مصدر الألم والإحباط ويكون الاحتماء من هذه المشاعر عن طريق الانفصال عنه وقطع الصلات به (الاغتراب) وفي هذه الحالة يصبح الأنا خاضعا للهو المنفصل عن الواقع، وهذا هو الاغتراب حسب المفاهيم الفرويدية.

في حين نجد كارين هورني تهتم أكثر بالجانب الثقافي والظروف الاجتماعية كبواعث للاغتراب مبتعدة بذلك عن التحليل الفرويدي الذي يحصره في الجانب الغريزي المكبوت للفرد، حيث ترى كارين هورني أن حياة الفرد داخل إطار حضاري مادي تسوده قيم الاستغلال والفردية ،والتنافس يجعله يحس بالوحدة والعزلة والخوف وعدم الشعور بالأمن تجاه بعضهم بعض[2].

وكمحاولة للتخلص من هذا النوع يتجه الفرد إلى "الابتعاد عن ذاته بخلق صورة مثالية"[3]. وهي الصورة التي يتوقع الفرد أنه عليها، وهي في حقيقة الأمر مجرد خدعة للهروب من الواقع وهذا كله "يؤدي إلى فقدان الشخصية أو الاغتراب الذاتي للشخصية، بمعنى آخر، يمكننا القول إن فشل الفرد وعدم وعيه لذاته الحقيقية يؤدي به إلى الاغتراب عن هذه الذات"[4].فالاغتراب إذن مردّه إلى الفجوة التي تنشأ عن الاختلاف بين الصورة

---

[1] – سيجموند فرويد، "قلق الحضارة"، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، مارس 1979، بيروت، لبنان، ط 2، ص: 08.

[2] – Karen Horney, La personnalité névrotique de notre temps, traduit par: Jean Paris, l'Arche éditeur, paris, 1953, p: 118.

[3] – يُنظر: باتريك ملاهي، "عقدة أوديب في الأسطورة وعلم النفس"، ترجمة: جميل سعيد، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1962، ص: 241.

[4] – شريف بن موسى عبد القادر ،" الاغتراب في حكايات ألف ليلة و ليلة "، ص: 34.

الحقيقية والصورة المثالية التي ينسبها الشخص المغترب لذاته. كردّة فعل على شخصيته الحقيقية التي لم تستطع أن تلبي حاجاته خوفا من قمع المجتمع، الأمر الذي يزيد في تمزقه وضياعه، كذلك يقوم هذا الفرد بكبت كل رغبات ذاته الحقيقية سعيا منه لأن يُجاري أو يكوّن هذه الصورة المثالية متجاهلا رغبات ذاته الحقيقية، فاغتراب الذات إذن "ينشأ عن التناقض بين الإنسان وبين العالم الخارجي، بين الواقع والخيال، بين ما هو عليه وبين ما يحلم به، بين ما يملكه وبين ما يطمح إليه ، بين نظام العالم ونظام تفكيره ، بين عالم الآخرين وعالمه الخاص ، فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقّة أو عن طبيعته الجوهرية، وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الإنسان"[1].

ونجد إريك فروم يعرّف الإنسان المغترب على أنه "ذلك الفرد الذي فشل فشلا كاملا في خلق تواصل مع الآخر، إنه مسجون مع أنه غير موجود وراء قضبان"[2]. فالاغتراب بهذا المعنى هو كما يراه أنجلش وأنجلش حيث إنّ الفرد يعدّ الأشخاص والمواقف الشائعة غريبة عنه بحيث "يعيش في مجتمعه وبين أهله في دائرة الغربة، يعيش في عالم مجرد من القيم، يسوده جوّ كريه لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديها"[3].

كما أنه يرى بأن "الإنسان في المجتمع المعاصر يُعدّ مغتربا عندما لا تكون خبرته النفسية مركزا لهذا العالم، إذ أن أعماله الخاصة تصير مسيطرة عليه وبالتالي يخضع لها"[4].

أما عن أسبابه ودواعيه فنجد كينسون يُحددها عنها ؛ حيث يقول: "أن هناك أسبابا ذاتية وأسبابا موضوعية تؤدي إلى الاغتراب ويرد الذاتية إلى عوامل نفسية

---

[1] – غسان السيد، "الاغتراب في أدب زكريا تامر"، مجلة الموقف ألأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 352، سبتمبر 2003. في: www.aw.sa.gov

[2] – Erich Fromm, Société Aliénée et société saine, du capitalisme au socialisme rumaniste, traduit par: Janine Claude, le courrier du livre, paris, 1956, p: 43.

[3] – مجدي أحمد محمد، "الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية"، الإسكندرية، 2001، ص: 01.

[4] – عبد العزيز شتا السيد علي، "الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية" ، ص: 31.

ديناميكية تحدث في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف المحيطة بالفرد ومـــا يكونها من عوامل حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية"[1].

فالأسباب الذاتية ترجع أساسا إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية،السائدة في بعـــض المجتمعات الإنسانية ، أما الأسباب الموضوعيّة فيحصرها كينسون في العوامل و الظروف السائدة في البيئة المحيطة بالإنسان المغترب.

ويوضّح المخطط التالي[2] للباحثين : مدحت عبد الحميد ورشا الدمنهوري تفصيلا للظاهرة:

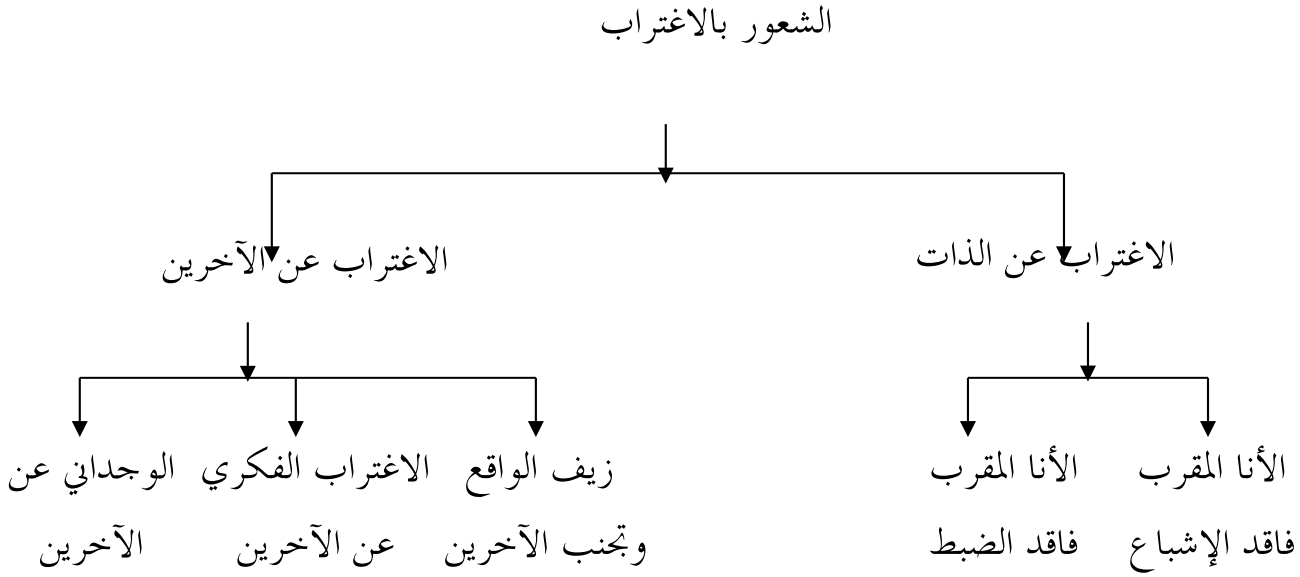

[1] – فاطمة حميد السويدي، "الاغتراب في الشعر الأموي"، ص: 03.

[2] – مجدي أحمد محمد ، "الاغتراب عن الذات و المجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية "، ص: 10.

2 ــ في علم الاجتماع :

يُعدُّ الاغتراب من أهمّ المفاهيم السوسيولوجية إلاّ أنّه لا يزال أقلّ المفاهيم تعريفا في علم الاجتماع الحديث؛ حيث "يقوم مفهوم عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم (Durkaim) على فكرة تفكّك القيم والمعايير الاجتماعية؛ بحيث لا تتمكن من السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه"[1].

ويستعمل مصطلح أنوميا (Anomio) للتّعبير عن الاغتراب، فعندما يتساوى كل شيء من حيث الجوهر والقيمة يفقد معناه، وكنتيجة طبيعية لذلك تظهر مشاعر العبث والقلق واليأس، ويعبّر جرودزن عن الاغتراب بكونه الحالة التي "يشعر فيها الأفراد باللاّنتماء إلى المجتمع أو الأمة حيث العلاقات الشخصية غير ثابتة وغير مُرضية"[2].

بمعنى أن غياب العلاقات الايجابية مع الآخرين يؤدي إلى الاغتراب، وقد يكون سبب غياب هذه العلاقات نابعا أساسا من الإحساس بالاختلاف عنهم لدرجة "تبعث على التوتر في وجود الآخرين بسبب وجهة نظر المرء أو اهتماماته أو ذوقه الشخصي"[3]. وبالتالي يتعمق الإحساس بعدم الانتماء إليهم.

كما يميّز ميلفن سيمن بين خمسة أنماط من الاغتراب من بينها الاغتراب الناجم عن شعور الفرد بالعجز عن "التأثير على نحو يعتّد به في الأحداث والهياكل السياسية والاجتماعية[4] وعادة ما تكون هذه الأحداث والظروف مترسّخة ومتجذّرة؛ بحيث لا يمكن للفرد مهما حاول أن يؤثر فيها ليحصل على النتائج التي يبغيها، كما أن أي مجتمع عادة تسيطر عليه قيم ومعايير ومقاييس خاصة وعلى الفرد الامتثال لها حتى يكون على

[1] – بسام خليل خريجة، "الاغتراب في أدب حليم بركات" ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأوّل ، 1983 ، ص: 209.

[2] – نفسه، ص :209

[3] – شاخت، "الاغتراب"، ص: 217.

[4] – نفسه، ص: 225.

وفاق تام مع الحياة داخل هذا المجتمع ،فإذا رفضها و لم يقبلها "فإن نمطا من الانفصال الاجتماعي والثقافي ينشأ"[1].

وهكذا يغترب الإنسان عن القيم السائدة فيه ويعرّف "ميلفن سيمان" هذا النوع من الاغتراب كونه: "شعور بالغموض أو نوع من الرفض للقواعد والتعليمات التي يفرضها المجتمع. ويمكن أن نربط بهذا التوقع القول بأن أنماط سلوك غير اجتماعية (لا يوافق عليها المجتمع) يمكن أن تكون ضرورية لتحقيق غايات هامة في حياة الفرد"[2].

وبالتالي يصبح لهذا الفرد داخل المجتمع قيمه الخاصة به التي يشرعها لنفسه، وتكون ضرورية بالنسبة له في بناء كيانه كشخص على الرغم من رفض المحيط لها ومن هنا يحدث الانفصال بين الجزء والكل؛ أي: الفرد والمجتمع وتحدث القطيعة على الصعيد الفكري والنفسي، وعبّر جرودزن عن ذلك بأنّها حالة "يشعر فيها الأفراد باللاّانتماء إلى المجتمع أو الأمة؛ حيث العلاقات الشخصية غير ثابتة وغير مرضية"[3].

أما عن نتائجه السلوكية فيحصرها حليم بركات[4] في:

1- لانسحاب من المجتمع (العزلة).

2-الرضوخ له ظاهريا والنفور منه ضمنا.

3-الثورة عليه والتمرد.

وبعد تعرّضي لمفهوم الاغتراب في علم الاجتماع سأتطّرق إلى دراسة علاقته بالأدب الذي ،يعد شكلا من أشكال التعبير عن المجتمع.

د- الاغتراب والأدب:

يُعدّ التمييز والتفرُّد اغترابا في حد ذاته وهو من أهم سمات المبدعين، فالإنسان المبدع ذو تكوين نفسي مميّز، وهو أكثر الناس عرضة لمشاعر الاغتراب بحكم تركيبته

---

[1] - شاخت، "الاغتراب"، ص: 239.

[2] - خير الله عصّار، "مبادئ علم النفس الاجتماعي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 180.

[3] - بسام خليل فرنجية، "الاغتراب في أدب حليم بركات ، مجلة فصول، ص: 209.

[4] - نفسه، ص: 210.

النفسية الخاصة ،وعليه، فإن "كل عمل أدبي أو فني لا بد أن نعثر فيه على جذور الاغتراب منذ أقدم العصور حتى الآن، مع التأكيد على أن الاغتراب يميل نحو التضخم والتشعُّب كلما تقدمنا إلى الأمام"[1].نتيجة لتطور وتعقد العوامل المساهمة في نمو هذه الظاهرة، وقد انتقل مفهوم الاغتراب من مجال الفلسفة إلى الأدب كما تمثله الوجوديون في أعمالهم الروائية والمسرحية ،حتى أننا يمكن أن نصف الأدب الوجودي بأدب الاغتراب والعبث واليأس، وذلك استنادا إلى غناه بموضوعات نحو: "التناهي، والاغتراب، والموت"[2] وهي موضوعات ذات صلة مباشرة باغتراب الإنسان الكوني، فمعظم الأعمال الأدبية التي كتبها الوجوديون[F] تصور العالم على أنه زنزانة أو سجن كبير، ورواية الغريب (L'étranger) لألبير كامي (Albert Camus) واحدة من أهم الروايات التي طرحت أزمة الوجود الإنساني، و"حادثة الموت هذه هي محور فلسفة الرواية ومركز السؤال الوجودي الصعب"[3]، فالبطل في هذه الرواية يحكم عليه بالإعدام، وهو حين يصف حالته يوم تنفيذ الحكم يعبّر عنها بـ: "الإحساس باللاَّفرق في هذا الكون، في اغتراب الإنسان عن نفسه، وعن مجتمعه، اللاَّفرق بين الموت والحياة"[4].

وتطرح الرواية العديد من التساؤلات التي لها علاقة مباشرة باغتراب الإنسان الذي لم يعد قادرا على فهم هذه الحياة، وقد ينتج عن اغتراب المبدع عزلته عن مجتمعه، فاللاّانتماء سمة بارزة تُعرف بها نفسيات الكثير من الكتاب والمفكرين، فهم يعيشون حالة غربة في ظل حاجز كبير هو المجتمع الذي يكبّلهم ويحرمهم من حريتهم وتحقيق تطلعاتهم، فيلجأون إلى الثورة والتمرد على قيمه إبداعيا، وهم بذلك يسعون إلى إيجاد بديل لواقعهم فيما يكتبون، ف "معظم الروايات لأعظم الكتاب[F] في تاريخ الأدب العالمي ابتداء من القرن التاسع عشرة (قرن ولادة البرجوازية) مرورا بالقرن العشرين ،حيث تحوّلت

---

[1] – إبراهيم محمود ، "حول الاغتراب الكفكاوي، رواية المسخ نموذجا" ، مجلة عالم الفكر، ص: 85.

[2] – جون ماكوري، "الوجودية"، ص: 284.

[F] – كولن ولسن، ألبير كامي (الغريب)، سارت، سيمون دي بوفوار، جبرائيل مارسيل.

[3] – عادل الألوسي، "الاغتراب والعبقرية"، ص: 151.

[4] – Albert Camus, L'étranger, enag edition, Alger, 2001, p: 127.

الحضارة إلى آلة تحقّق الرأسمالية من خلالها مآربها ؛ومع الحربين العالميتين ،حيث ازداد تمزق الإنسان الداخلي لما يتلقاه من تأثير ووحشية الرأسمالية التي ضاعفت أزمة اغتراب الإنسان المعاصر".تُناقش موضوع الاغتراب الشامل الناتج عن تعقد العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات الرأسمالية وقوانينها اللاإنسانية، حيث كانت هذه الأعمال الروائية بمثابة رد فعل على الواقع وهروب منه إلى واقع خيالي"[1]. فللوضع الاقتصادي إذا أثر كبير في بروز الظاهرة و تشعبها، وهو ما يتطابق مع ما يراه ماركس.

والأدب العربي لا يخلو من ظاهرة الاغتراب، والروائيون العرب أيضا عالجوا الظاهرة في روايتهم من خلال أبطال رواياتهم؛ والذين يكونون عادة من المثقفين، ولو أن "موضوع الاغتراب في الأدب العربي جديد نسبيا، و لم تشرع الأقلام لإعطائه أبعاده الجدية"[2].

إلاّ أن الاهتمام بهذه الظاهرة بدأ يأخذ مكانه في الرواية العربية التي أصبحت تعبر عن الواقع السياسي والاجتماعي المتدهور، فالأديب "يتأثر بما يحدث في الواقع السياسي والاجتماعي بالعديد من التجارب التي يكتسب من جرّائها كثيرا من الخبرات، على مدار سنوات طويلة، تتراكم في ذاكرته مؤثرة في تنامي وعيه، وبمضيّ الوقت يستوعب الأديب الواقع المحيط به، ويتفهّم أبعاد حركة، والتيارات الفاعلة فيه، حتى تتبلور لديه –تدريجيا– رؤية داخلية للحياة والكون"[3]. تنعكس جليّا في نتاجه الأدبي، ويرجع اختيار البطل المغترب مثقفا لكونه مؤهّلا وقادرا على إدراك الواقع الشامل الذي تعيشه الأمة العربية؛ التي "لا تشكل الحياة الاجتماعية فيها استثناء يتجاوز حدود هذه الظاهرة التي تسجل حضورها الشامل في الثقافة العربية المعاصرة،فالإنسان العربي يولد اليوم في أجواء التسلّط

- – أمثال: سرفانتس، بلزاك، زولا، ستندال، ديكتر، بوتشكين، غوغوغل، تشيكوف، دويستوسفكي، تولوستوي، همنغواي، وغيرهم.

[1] – إبراهيم محمود ، "حول الاغتراب الكفكاوي، رواية المسخ نموذجا" عالم الفكر، بتصرف، ص: 86 و 87.

[2] – بسام خليل فرنجية، "الاغتراب في أدب حليم بركات"، مجلة فصول، ، ص: 207.

[3] – حسين عيد، "المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة"، عالم الفكر، المجلد 26، العدد 1، سبتمبر 199، ص: 283.

والإكراه، وينمو في مؤسسات التغريب، وينتهي إلى زنزانات الخوف"[1].فظاهرة الاغتراب تهدّده من كل صوب وحدب، وتضرب بجذورها في حياته اليومية، والأديب العربي أخذ على عاتقه تصوير آثارها على المجتمع والناس.

والاغتراب في الرواية العربية نوقش في جانبيه المكاني والنفسي؛وكأمثلة على بعض هذه الروايات نجد رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، وهي تحمل الوجهين من الاغتراب: المكاني والنفسي.

فالبطل محسن، مهاجر مصري إلى باريس يصطدم بمادّية الغـــرب، وقيـــم المنفعـــة والأنانية السائدة فيه؛ والتي تقوم عليها الحضارة الغربية؛ ممّا يجعله يعاني الاغتراب النفسي "فتنقله من شرقه وأهله وحاميته السيدة زينب؛ حيث كان يعيش الأمن والطمأنينة، إلى البيئة الغربيّة ليجد نفسه مقمحا في علاقات اجتماعية (سوزي وأندري) نفعيّة وسطحية، كل هذا جعله يحس بانعدام الأمن والضياع، فأصبح يعيش وكأنه عن هذه البنية آت من عالم آخر"[2].

فكانت ردّة فعله للاحتماء من الآلام التي سببها له العالم الخارجي هـــــي الاختلاء والانزواء الإرادي، والابتعاد عن الآخرين منطويا على ذاته، ووجد عزاءه في عالم المثـــل والموسيقى وروحانيات الشرق، ويقول في هذا الصدد : "قليلا من الناس من يملك نفسا رحبة غنية، يستطيع أن يعيش فيها وأن يستغني بها عن العالم الخارجي"[3]، فاغترابه كـــان ناجما عن انفصاله عن مجتمعه الذي يوفّر له العزاء عكس الذي وجد في روايـــة نجيـــب محفوظ "ثرثرة فوق النيل"؛ حيث "اختارت شخصياتها العزلة عن المجتمع إنما دون هجرة خارج الوطن، إنها هجرة في الداخل وغربة عن الذات والوطن"[4].

---

[1] – علي وطفة، "المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية"، عالم الفكر، المجلد 27، العدد 2، ديسمبر، 1983، ص: 241.

[2] – شريف بموسى عبد القادر، "الاغتراب في رواية عصفور من الشرق"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 7، جوان 2005، ص: 23.

[3] – عبد العزيز المقالح ، "أصوات من الزمن الجديد" ، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1980 ، ص : 62.

[4] – حليم بركات، "رواية الغربة والمنفى"، مجلة فصول، المجلد 17، العدد 1، 1988، ص: 42.

ورواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال"؛ التي يعيش فيها البطل مصطفى سعيد في بريطانيا "فظن أنّه يمكن التغلب على عربته بالعودة إلى دفء الحياة في العشيرة، ففي الغرب أحس أنه ريشة في مهبّ الريح"[1].لكنّه اصطدم بعد عودته بالطابع التقليدي لمجتمعه فأحسّ بالاغتراب عنه ،وكانت نهايته التي اختارها الانتحار.

كما تطالعنا أيضا رواية حليم بركات "ستة أيام" بشخصياتها المغتربة؛ حيث يعالج فيها الكاتب "طبيعة اغترابهم وعلاقاتهم بالمجتمع والدولة، وردود فعلهم إزاء هذا الشعور الحاد، وتطور سلوكهم في محاولة لوضع حد لاغترابهم"[2].

وفي روايتين أخريين "عودة الطائر إلى البحر" 1969 و"الرحيل بين النهر والوتر" 1979. ورواية "خمسة أصوات" 1967 يجسد الروائي العراقي غائب طعمة فرمان اضطرار المثقف العربي إلى الاغتراب عن وطنه لأنه بمثابة سجن له ولا يجد فيه غير الضياع والتشرد والعوز وعندما لا يستطيع الانصهار في المكان البديل يحاول يفكر في الرجوع إلى وطنه ولكنه يدرك في قرارة نفسه أن العودة مستحيلة، فحتى لو قدر له أن يعود جسديا فإنّه لن يعود فعليا، لأنّه هو نفسه تغيّر تغيّرا عميقا في هجرته[3].

وفي عمل قصصي آخر عراقي لمحمود أحمد السيد جلال خالد (1923) يقرر البطل الرحيل عن بلده؛ لأنه كان يشعر باستلاب حريته وضياع حقوقه، و"لكن هذا البطل يعود إلى العراق بعد حين، فيجد نفسه مضطرا إلى الاعتكاف عن الدنيا، مفكّرا مرة أخرى بالرحيل"[4].فاغتراب البطل عن وطنه كان نتيجة لصدام المثقف مع السلطة .

وفي رواية لمحمود حنفي حاول البطل الهجرة من بلده ولكنه لم يفلح في ذلك، ومع ذلك فإن الرواية حملت عنوان"المهاجر"، وتُستهلّ بسدّ أبواب الهجرة "المكانية" في وجهه في الوقت الذي تتعمق فيه أبواب الهجرة الروحية، واستخدام الروحية هنا ليس لمجرد

---

[1] – حليم بركات، "رواية الغربة والمنفى"، مجلة فصول ، ص: 44.

[2] – بسام فرنجية،" الاغتراب في أدب حليم بركات"، مجلة فصول ،ص: 207.

[3] – فاطمة المحسن، "الرواية العراقية المغربية"، مجلة فصول، المجلد 17، العدد 1، 98، ص: 56.

[4] – نفسه"، ص: 55.

المقابلة بين المادّة والروح، وإنّما لأنّ للأزمة بُعدا روحيا أو فلنقل صوفيا أو دينيا من نمط خاص تتطهّر فيه الروح، وهي تتقلب في بوتقة الألم"[1].

كانت هذه بعض الروايات العربية التي جسدت الاغتراب المكاني والنفسي الذي عانى منه الأديب العربي نفسه وأسقطه في رواياته، فمعظم الروائيين العرب كانوا من المثقفين الذين قاسوا من تسلّط المؤسسة السياسية وأدركتهم المحن الشديدة التي يعاني منها المواطن العربي من (تخلف، فقر، قهر، دكتاتورية، واستبداد) عمّقت الشعور لديه بالضياع واليأس والتشاؤم، على أنّ كل واحد منهم عالج الظاهرة بأسلوبه الخاص وحسب الطريقة التي يفهمها، لكنها جميعا كانت شاهدا على "اغتراب الإنسان العربي الذي هدّته الكوارث ونال منه القهر بأنواعه منالا عظيما"[2]؛ نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية المتلازمة التي يعيش في ظلها.

والشعر أيضا من الأجناس الأدبية التي تحمل قدرا وافرا من مشاعر الاغتراب؛ فالشاعر على حد تعبير ابن رشيق: "يشعر بما لا يشعر به غيره"[3]، وهو صاحب خيال خلاّق، وذو حساسية عالية للحزن والفرح على حد سواء، وقد قيل في هذا الصدد: "إنّ أعصاب البشر تحت جلودهم أما الشعراء فأعصابهم فوق جلودهم"[4].

الأمر الذي يجعل الشاعر دائم القلق والتوتر، فهو إذن "مخلوق متميز عن عامة الناس في المجتمع الواحد سواء بمواهبه أو بفكره، أو بنظرته إلى الحياة، فهو دائم الحركة، رافض للسكون والذل والمسكنة، محبّ للتعبير، ومن هنا يكون إبداعه الشعري متّسما بالقلق والسخط والانفعال، ثم بالثورة والرفض"[5] للأوضاع السائدة في مجتمعه خلافا لباقي

---

[1] – محمد زكريا عناني، "الاغتراب في رواية محمود حنفي"، مجلة فصول، المجلد 12، العدد 02، 1993، ص: 327.

[2] – متقدم الجابري، "تجليات الاغتراب في شعر صلاح عبد الصبور"، مجلة ألاثر، العدد 4، ماي 2005، ص: 204.

[3] – ابن رشيق أبو العلي الحسن القيرواني ، "العمدة في محاسن الشعر وادابه و نقده"، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 5، 1981، 1/ 116.

[4] – عبد العزيز المقالح ، "الشعر بين الرؤيا والتشكيل" ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، ط 1 ، 1971 ص : 55.

[5] – محمد سعيدي، "ملامح الرفض في شعر مصطفى الغماري"، رسالة ماجستير، تلمسان، 2000-2001، ص: 56.

الناس، ولعلّ هذا ما جعل عزيز السيد جاسم يقول بأن: "الاغتراب حقيقة كل شاعر"[1]، فطبيعة الشاعر إذا طبيعة مغتربة ، وهو "مغترب لأنه نتيجة قدرته على الرابط بين الأشياء واستكناه مدلولاتها، هو أكثر الناس سعيا إلى تكوين واقع آخر غير مرئي، وهو طامع في هذا الجديد ما عاش، غير قانع أبدا"[2].كما أنّه لايرضى بالنقائص و يحب رؤية الكمال في كل شيء من حوله ،ولذلك كان أكثر إحساسا بتناقضات الحياة.

والشعر الرومانسي على وجه الخصوص أكثر أنواع الشعر ارتباطا بالاغتراب، فهو بالنسبة للشاعر الرومانسي ميتافيزيقي، كما أن الرومانسية استشعرت آلام الغربة المكانية للإنسان[3]؛ حيث أنّ الشاعر الرومانسي يشعر بعدم القدرة على الانسجام مع الأرض، لأنّه اغترب عن وطنه السماوي على حد تعبير أبو القاسم الشابي مقتربا في ذلك من المعنى الديني للاغتراب ؛ الذي يكمن في الانفصال عن الفردوس:

شُرِّدْتُ عَنْ وَطنِي السّمَاويِّ الّذِي مَا كانَ يومًا وَاجمًا مَغْمُومَا

شُرِّدتُ عنْ وَطنِي الجَميلِ ، أنَا الشَّقِي ، فَعِشتُ مَشطُورَ الفُؤادِ ، بَيْنمَا

في غُربةٍ ، رُوحِيةٍ ، مَلعُونةٍ أشْواقُها تقْضِي عِطاشًا هِيمَا

يا غُربةَ الرُّوحِ المُفَكِّر انَّهُ في النَاسِ يحيَا سَائمًا مَسْئُومَا

[1] – عزيز السيد جاسم، "الاغتراب في شعر وحياة الشريف الرضي"، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص: 09.

[2] – كاميليا عبد الفتاح، "الشعر العربي القديم" ، ص: 18.

[3] – ينظر :محمد غنيمي هلال، "الرومانسية"، دار العودة، بيروت، 1973، ص: 56.

شُـــرِّدْتُ لِلـــدُنيَا وكـــلُّ تـــائهٍ فِيـــه يُـــرَوَّعُ رَاحِلاً ومُقِيمَـــا

يَدْعُو الحياةَ فلاَ يُجِيبُ سِوَى الـــرَّدَى لِيَدُسَّـــهُ تحْـــتَ التُـــرَابِ رَمِيمَـــا

وتَظَـــلُّ سَـــائِرَةً كَـــأنَّ فَقِيـــدَها مَـــا كـــانَ يومًـــا صَـــاحبًا وحَمِيمَـــا[1]

فالرومانسي لا يبصر على الأرض إلا الشرور، فيكثر من الشكوى باثّـــا مشـــاعر السأم واليأس، متخوّفا من الموت الذي ينتظره ليدسّه تحت التراب وكأنه لم يكن شـــيئا، وهو في هذه الدنيا غريب يشقى بغربة وسط مجتمعه، غير قادر على الانســـجام معـــه؛ لذلك فإنّه يختار العزلة حلاًّ لاغترابه:[2]

يا صَميمَ الحياةِ كَم أنَـــا في الـــدُنيَا غريـــب أشـــقَى بغُربـــةِ نَفسِـــي

غريبٌ بينَ قـــومٍ لا يَفهمُـــونَ أَناشِـــيدَ فُـــــؤادِي ولاَ معَـــــانِي بُؤسِي

في وُجُـــــودٍ مُكَبَّـــــلٍ بِقُيـــــودٍ تـــــائهٍ في ظَلاَمِ شَـــــكٍّ وَنَحْـــــسِ

ويقول أيضا:

ليْـــتَ لي أنْ أَعِيـــشَ في هـــذِه الـــدُنيَا سَـــعيدًا بِوحْـــدَتِي وانْفِـــرَادِي[3]

---

[1] – أبو القاسم الشابي، " اغاني الحياة" ، الدار التونسية للنشر، تونس 1970،، ص: 120

[2] – نفسه ، ص : 169

[3] – نفسه، ص: 171

عِعِيشَةً لِلجَمالِ و الفَنِّ أَبْغِيهَا بَعيدًا عن أُمَتِّي و بِلَادِي

و بَعيدًا عن المَدينَةِ و النّاسِ بَعيدًا عن لَغْوِ تلكَ النَّوادِي

فالرومانسي ينشد العزلة، لأنّه منشغل بذاته متمركز حولها حسّاس تجاه العالم الخارجي وهروبي منه، يبحث لنفسه عن يوتوبيا خاصّة به بعيدة عن الواقع المليء بالشر.

وبعد هذه الوقفة عند معاني الاغتراب اللغوي والاصطلاحي في كل من الفكر العربي والفكر الغربي، وعلم النفس وعلم الاجتماع يتّضح لنا أنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان استطاع أن يعكسها في الأدب والعلم، والاغتراب يتشعب ويتعقد ويتقمص دلالات أكثر عمقا واختلافا كلما تطورت الحياة البشرية وتنوعت الظروف والعوامل المؤثرة فيها ،على أنّ العامل المشترك بين هذه المعاني المختلفة يكمن في عجز الإنسان عن التأقلم مع الآخرين داخل المجتمع الواحد، مع فارق تفسير كل فريق لبواعثه وطرق قهره ومحاربته.

وسأحاول في الفصل المقبل الكشف عن الاغتراب في الشعر العربي القديم و الشعر العربي الحديث ، من خلال تحليل بعض النصوص الشعرية .

الفصل الثاني : تجليات الاغتراب في الشعر العربي القديم والحديث

سنحاول في هذا الفصل تتبع جذور ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي القديم والحديث، وذلك من خلال تحليل بعض النصوص الشعرية القديمة بداية من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحديث أين اتخذت هذه الظاهرة أبعادا أكثر عمقا وتشعبا؛ نظرا لتعقد الحياة آنذاك ،وسنقتصر في دراستنا على نماذج شعرية لأهم الشعراء الذين كابدوا مشاعر الاغتراب المكاني والنفسي على حد سواء، فجعلوا من إبداعهم مرآة لنفوسهم الضائعة والممزّقة في متاهات الغربة.

أولا : الاغتراب في الشعر القديم :

لقد خصّصت هذا المبحث للإشارة إلى بواعث الاغتراب عند أهم الشعراء الجاهليين وإلى كيفية قهرهم لهذه الظاهرة الّتي بدت مستفحلة في قصائدهم ،وهو ما تنبئ عنه مطالع معلقاتهم، بالإضافة إلى ما يمكن أن نستشفّه من خلال مواقف بعضهم من النظام الاجتماعي القبلي الذي كان سائدا آنذاك، وشجّع نمو مشاعر الاغتراب والتمرّد عند مجموعة منهم أُطلق عليهم تسمية :"الصعاليك".

1- الشعر الجاهلي

11- مشاعر الاغتراب في المقدمة الطللية :

إنّ المتأمل لظاهرة الطلل في الشعر العربي القديم يدرك أنّها ليست مجرد لبنة من اللبنات الأساس في البناء الفني للقصيدة الجاهلية؛ كما أنّها ليست كما يقال عنها في النقد العربي القديم تقليد تم اعتماده لابتداءات الأشعار ، ولكنها تعدو ذلك لتكون بمثابة المنفذ الذي يعبّر الشاعر من خلاله عن مواقفه من الوجود والأشياء ورؤيته الخاصة للعالم، فهي بذلك لا تخلو من الصور والدلالات النفسية الّتي تنبئ عن الحالات الشعورية الّتي تعتري الشاعر، ومن بينها إحساسه العميق بالاغتراب،« فمعاودة الأطلال والوقوف

عليها والبكاء عندها ما هو إلاّ صورة من صور التعبير عن هذه الحالة »[1] الشعورية الّتي تنتابه وبمختلف أبعادها، فالطلل يكشف عن اغتراب مكاني واغتراب وجودي.

1.1.1. **الاغتراب المكاني** :

يبدو أنّ الاغتراب قَدَرُ الشاعر العربي القديم ، فقد فرضته عليه ظـــروف بيئتـــه القاسية « الّتي ظلت تواجه حياته بتحدي الرحيل الأبدي »[2]. حيث أنّ حياة البـــداوة والمتميّزة بعدم استقرارها أجبرته على التغرب والانتقال من مكان إلى مكان آخر ؛ « بحثا عن الكلأ والماء وتتبع مساقط الغيث »[3].

فحياة العربي تضرب في المتاهات بلا انقطاع ،ورحيله لا يهدأ سعيا وراء المطـــر والحصول على الكلأ، وهكذا كانت مطالع القصائد الجاهلية حديثا عن الأطلال بقايـــا الوطن المهجور؛ لأنّه « يمكن القول إن الوطن بالنسبة إلى القبيلة ما هو إلاّ ذلك المكـــان المحدد الذي توجد فيه في هذه اللحظة التاريخية المعينة »[4]وعند انتقالها إلى مكان آخـــر يصبح هذا الأخير موطنا جديدا، وعلاقة الإنسان بوطنه علاقة مميّزة « فالإنسان يرتبـــط بوطنه ارتباطا وثيقا ، وتأثير الوطن في الإنسان أمر محتوم »[5]. ولذلك كان من الطبيعي أن تنجم علاقة محبة ووشائج الانتماء بين الفرد والوطن؛ أي: المكان الذي وُلـــد فيـــه ، تشدّه إليه دوما ، وتجعله يحس بالألم والحزن والضياع كلما ابتعد عنه و فارقة.

وفي غربته هذه تنتابه مشاعر الحنين إلى دياره وأهله وبخاصّة إلى لمرأة الحبيبة ، الّتي تخلّت عن المكان بغير رجعة.

---

[1] عادل الألوسي ، « الاغتراب والعبقرية » ، ص : 13.

[2] سعد حسون العنبكي ، « الشعر العربي القديم ، دراسة في تأويلاته النفسية والفنية » ، دار عجلة ، الأردن ط 1 ، 2007 ، ص :273

[3] ينظر ابن قتيبة ، « الشعر والشعراء » ، تحقيق محمد أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، 1966 ، ص : 10 – 15.

[4] وهيب طنوس ، « الوطن في الشعر العربي » ، منشورات جامعة حلب ، د.ب ، 1979 ، ص : 326.

[5] ناصر صبار ، "ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة بلعباس ، دار الغرب ، وهران ، 2000 – 2001، العدد الأول ، ص : 171.

واستجابةً لهذه الأحاسيس لم يجد الشاعر بُدًّا من التعبير عن « حزنه واكـــتئابه في المقدمة الطللية ، وهو يرى عوالم الذبول والفناء والسكون في المكان الذي هـــاجر منـــه أهله، وهو يعيش تداعي الذكريات وغياب المرأة في هذا العالم القاسي »[1]. فولّدت هذه الغربة ومُفارقة المكان غربة اجتماعية ووحشة بعد الأنس في قرب الأهـــل والأحبـــاب والديار.

وفيما يلي عرض لبعض المقدمات الطللية مع تحليلها والكشـــف عـــن مشـــاعر الاغتراب المكاني والاجتماعي الّتي اجتاحت نفوس قائليها من الشعراء القـــدامى علـــى اعتبار أنّ «الجاهلي امرؤ شديد الإحساس بالمكان ، مرهف الشعور به »[2].

يُعدّ امرؤ القيس أوّل من بكى الأطلال. ويقول في مطلع معلقته[3]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْـــفُ رَسْمُهَا لَمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَـــأَلِ

لقد نفذ الماء والكلأ إذن، وجاء وقت الرحيل عن الوطن والبحث عن مكان آخر تتوفر فيه أسباب العيش،ورحلت الحبيبة مع قبيلتها فبدأت غربة الشاعر الذي كان يعزي نفسه بالوقوف على الأطلال واصفا ما تبقى من تفاصيل حزينة في المكان ويربطها بغياب الأحبّة؛ الذين ملأوا تلك الديار،واليوم أصبحت موحشةخالية من قاطنيها، فأضـــــحت نفسه مثقلة بالآلام و الأحزان و التحسّر على ما مضى من ساعات الأنس والقـــــرب و الحنين إلى الأيام الخوالي.

---

[1] شهيناز بسمة بن زرقة ، "المكان في القصيدة الجاهلية ، دراسة لموضوع الصحراء" ، رسالة ماجســـتير ، جامعـــة تلمسان ، 2000 – 2001، ص : 89.

[2] إبراهيم خليل ، « ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي » ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، 1989 ، ص : 117.

[3] الديوان ، اعتنى به و شرحه عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط 4 ، 2004، ص : 21 و 22.

يقول الحارث ابن حلزة[1]:

فَالمُحَيَّـــاةُ فَالصِّفَـــاحُ فَـــأَعْنَـــا ق فِتَاقٍ فَعَاذِبُ فَالوَفَـــــــاءُ

فَرِيَـــاضُ القَطَـــا فَأَدْوِيـــةُ الشُّـــر بب ، فَالشُّعْبَتَانِ فَالأَبْـــــلاَءُ

لاَ أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الـــ يَـــوْمَ دَلْهاً وَ مَا يُعِيرُ البُكُـــــاءُ

ويقول النابغة الذبياني[2]

يَا دَارَ مَيَّـــةَ بِالعَلْيَـــاءِ فَالسَّنَـــدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً كَيْ أُسَائِلُهَـــا عَيَّتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

و لم يفت الشاعر تجسيد موقف الرحيل وهو اللحظة التي تبدأ فيها غربته المكانيـــة بانتقاله للبحث عن مكان خصبٍ آخر، وغربته العاطفية عندما يجد نفسه بعيـــدا عـــن محبوبته التي رحلت مع قبيلتها، وهكذا يتداخل موقف الرحيل مع موقف الطلل، مولـــدا اغترابا قاسيا يكابده الشاعر.

يقول امرؤ القيس مصورا أثر مشهد الرحيل في نفسه[3]:

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُـــوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيِّهِمُ يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

ويكبر حزن الحارث ابن حلزة عندما أخبرته أسماء بأنها راحلة مع قبيلتها فيقول[4]:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِـــهَا أَسْمَـــاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

بَعِدَ عَهْدٍ لَنَا بِبَرْقَةَ شَمَّا فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ

---

[1] الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1، 1991م، ص :.21

[2] الديوان، حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 2005 ، ص :32 .

[3] الديوان، ص :23 -24

[4] الديوان، ص :19.

ويقول لبيد معبرا عن موقف الرحيل القاسي[1]:

عَرِيَتْ وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا منْهَا وَغُودِرَ نُؤْيُهَا ، وَثَمَامُهَا

شَاقَتْكَ ظَعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطْناً تَصِرُّ خِيَامُهَا

و يقول الأعشى واصفا الألم الذي اعتراه عند رحيل محبوبته،"هريرة"[2]:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ فَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

وتفصح أبيات عنترة[3] عن أزمته العميقة الّتي سببها الرحيل :

إِنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ الفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمَّتْ رِكَابُهُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِـــــمِ

ما راعني إلاّ حَمُولة أهْلِهـــا وَسْطَ الدِّيرِ تَسف حَبَّ الخِمْخِمِ

فِيها اثْنَتَانِ وَ أَرْبَعُونَ حَلُوبَـــةً سُوداً كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

وقد وظّف لفظة الغراب الأسحم لما لها من دلالات نفسيّة توحي بالغربة وفجيعة الفقد.

والنابغة الذبياني يرفض ذلك الغد الذي يحرمه من أحبته الذين سيرحلون إذا ما هو أقبل، فيقول[4]:

أَفِدَا التَّرَحُّلُ، غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَـــا لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا ، وَكَأَنْ قَدِ

---

[1] الديوان ، اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص : 108 .

[2] أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني، "شرح المعلّقات السّبع"، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص :314.

[3] الديوان ، مطبعة الآداب ، بيروت ، ط 4 ، 1893 ، ص :80 .

[4] الديوان ، ص : 38.

زَعَمَ الغُرَابُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَداً وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُدَافُ الأَسْوَد
لاَ مَرْحَباً بِغَدٍ وَلاَ أَهْلاً بِــهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

وبعد هذه الوقفة على هذه النماذج الشعرية يمكننا أن نستخلص أنّ الاغـــــتراب المكاني في شعر الأطلال كامن في ظاهرة الغياب والإحساس الخانق بالفقـــد والحرمـــان الذي يطوّق الشاعر: فقدان وطنه(أعزّ ما يملك العربي)، فهو كرامته الّـــتي لا يســـتغني عنها،إضافة إلى فقدان منازل القبيلة والأهل والحبيبة ، كل ذلك يولّد مشاعر الشـــوق والحنين ، كما أنّ ضياع هذه الأشياء يعني فقدان الماضي السعيد والحياة الخصبة الممتعـــة ممّا يبعث على الكآبة والألم والحزن والأسى.

2.1.1 **الاغتراب الوجودي (الزماني)** :

إنّ المقدمة الطللية في الكثير من جوانبها ، تعبير عن إشكالية وجوديـــة مؤلمـــة ، إشكالية تضرب بوجودها في صميم الواقع النفسي للإنسان الجاهلي الـــذي يربـــط بين الزمان والمكان ؛حيث نلاحظ كيف « يصبح المكان والإنسان محورَيْ نبـــض الشـــاعر الجاهلي بالحياة وبؤرة فيضه ، المكان يجسّد عبور الزمن عليه، والإنسان يجسّـــد عبـــور الزمن عليه . ولأن الإنسان بُعد من أبعاد الزمان فقط فإننـــا لا نراهمـــا إلاّ بوصـــفهما موضوعا للتغيير، فهما لا يتجليان إلاّ في لحظة التغيير أو عملية المكان حين يكون طَلَلاً ، أو لحظة رحيل الجماعة عنه، ويبرز الإنسان حين يسجل التغيير سماته عليه »[1]، وعليه، فقد كان إحساس الإنسان الجاهلي بفعل الزمن في المكان قويا ذلك الزمن الذي بـــدايته اللّامعرفة، ونهايته اللاتصور ، إذ هو بمثابة « حركة دائمة واندفاع لا يعرف الـــتراجع ، وتدفّق لا ينضب ، وتشابك لا ينقطع أو ينفصم »[2]، يهدّده بفقدان وطنه ومكانه الذي ألفه؛فيجعله يواجه حس التلاشي والفناء والزوال ويختبره،وهو ما عبّر عنـــه المستشـــرق

---

[1] كمال أبو ديب ، « الرؤى المقنعة ، نحو منهج نبري لدراسة الشعر الجاهلي » ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 1986 ، ص : 324.

[2] مفيد قميحة ، « الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر » ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1987 ، ص : 334.

الألماني فالتر براونة حين فسّر النزعة الوجودية في بناء غرض النسيب ، مُبيّنا أنّ غـــرض الشاعر الجاهلي هو المشكلة الوجودية الكبرى، وهـــي « اختبـــار القضـــاء والفنـــاء والتناهي»[1]، فبكاء الأطلال الدَارِسة وخُلُوّهَا يظهر من خلال المقدمة الطللية الّتي تعدّ« بحق تعبيرا صميميا عن لحظة الوعي بالعُريّ الحضاري ، أو لنقل لحظة الـــوعي بغريـــزة الموت الّتي تدبّ في أوصال الحياة بصمت ، ففيها تتجلى معاينة التخريب الـــذي حـــلّ بالكون والإنسان ، فأباد عمرانه وأدْرَس ما شيّده، وهنا يتحوّل الوقوف علـــى الأطلال إلى وقوف على غريزة الحياة؛ الّتي يتمثلها الشاعر في وجه غريزة الموت؛ الّـــتي يمثلهـــا الجذب والقحط الطبيعي »[2]، فيقف الإنسان عاجزا أمام هذا الزمن الذي هزمه ودمّـــر مَواطنه وأجبره على الرحيل؛ فحوّل الحياة إلى موت، والخصب إلى جذب، والأنـــس إلى وحشة ،فحلّ الحيوان محلّ الإنسان بعدما أصبح هذا الأخير عاجزا عن صيانة وجـــوده الحضاري الذي كان للزمن دور أساسي في قهره، فيتملّكه الأسى والحزن وهـــو يقـــف على الأطلال بعد أن أدرك تمام الإدراك أن وجوده محدود، وسائر إلى الاضمحلال، شأنه شأن المكان ،فهو لم يوجد إلّا ليموت، يقول بشر ابن أبي خازم الأسدي [3]:

ثَوَى فِي مُلْحَد لاَبُدَّ منْهُ كَفَى بِالمَوْتِ نَـــأْياً وَاغْتِرَابَا
رَهِينَ بِلَى وَكُلُّ فَتَى سَيَبْلَى فَأَذْرِي الدَّمْعَ وَأَنْتَحِبُ انْتِحَابَا

ولذلك وجدنا الشاعر الجاهلي يتمنى لو كان حجرا حتى يتجنب تأثير الزمن فيه، يقول تميم ابن مقبل[4]:

مَا أَطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أَنَّ الفَتَى حَجَرُ تَنْبُو الحَوَادِثُ عَنْهُ وَ هُوَ مَلْمُومُ.

---

[1] فالتربراونة ، « الوجودية في الشعر الجاهلي » ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانيـــة ، حزيـــران ، 1963، ص : 161.

[2] قادة عقاق ، "دلالة المكان في الشعر العربي" ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص : 30.

[3] الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، 1960، ص :27 .

[4] الديوان، تحقيق : عزة حسن ، دار الشروق العربي ، بيروت ،1995 م، ص :198 .

فتحوّله إلى شيء (الحجر) كفيل بأن يجنّبه حوادث الزمن المفجعة، فهو يحـــاول الارتكاز على أشياء المكان التي توحي بالصلابة والديمومة ،كردّ فعل لمواجهـــة حـــسّ التلاشي والفناء.

و لبيد بن ربيعة يصوّر أثر الزمن في الديار فيقول [1]:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَـــا

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقاً كَمَا ضَمِنَ الوُحَيّ سلاَمُهَا

وَالعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلاَلِهَا عُوذاً تَأَجَّلُ بِالفَضَاءِ بِهَامُهَـــا

وقد أطلعَنا بقوله « عفت الديار على ما أصاب ديار الحي بشـــكل عـــام مـــن اضطراب وبلى بسب ارتحالهم عنها »[2]

و يقول النابغة الذبياني واصفا خُلوّ الديار [3]:

أَمْسَتْ خَلاَءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

وتُشكّل قضية عدم التعرف على الديار مظهرا آخر من مظاهر اغتراب الشـــاعر؛ نتيجة للاستلاب المعرفي الذي يسيطر على الموقف.

يقول عنترة[4] :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

لقد طمس الزمن ملامح الوطن، ممّا جعل التعرف عليه أمرا صعبا، يقول زهير ابن أبي سلمى[5] :

وَدَارٌ لَهَـــا بِالرَّقْمَتَيْـــنِ كَأَنَّهَـــا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

---

[1] الديوان ، ص : 107.

[2] زكريا عبد الرحمن صيام، "شعر بيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه" ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985 ، ص : 157.

[3] الديوان ، ، ص : 32.

[4] الديوان، ص :80.

[5] الديوان، اعتنى وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 2005م ، ص :65 .

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةٍ فَلأَيًــا عَرَفْتُ الــدَّارَ بَعْــدَ تَوَهُّمِ

وقد غدا وطن الشاعر مقفرا فاتخذته الحيوانات مسكنا لها، فخاب أمله في عودة ماضيه الجميل الذي اندثر مع اندثار هذه الأطلال. يقول عبيد ابن الأبرص[1]:

لِمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِالجَنَــابِ غَيْرَ نُؤْيٍ ، وَدِمْنَةٍ كَالكِتَابِ
غَيَّرَتْهَا الصَّبَــا وَنَفْحُ جَنُوبَ وَشَمَالٍ تَذْرُو دُقَاقَ التُّرَابِ
أَوْحَشَتْ بَعْدَ ضُمَّرٍ كَالسَّعَالِي مِنْ بَنَاتِ الوَجِيهِ أَوْ حَلاَبِ

ويقول امرؤ القيس مصوّرا حياة الحيوان بتلك الأطلال[2]:

تَرَى بَعَرَ الأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

وهو تعبير عن « الديار الموحشة الّتي قد خلت من أهلها واتخذت الأرام من مرتعا لها ، تبعر في عرصاتها »[3].

كخلاصة لما سبق ،نقول إنّ الاغتراب الوجودي في المقدّمــة الطلليــة مرتبــط بإحساس الشاعر الجاهلي بسطوة الزمن الذي طالما واجهه بتحدّي الموت، و جعله يختبر حسّ التلاشي و الفناء ،الذي يهدّد الإنسان و المكان,

2.1 **الاغتراب النفسي** :

لقد أدركنا فيما سبق كيف أنّ الواقع الطبيعي (البيئي) حــرم الجــاهلي نعمــة الاستقرار، وجابهه بالقهر المستمر في حلّه وترحاله، فأسهم بقدر وفير في اغترابه ؛ فهــل كان الواقع الاجتماعي يا ترى مهيأ لأن يشيع الطمأنينة في وجدان وحياة الجاهلي ليجنّبه الاغتراب ؟

---

[1] الديوان، شرح أشرف أحمد عَدَرة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1994 م ، ص : 35-36.

[2] الديوان ، ص: 22.

[3] علي إبراهيم أبو زيد ، "امرؤ القيس أمير الشعر العربي الجاهلية "، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 ص : 73.

يعود الاغتراب النفسي في أساسه إلى العلاقة المتوتّرة الّتي تربط الفرد بمجتمعه، والتي تجعله يفقد توازنه النفسي وعلّة وجوده وجوهره ، وبذلك يدخل عالم الاغتراب؛ الذي يشلّ مقدرته على الفعل والتحكم في مجرى حياته، ويؤدي به إلى الانفصال عن الآخرين والتخلّي عن الحياة الاجتماعية كآخر مرحلة له، وهذا يوحي لنا بأنّ أغلب المغتربين نفسيا كانوا مغتربين اجتماعيا، بمعنى أن اغترابهم كان في جانب كبير منه أثرا من آثار نبذ المجتمع أو تجاهله أو مطاردته لهم، ومن ثمّ أصبحوا غرباء عن الآخرين .

- فعنترة بن شدّاد واحد من الشعراء الذين استشعروا غربتهم وهم في أوطانهم وبين أهليهم وذلك نتيجة جفاء الأقرباء.

لقد كان اغتراب عنترة النفسي في أساسه أمرا طبيعيا ناجما عن التمييز العِرقي الذي عانى منه ؛ فقد تنكّرت له القبيلة والأب وأُهين لسواد لونه ، فعاش غريبا بين ناسه الذين لم يقدّروه حقّ قدره ،على الرغم ممّا قدّمه لهم من انتصارات وبطولات، ولذلك جاء شعره طافحا بمرارة الغربة مُعبّرا عنها بأصدق الأحاسيس.

يقول عنترة العبسي واصفا غربته بين ذويه[1]:

إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ مِنْ رُبَى العِلْمِ طَفَا بَرْدُهَا حَرَّ الصَّبَابَةِ وَ الوَجْـــد

وَذَكَّرَنِي قَوْماً حَفِظْتُ عُهُودَهُمْ فَمَا عَرَفُوا قَدْرِي وَلاَ حَفِظُوا عَهْدِي

ويقول أيضا معبرا عن نفس المعنى[2]:

إِذَا فَاضَ دَمْعِي وَاسْتَهَلَّ عَلَى خَدِّي وَجَاذَبَنِي شَوْقِي إِلَى العَلَمِ السَّعْدِي

أَذْكُرُ قَوْمِي ظُلْمَهُمُ وَبَغْيَهُمُ وَقِلَّةَ إِنْصَافِي عَلَى القُرْبِ وَالبُعْدِ

---

[1] الديوان ، ص : 23

[2] الديوان ، ص : 31

بَنَيْتُ لَهُمْ بِالسَّيْفِ مَجْداً مشيـــداً فَلَمَّا تَنَاهَى مَجْدُهُمْ هَدَمُوا مَجْـــدِي

إنّ هذا الظلم والاحتقار الذي يُكنّه قوم الشاعر له جعلا دموعه تفيض مـــن الألم والحسرة على نفسه.

و تزداد غربة الشاعر عندما يلتفت حوله فلا يجد صديقا يواسيه ويشاركه أفراحه وأتراحه ،يقول[1]:

وَكُلُّ قَرِيبٍ لِي بَعِيدُ مَوَدَّةٍ وَكُلُّ صَدِيقٍ بَيْنَ أَضْلُعِه حِقْدُ

وامرؤ القيس كعنترة عانى غربة الأصدقاء، يقول معبّرا عن ذلك[2]:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ وَقَرَّتْ بِهِ العَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرا

كَذَلِكَ جَدِّي مَا أُصَاحِبُ وَاحِداً مِنَ النَّاسِ إِلاَّ خَانَنِي وَتَغَيَّـــرَا

فالشاعر لم يعرف معنى الصداقة الحقيقية؛ لأنّه كلّما « لقي إنسانا و رجى منـــــه حسن الصحبة، وأمل فيه خيرا، وجد منه عند الاختبار مالا يرضاه ولا تقرّ بـــه عينـــه، فاستبدل به آخر لكنّ التالي ليس بأفضل من السابق، ذلك حظه من الناس لا يتخذ منهم صاخبا إلا خانه وتغيّر»[3]، ولذلك حدث الانفصال عنهم، فهم يعكسون لونا قاتما مـــن نفاق المجتمع وزيفه.

---

[1] الديوان ، ص : 29

[2] الديوان ، ص : 97.

[3] الطاهر أحمد مكي ، "امرؤ القيس ، أمير شعراء الجاهلية ، حياته وشعره"، دار المعرفة، القاهرة ، ط 2، 1970، ص :251 .

وكان مصدر اغتراب طرفة بن العبد ظلم الأهل وذوي القربى، فبعد وفاة والده وهو حدث « كفله أعمامه ، إلاّ أنّهم أساءوا تربيته ، وضيقوا عليه ، فهضموا حقـــوق أمّه البعيدة عن قومها »[1] مستغلّين يتمه وصغر سنه، فعبّر عن مأساته شعرا قائلا[2] :

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

إن الظلم يُولّد إحساسا قاهرا لدى الفرد، فكيف إن كان مصدره أقرب النـــاس، فمن المؤكّد أنّه سيكون « أشدّ تأثيرا على النفس من ضرب السيوف القاطعة ، وهـــذا الموقف الشعري يؤكّد إحساس طرفة بالظلم وإحساسه أيضا باليأس »[3] ؛ لأنّه حُرم من حقوقه، فما كان منه إلا أن سلك طريقا رأى فيه خلاصه ،فانكبّ على شرب الخمـــر لعلّه يقهر يأسه وينسى الجور المسلّط عليه، ولكن ردّ فعل القبيلة جاء قاســـيا ؛حيـــث طردته لأنّه خرج عن قيمها.

يقول طرفة[4]:

وَمَازَالَ تَشْرَابِي الخُمُورُ وَلَذَّتِي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْـــرَادَ البَعِيـــرِ المُعَبَّدِ

وعندما وجد طرفة نفسه وحيدا آخر المطاف راح يطوف بطول البلاد و عرضها وعاش غريبا محروما من الأهل و العصبية التي هي ركيزة الحياة القبلية فضاق ذرعا بحياة الغربة وتمنى لو أنّه عاش حياته بين أقاربه، و"لكنّه لا يستطيع أن يحقق هذا التوازن فأهله اتفقوا على ظلمه و احتقاره و قطع حبال الودّ التي يريد لها أن تقوى و تشتدّ" [5]

---

[1] فتحي أحمد عامر ، "في مرآة الشعر الجاهلي" ، دار المعارف ، الإسكندرية ، د.ت ، ص : 320.

[2] الديوان ، اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص : 36.

[3] علي إبراهيم أبو زيد ، « طرفة بن العبد شاعر البحرين في الجاهلية ، دراسة أدبية لشعره وشرح ديوانه » ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1، 1983 دار الاندلس للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، ، ص : 59.

[4] الديوان ، ص : 33.

[5] عبد العزيز نبوي، "دراسات في الأدب الجاهلي"، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، 2004م، ص :288.

إنّ المتأمل في شعر طرفة يستشفّ مرارةً وألما وإحساسا قويّا بالضياع والاغتراب النفسي ، كما يَلمح من خلال تجربته بواكير فلسفية ، تُذكِّر بالفلسفة المادية ، وتلك الوجودية ، لجهة انسياق الشاعر وراء إرضاء غرائزه وانغماسه في اللذة التي تشوبها المرارة والأسى وطعم الحسرة الداخلي الذي يجتاح نفسه المعذبة.

- **الشعراء الصعاليك**:

تعد ظاهرة الصعلكة من أهم مظاهر الاغتراب النفسي في العصر الجاهلي، وهي ثمرة من ثمار انعدام الشعور بالتوافق مع قيم الجماعة ،واحتجاجا على غياب العدل ولتخلّف أهم الشروط الضرورية التي يعتمدها مبدأ التكافؤ، و هو أُولى ضرورات التكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة،كما تعدّ و تمردا على النظرة العرقية التي كانت تولّد أزمات نفسية عند من رفضت القبيلة أن تنسبهم إليها.

كل هذه العوامل دفعت الصعاليك إلى الثورة على المؤسّسة القبليّة التي سلّطت على أفرادها قيما مادّية و معنويّة أرهقتهم و زعزعت استقرارهم النفسي.

لقد « كانت الروح القبلية هي الأساس في الرؤية الجاهلية على الغالب . وإن هذه الروح كانت توفّر إمكانية المساواة النظرية بين كل الأفراد على الصعيد النظري ، لكن الفوارق في الواقع العملي كانت كبيرة جدا »[1] ؛ لأنّ الحياة القبلية مؤسّسة على مبدأ القوة أوّلا ،و عليه، فإن تحقيق المساواة كان ضربا من المستحيل، وقد أدّى هذا الواقع الظالم بمجموعة من الأفراد (لُقّبوا بالصعاليك) إلى رفضه والتمرد على قيم القبيلة والخروج عنها، فهي قيم أساسها القهر واللاّعدالة ، فالقبيلة لم تُقدِّر هؤلاء و لم تعترف بكفاءاتهم (معظمهم كان يمتلك صفات الشجاعة والقوة) واحتقرتهم لفقرهم ،فكرهوا الفقر؛ لأنّه سبب في هوان منزلتهم الاجتماعية و« المتأمل في أخبار الصعاليك وأشعارهم يلفت نظره إحساس مريب بوقع الفقر على نفوسهم، وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن الأخذ بنصيبهم من

---

[1] خليل إبراهيم ، « القلق في الشعر الجاهلي » ، ص : 265.

الحياة كما يأخذ سائر أفراد مجتمعهم ، أو الوقوف معهم على قدم المساواة في معترك الحياة ، لا لأنّهم عاجزون وإنّما لأنّ مجتمعهم ظلمهم وحرمهم من تلك العدالة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد في مجتمعه ، وجرّدهم من كل الوسائل المشروعة التي يواجهون بها الحياة كما يواجهها غيرهم »[1]. فلم يكونوا ليقبلوا بهاته المقاييس الجائرة الّتي فرضتها القبيلة، فثاروا عليها وأشهروا السلاح في وجه مجتمع ظالم سحقهم و لم يبالي بهم.

وعروة ابن الورد من أشهرهم، وهو« صعلوك من أشرف الصعاليك يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه، ويبذل كل شيء في سبيل الغير، أمّا صعلكته فعن حاجة وفقر وعن رغبة في إغاثة ذوي الحاجة»[2]، فقد كان يدرك جيّدا أثر الفقر في غربة الإنسان بين أهله وذويه، ولذلك اتخذ من الإغارة وسيلة لكسب المال حرصا منه على الانتماء، يقول معبّرا عن هذا المعنى[3]:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى، فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُم الفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
وُيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

فتَوفُّر المال يصل عروة بذوي القربى و الناس، وبذلك لا يعيش على هامش الحياة غريبا بينهم ،ومن هنا كان يسعى جاهدا للحصول عليه، يقول [4]:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشاً لِنَفْسِهِ شَكَا الفَقْرَ، أَوْ لاَمَ الصَّدِيقُ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الأَذْنَيْنِ كَلاًّ ، وَأَوْشَكَتْ صِلاَتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تنكَرَا
وَمَا طَالِبُ الحَاجَاتِ ، مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ مِنَ النَّاسِ ، إِلاَّ مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا

---

[1] يوسف خليف ، "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي" ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، د.ت.ن ، ص : 33.

[2] حنا الفاخوري، "موجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم"، دار الجيل ، بيروت، ط 3، 1/129.

[3] الديوان، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء بوبكر، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1998م ، ص:58.

[4] الديوان، ص :77

فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَ الْتَمِـــسْ الغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوت فَتُعْـــذَرَا

إضافة إلى العامل الاقتصادي المتمثل في عدم المساواة والعدالة الاجتماعية ،هنـــاك عامل آخر ساهم في وجود ظاهرة الصعلكة وهو عامل الاهتمام بالنقاء السُلالي ، الذي كان سببا في اضطهاد الإنسان ، حيث تجرّع أبناء الإماء والحبشـــيات مـــرارة ذلـــك الاضطهاد، إذ « نبذهم آباؤهم و لم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شرّا والشنفرى، وكانوا يتشاركون وأمهاتهم في سوادهم فسموهم وأضرابهم باسم أغْربة العرب »[1] والتسمية لوحدها تحمل ما تحمل من دلالات الغربة.

لقد فرض العرف العام على الآباء عدم الاعتراف بأبنائهم الذين يُولدون لهم من غير النساء العربيات ما نجم عنه معاناة نفسية شديدة لدى هؤلاء الشعراء ، فحرمانهم من النسب دفعهم إلى النقمة على الزمن والتمرد على بيئتهم . وكان من بينهم مـــن هجـــر القبيلة وتخلّى عن جنسيته القبلية مثل الشنفرى الذي خـــرج إلى الـــبراري واســـتأنس بالوحش، واتّخذه رفيقا له بدل الناس ،وهو ما عبّر عنه في لامية العرب؛ وهي القصيدة الّتي تضعنا « أمام ذات أرهقها المجتمع الإنساني بظلمه وأذاه وبغضه ، فإذا هـــي تخلـــع انتمائها إلى هذا المجتمع وتؤسس انتماء جديدا لها إلى المجتمع الحيواني »[2] إذن، لقد اختار الشنفرى المفارقة مستغنيا عن الانتماء لقبيلته معلنا الحرب عليها ، وبانسحابه من الجماعة القبلية كان مضطرا لأن يهجر القبيلة، فكان اغترابه المكاني نتيجـــة مباشـــرة لاغـــترابه النفسي وعدم تواؤمه مع القبيلة.

يقول الشنفرى[3]:

أَقِيمُوا بَنِي قَوْمِي صُدُور مَطِيِّكُـــمُ فَإِنِّي لِقَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَميـــــلُ

---

[1] شوقي ضيف ، « العصر الجاهلي » ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 8 ، د.ت. ، ص : 375.

[2] وهبة أحمد رومية ، "شعرنا القديم والنقد الجديد "، ص : 265.

[3] الديوان ، جمع و تحقيق و شرح : إميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1996، ص :58-59

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدُ عَمَلَّسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعَرْفَاءُ جيْئَلُ
هُمْ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِ ذَائِعُ لَدَيْهِم وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

فالشنفرى وجد عند الحيوانات ما لم يجده عند البشر على الرغم من ضراوتها وشراستها، فاختار المفارقة لّما « رأى الناس وحوشا ، ورأى الوحوش أجدر بالمعاشرة ، صار الحضور عنده اختيارا يسنده الاغتراب عن الناس والإصغاء للكون ، الكون أرحب : ذئابه ، ضباعه ، نموره ، قطاه ، أفاعيه ، جنّه ، صحراؤه وليله : كلها أهل للشنفرى لا يضيقون به ولا يضيق بهم »[1]

والوضع نفسه قائم عند تأبط شرا، فقد ألف الوحوش وألفته حتّى أنّه تجنّب صيدها

يقول : [2]

يَبِيتُ بِمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ وَيُصْبِحُ لاَ يَحْمِي لَهَا الدَّهْرُ مَرْتَعاً
رَأَيْنَ فَتَى لاَ صَيْدَ وَحْشٍ يُهِمُّهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْساً لَصَافَحْنَهُ مَعاً

ويقول أيضا[3]:

فَأَصْبَحْتُ وَالغُولُ لِي جَارَةٌ فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلاَ

فهل أغنى الحيوان الشاعر عن الإنسان والحياة الاجتماعية في كنف القبيلة؟ ،وهل ساعده على قهر اغترابه كما يؤكد الشاعر القديم ذلك في قصائده ؟

إنّ المتفحص لهذه القصائد التي يدّعي فيها الشاعر أُنسه بالحيوان،يستشعر أنّها مُبطنة بالألم والمرارة والحزن الذي يخيّم على هؤلاء الصعاليك ، فهم وإن كانوا يرفضون قيم مجتمعهم والقبيلة ، ويستغنون عنها ظاهرا إلاّ أنّهم يُخفون شوقا عارما للانتماء إليهما، فهم أصبحوا غرباء تهدّدهم حياة التيه والتشرد والضياع، فحنّوا إلى العيش وسط

---

[1] عبد الحفيظ بورديم ، « النص الشعري العربي المعاصر ، من حضور الوهم إلى بلاغة الشهود » ، دار البشائر للنشر والاتصال ، الجزائر ، ط 1 ، 2002 ، ص : 18.

[2] الديوان ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2003 ، ص : 34-35.

[3] نفسه ، ص : 48

قبائلهم حياة الجماعة بدل أن يقاسوا الوحدة؛ لأنّ الاجتماع بالنسبة للإنسان ضـــرورة وجودية.

وإذا كان الشنفرى تخلّى عن الجنسية القبلية بكامل إرادته ،فإنّ هنـــاك مجموعـــة أخرى من الصعاليك أُجبرت على فعل ذلك، وقد لُقِّبوا بالخُلعاء ؛لأنّهم جُـــرِّدوا مـــن الجنسية القبلية وطُردوا من القبيلة؛ وذلك لخروجهم عن إرادتها ورفضهم الإذعان لها، أو لما ارتكبوه من جَرائر فتبرّأت من نسبتهم إليها ،حتّى لا تتحمّل حمايتهم، ومن بين هؤلاء نجد قيس بن الحدادية الذي أشار إلى عمق المرارة التي ولّدتها أزمة الخلع في نفسه قائلا[1]:

أَنَا الَّذي تَخْلَعُهُ مَوَاليه وَكُلُّهُمْ بَعْدَ الصَّفَا قَـــاليه

وَكَهْلُهُمْ يُقْسِمُ لاَ يُبَالِيه أَنَا إِذَا المَوْتُ يَنُوبُ غَالِيه

فالخليع وضيع في مجتمعه ، يدفع به عنف الحياة في الصحراء ليُواجه مصيره المجهول وحيدا دون حماية حتّى تتبخّر الطمأنينة والأمن اللذان يُوفِّرهما الانتماء والقـــرب مـــن الأهل، ويصوّر الأعشى الحالة المأساوية التي يعيشها الغريب بدقـــة ويعرضـــها بكـــل تفاصيلها، قائلا[2]:

مَتَى يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَ يَجِدْ لَـــهُ عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطُ حَوَالِيهِ مُغْضَبَا

وَيَحْطِمُ بِظُلْمٍ لاَ يَزَالُ يَرَى لَـــهُ مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَبَجَّرَا وَمَسْحَبَا

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسِيءْ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

فالأعشى يُوضِّح من خلال هذه الأبيات « الإرادة المتلفة عند الإنسان الغريب ، فلا يجوز له أن يغضب ، ولا يحق له أن يعترض ، فلا مجال له في الحالتين بعد أن حُـــرم

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني ، "الأغاني" ، تحقيق : إحسان عباس و إبراهيـــم الســـعافي ، دار صـــادر ، بيروت، ط 2 ،14، 2004 / 102 .

[2] كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير، شرح : أبي العباس ثعلب ، مطبعة أدولف هلز هوسن، فيانة ،1927 ، ص : 88

ممّن يشدّ أزره إذا خاصم ، وليس هنالك من ينتصف له في لحظات الاحتكام ، على العكس من الخصم »[1]؛ لأنّ هذا الخصم ينتمي إلى القبيلة التي طلب إليها الخليع الجوار، وأهل الشاعر بعيدون عنه وهو غريب في هذه القبيلة.

يقول[2]:

دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِي فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ وَنَادَيْتُ قَوْمَا بِالْمَنَّسَاتِ غُيَّبَا

وكخلاصة لما سبق، نستطيع أن نقول بأنّ الواقع الجاهلي ببعديه: الطبيعي (البيئي) مُمثلا في هجرة العربي بحثا عن مواطن الماء و الكلأ، و الاجتماعي ممثلا في نظام المؤسسة القبلية القائمة على الطبقية الاجتماعية و النقاء السلالي فرض عليه الاغتراب المكاني والنفسي، وحرمه من الاستقرار و الطمأنينة.

2.الاغتراب في الشعر الإسلامي :

كان لمجيء الإسلام أثرا واضحا في الحياة العربية ، فقد أسهم في تغيير الفكر الجاهلي، والقضاء على العادات السيئة ،وكان لهذه التغيرات الحاصلة دورها في إشاعة الأمن والأمان في النفوس الضائعة المضطربة. لقد أخرج الإسلام العرب من « ظلمات حياتهم الجاهلية الوثنيّة المادّية إلى أضواء حياة روحية سماوية »[3] وكان لتعاليمه السمحة الفضل في التخفيف من حدة القلق والاغتراب النفسي الذي كان يأسر أنفسهم ويؤرقهم، حيث احتوت تعاليمه نبذ كل ما يزعزع العلاقات السوية والقوية بين الناس، فقضى على العصبية، وآخى بين القبائل ،وحرّم العادات الجاهلية كالأخذ بالثأر ، وأصبح الناس سواسية،لأنّ معيار التفرقة بينهم هو التقوى (المعايير الروحية) وليس المعايير المادّية الجاهلية التي تمثلت في الطبقية كأساس في تقييم الإنسان ، فالمال إما أن يرفع صاحبه إلى

---

[1] عبد القادر عبد الحميد زيدان ، « الغربة والتمرد في الشعر الجاهلي » ، ص : 69.

[2] الديوان ، ص :88

[3] شوقي ضيف ،" التطور والتجديد في الشعر الأموي" ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط 6 ، د.ت. ، ص : 11.

طبقة السادة وإما أن يُترله إلى درجة العبد الذي تُهضم حقوقه، إضافة إلى النقاء العِرقي أو السُلالي كأساس ثان والذي رأينا كيف أثّر في الكثير ممن سُمُّوا بأغْرَبَة العرب وقضى على إنسانيتهم؛ إذ حُرموا نعمة الانتماء فقط لأنّ لون بشرتهم كان أسودا، فكان الإسلام واضحا بهذا الشأن؛ حيث جاء في الحديث النبوي الشريف قوله الرسول صلى الله عليه و سلّم : « ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود و لا لأسود على أحمر إلاّ بالتقوى إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم »[1]، كما أنّ العدالة الاجتماعية والمساواة التي كانت مفقودة في العهد الجاهلي أصبحت السمة الأساسية للمجتمع الإسلامي الذي فرض الزكاة وجعلها رُكنا من أركانه الخمسة التي يقوم عليها الإسلام . وكان نتيجة ذلك كله انتشار الأمن والاستقرار، وهدوء النفوس التي شاعت فيها الطمأنينة والسلام؛ ممّا أدّى إلى اختفاء ظاهرة الصعلكة التي لم يَعُد لها داع يُبررها . كما تبدّدت جميع المظاهر الّتي كانت أساسا لظهور الاغتراب النفسي في العصر الجاهلي . إلاّ أنّ الاغتراب المكاني ظل حاضرا وبقوة في هذه الفترة ؛وذلك نتيجة طبيعية للفتوحات الإسلامية؛ حيث كان « الفتح الإسلامي بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير ومُنظّم ، وقد كانت هناك دوافع عديدة للاشتراك ضمن قوافل المجاهدين أهمها الدافع الديني، فقد لبّى داعي الجهاد في سبيل الله آلاف المسلمين ، طاعة لله وابتغاء رضوانه »[2]. فوجد هؤلاء المسلمون أنفسهم بعيدين عن أوطانهم مغتربين عن أهلهم وخلاّنهم؛ فاستبدّ بهم الشوق والحنين؛ وعصف بنفوسهم، لقد فتحت هذه الغربة قرائح الشعراء فجاءت أشعارهم طافحة بمشاعر الحنين إلى الأهل والوطن الذي فارقوه ، وزاد من هذه المشاعر صعوبة تأقلم الفاتحين واندماجهم في تلك البلدان التي فتحوها بداية الأمر بسبب اختلاف مظاهر الحياة هناك ، فبدا كل شيء غريبا عنهم، وهو ما نلمسه في قصائدهم التي جاءت صادقة ومؤثرة تبعث الأسى والحزن في نفوس مُتلقيها.

---

[1] محمد بن ناصر الدين الألباني ،"صحيح الترغيب و الترهيب" ، مكتبة المعارف ، الرياض ،ط 5، 5/102

[2] فاطمة حميد السويدي ، « الاغتراب في الشعر الأموي » ، ص : 21.

وفي هذه الأبيات يعبر أعرابي مجهول عن غربته التي ضاق بها بين قوم ليسوا قومه، ولا من عشيرته ، ولا حتّى من لسانه ، فغلبه الشوق إلى أهله قائلا[1]:

دَعِ المَطَايَا تَنْسِمُ الجَنُوبَ إنَّ لَهَا نَبَـــأً عَجِيبـــا
حَنِينُهَا وَمَا اشْتَكَتْ لُغُوبَا يَشْهَدُ أَنْ فَارَقَتْ حَبِيبا
مَا حَمَلَتْ إلاَّ فَتًى كَئِيبـــاً يُسِرُّ مِمَّا أَعْلَنَتْ نَصِيبا
لَوْ تَرَكَ الشَّوْقُ لَنَا قُلُوبَا إذاً لأَثَرْنَا بِهَا النَّيِيبَـــــا
إنَّ الغَرِيبَ يُسْعِدُ الغَرِيبَا

فقارئ هذه الأبيات لا يخفى عنه غناها بملامح نفسية وإنسانية متوهجة ، ملامح الحنين والشكوى وأسى النفس الذي سببه الفراق والبعد . وقد استخدم الشاعر المطايـــا كوسيلة للتعبير عن هذه الأحاسيس التي تعتلج بين جوانحه وإن كان الظاهر يوحي بـــأنّ الشاعر يكشف عن نفوس الإبل . فالمطايا إذن تمثل المعادل الموضوعي لحالة الشـــاعر . و«لعل عدول الشاعر عن ضمير المفرد إلى ضمير الجماعة يصلح دليلا على أنّ هذا النص لا يعبر عن حالة فردية ، بل يعبر عن المناخ الروحي والنفسي العام لأولئك المغـــتربين في تلك المرحلة القلقة من حياة الإنسان العربي »[2] وفي البيت الأخير يصور الشاعر العلاقة التي تربط الغريب بالغريب (الشاعر والإبل).وسعادة كل منهما بالآخر ، فهما يواسيان بعضهما، ويشعر كل واحد منهما بمأساة الآخر وحزنه ، فيخفف من غربته.

لقد أسقط الشاعر تجربته الوجدانية على هذه المطايا محاولا قهر غربته والتخفيف من وقعها القاسي على النفس ،أو ربما كسر بعض من حِدّتها.

وهذا شاعر آخر جعل من القمرية الحزينة أنيسا له يستعين بها ويخفف عنه غربته على اعتبار أنّها غريبة مثله، يقول[3]:

---

[1] توفيق البكري الصديقي ،" أراجيز العرب" ، د.ب.ن ، ط 1 ، 1313ه ، ص : 4-5

[2] أحمد وهبة رومية ، « شعرنا القديم والنقد المعاصر » ، ص : 167.

[3] شهاب الدين ياقوت الحموي ، « معجم البلدان » ، إشراف فريد الرفاعي ، مطبوعات دار الملايين ، مصر ، د.ت ، 5/ 114.

أَقُمَرِيَّة الوَادي الّتي خَانَ إِلْفُهَا مِنَ الدَّهْرِ أَحْدَاثاً أَتَتْ وَخُطُوبُ
تَعَالِي أُطَارِحُكِ البُكَاءَ فَإِنَّنَـا كِلاَنَا بِمُرُو رِ الشَّاهِجَان غَرِيبُ

لقد انسجم الشاعر مع صوت هذه القمرية الحزين؛ حيث أنّه لامس دواخله المغتربة وعبّر عن حزنه أحسن تعبير.

وتزداد وطأة الاغتراب شدّة على النفس الشاعرة عندما يخاف صاحبها الموت بعيدا عن أهله وخلانه،وعن وطنه الذي يحتل مكانه سامية وعزيزة في وجدانه، وهو ما يتجلّى في قصيدة مالك بن الريب؛ حيث « يجيش النغم الشجي منذ البداية ، ويتفجر نهر من لوعة الحنين بل شلال من عذابات الفراق . وقد بلغ هذا النغم الملتاع الذروة؛ لأنّ ذلك الفراق هو الفراق الأبدي ، فالشاعر كان يكتب قصيدته وهو على فراش الموت طريحا في الطريق ، مغتربا عن الأرض الأمّ والأحباء »[1] والقصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها حوالي ثمانية وخمسين بيتا، وتُعدّ أطول مارثى به شاعر نفسه.

يقول مالك بن الريب مُعبّرا عن غربته[2]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَـــةً بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجِي القَلاَص النَّوَاجِيَا
فَلَيْتَ الغَضَى لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبَ عَرْضَهُ وَلَيْت الغَضَى مَا شَى الرِّكَابَ لَيَالِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَى ، لودنا الغَضَى مَـزَارٌ وَلَكِنَّ الغَضَى لَيْسَ دَانِيَـا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلاَلَةَ بِالهُـدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّا نَ غَازِيَا
وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الأَعَادِي بَعْدَمَـا أَرَانِـي عَنْ أَرْضِ الأَعَادِي قَاصِيَـا

---

[1] حسن فتح الباب ، « رؤية جديدة لشعرنا القديم » ، دار الحداثة للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1984 ، ص : 59.

[2] ديوانه حياته و شعره ، تحقيق :نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية ،المجلد 15 ،1/ 88-91

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ طُـــولَ رِحْلَتِي سِفَارُكِ هَذَا تَــارِكِي لاَ أَبَا لِيَـــــا

فَللَّه دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعـــــــاً بَنِي بِأَعْلَــى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَّـــــا

وَدَرُّ الضِّبَاءِ السَّانِحَاتِ عِيْشَـــــــةً يُخْبِرْنَ أَنِّي هَالِــكٌ مَنْ وَرَائِيَـــــا

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِـــدْ سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِي بَاكِيَا

وَأَ شْقَرَ مَحْزُونٌ يَجُرُّ عِنَانَـــــــهُ إِلَى المَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ المَوْتُ سَاقِيَــا

وفي البيتين الأخيرين يبدع الشاعر في التعبير عن غربته ووحشته، فهو لم يجد من يبكيه إلاّ سيفه فبقى وحيدا منكسر النفس.

ثمّ يقول وهو يصوّر وحدته وغربته في لحظة الموت، وفي غيابة في القبر النائي عن الأهل والوطن[1]:

يَقُولُونَ لاَ تَبْعُـــدْ وَهُمْ يَدْفُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَـــا!

غَدَاةَ غَدٍ ، يَالَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثاوِيَا

غَرِيبُ الدَّارِ ثاوٍ بِقَفْـــــرَةٍ يَدَ الدَّهْرِ ، مَعْرُوفاً بِأَنْ لاَ تَدَانِيَا

لقد تجلّت في هذه القصيدة عاطفة الانتماء إلى الوطن في أروع صورها وأعمقها، وهذا ما يتبدّى من خلال تعبير مالك بن الريب عن حبّه لتلك المجالي الصحراوية التي وُلد بها وترعرع في أعناقها ثمّ قضى نحبه بعيدا عنها، وعلى العموم ،فـــإنّ الملاحِـــظ لشـــعر الاغتراب في عهد الفتوحات الإسلامية يرى تميّزه بسمات مشتركة، فهو شعر وجـــداني

---

[1] نفسه ، ص 93-95

عذْب ، رقيق يتوهج بالشوق ويفيض بالمشاعر الإنسانية الأصيلة ، وتطغى عليه العاطفة الصادقة،كما أنّه معبّر عن الغربة القاسية و مُفعم بحزن إنساني تخالطه مرارة إنسانية ، وهو شعر يستبطن الذات ويصوّر أحاسيسها وانفعالاتها وانكساراتها وخيباتها ، فتبرز فيه لحظة الضعف الإنساني.

3 ـــ الاغتراب في الشعر الأموي :

بعدما تعرّفنا على بواعث الاغتراب المكاني في عصر الفتوحات الإسلامية سنحاول في هذا المبحث التعرف على الأسباب والظروف التي أدّت إلى اغتراب الشاعر الأموي، وعلى أنواع الاغتراب الجديدة التي ظهرت؛ وذلك من خلال مجموعة من القصائد.

إنّ المتأمل في الشعر الأموي يدرك غناه بالقصائد المعبّرة عن ظاهرة الاغتراب سواء المكاني أو النفسي ، مع ظهور نمط جديد يمكن إدراجه ضمن هذا الأخير ، وذلك بسبب مجموعة من العوامل والظروف التي تميَّز بها العصر الأموي عن غيره من العصور السابقة.

-1 الاغتراب المكاني :

تعود بواعث هذا النمط من الاغتراب في العصر الأموي إلى ظروف اجتماعية وأخرى اقتصادية.

1. 1 الظروف الاجتماعية:

لقد كان الزواج خارج القبيلة من أهم الأسباب التي اضطرت المرأة إلى التغرّب عن البادية و السكن مع زوجها في المدينة، وهو ما جعل الكثيرات منهنّ يُقمن فيها وقُلوبهن معلّقة بمواطنهن، يشتقن إلى عيش البادية و قساوته على الرغم من بحبوحة العيش التي توفرها لهنّ حياة المدنية، وذلك راجع إلى طبيعة العربي، فهو شديد التمسك بوطنه،

عميق الانتماء إليه، و« ويرى في الابتعاد عن البادية كربا ومذلّة »[1]، ومن بين هـــؤلاء النسوة "ميسون بنت بحدل الكلبية" التي انتقلت إلى الشام مع زوجها معاويـــة ابـــن أبي سفيان فظلّت تحن إلى البادية ،تقول معبرّة عن ذلك:[2]

وَلَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأَرْوَاحُ فِيـــــهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيـــــفِ
وَلِبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِـــــي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُـــوفِ
خُشُونَةُ بَدَوِيٍّ فِي العَيْشِ أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنْ العَيْشِ الظَّرِيفِ
فَمَا أَبْغِي سِوَى وَطَنِي بَدِيـــلاً فَحَسْبُ ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفِ

ومن خلال هذه الأبيات ندرك كيف أن رابطة الزواج على متانتها، علاوة على بحبوحة العيش لم تستطع أن تُنسي البدوية ذكرى قبيلتها وحنينها لأهلها، بـــل كـــانت أصلا لغربتها.

وكان ثاني أهم سبب أدّى إلى الاغتراب المكاني السعي وراء المال وبلوغ المكانة الاجتماعية السامية، لكن لا هذا المال و لا هذه المكانة استطاعتا أن تقهـــرا حنين العربي لموطنه وشوقه لأهله، يقول الحارث ابن خالد المخزومي[3]:

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَالأُقْحُوَانَـــةُ مِنَّـــا مَنْزِلٌ قَمَنُ
مَنْ كَانَ ذَا سَكَنٍ بِالشَّامِ يَأْلَفُهُ فَإِنَّ فِي غَيْرَهُ أَمْسَى لِي السَّكَـــنُ
وَإِنَّ ذَا القَصْرِ حَيٌّ مَابِهِ وَطَنِي لَكِنْ بِمَكَّةَ أَمْسَى الأَهْلُ وَالوَطَنُ.

وهكذا كان الزواج بالإضافة إلى طلب المال والمكانة الاجتماعية السامية من أهمّ العوامل الباعثة على الاغتراب المكاني ، فما كانت البواعث الـــتي أدّت إلى الاغـــتراب الاقتصادي ؟

---

[1] ينظر الجاحظ عمرو عثمان بن بحر ، " الحنين إلى الأوطان " ، تحقيق الطاهر الجزائري ، مطبعة المنار ، 1333 ه ، ص 10

[2] البغدادي عبد القادر بن عمر ،" خزانة الأدب ولب لباب العرب " ، تحقيق ; ألبرت يونس كنعـــان، المطبعـــة الكاثوليكية ، ط 2 ،1968، 4 / 13.

[3] شعر الحارث ابن المخزومي، تحقيق: يحيا الجبوري، منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، 1972م، ص:101.

2.1. الظروف الاقتصادية:

كانت رحلة الشعراء إلى الخليفة وتغرّبهم عن موطنهم سبيلهم في إطلاع أولي الأمر بما تقاسيه الرعية من عوز وحرمان، وطريقة إيجابية كي يلفتوا انتباههم إلى أوضـــاعهم المزرية التي نتجت عن "اختلال الميزان الاقتصادي والاجتماعي بين طبقات المسلمين حين تناسى أسس الإسلام التي أرساها الرسول (ص) في نفوس المسلمين وأعادها جاهلية أولى بتغدية الطبقية الاجتماعية "[1].

فقد كان هؤلاء الشعراء بمثابة لسان حال قبائلهم وأهليهم، فتجربة جرير وهـــو يشكو قلّة حيلته وعجزه أمام الوضع الاقتصادي المزري خير بيان لما عانـــاه الأفـــراد في العصر الأموي من فاقة وحرمان، يقول[2]:

أَلاَ هَلْ لِلخَلِيفَةِ فِي نِزَارٍ فَقَدْ أَمْسَوْا وَ أَكْثَرُهُمْ كُلُـــولُ
وَتدْعُوكَ الأَرَامِـــلُ وَ اليَتَامَى وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلُ
وَتَشْكُو المَاشِيَاتُ إِلَيْكَ جَهْداً وَلاَ صَعْبٌ لَهُـــنَّ وَلاَ ذَلُولُ
وَأَكْثَرُ زَادِهِنَّ وَ هُنَّ سُفْـــعٌ حُطَامُ الجِلْدِ وَ العَصَبُ المَلِيْلُ

وتجارب الشعراء الذين رحلوا إلى الخليفة كثيرة يضيق المقام لذكرها جميعا.

2. الاغتراب الاقتصادي:

تُعدّ ظاهرة الصعلكة من أهم الظواهر المعبرّة عن اغتراب الفرد في هذا العصـــر، فقد عادت للظهور بعد أن اختفت مع مجيء الإسلام ،وقد كانت ردّة فعل طبيعية على سياسة الخلفاء الذين أهملوا الرعية و استترفوا أموالهم، مهملين الزكاة، جـــاعلين منهـــا مصدرا لغناهم وترقيتهم على حساب فقر الأفراد، وبذلك ازدادت الفوارق وكبرت الهوة واتسعت بين أصحاب النفوذ وطبقات الشعب.

---

[1] فاطمة السويدي ، « الاغتراب في الشعر الأموي » ، ص :98

[2] الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت ،1986 ، ص: 347

فجاء ردّ الفعل سلبيا ممثلا في ظهور التمرّد والحركات الانفصالية الفردية والجماعية، متّخذة من العنف والعدوان والنهب أسلوبا للتعبير عن اغترابها وحرمانها من حقوقها، وهي أساليب غير مقبولة اجتماعيا .

فما كان من القبيلة إلاّ أن خلعتهم وتبرّأت من جرائمهم وساعدت السلطات في القبض عليهم، وتَرك ذلك « في أعماقهم شرخا عميق الأثر ، سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية وقسوة الحرمان من أنسي الأهل والدار، بل إنّ سلوكهم نفسه كان يخفي وراءه الفردية وشعورا عميقا بالتمزّق والتشرّد والضياع»[1].فلم يكن وضعهم أحسن من وضع صعاليك الجاهلية ، فقد اشتركوا في نفس المعاناة .

يقول مالك بن الريب مصوّرا هواجس الوحدة والخوف وحالة الترقب الدائم الّتي يعيشها الصعلوك[2]:

يَقِظِ الفُؤَادِ إِذَا القُلُوبُ تَأَنَّسَتْ جَزَعاً وَنُبِّهَ كُلُّ أَرْوعٍ بَاسِلِ

حَيْثُ الدُّجَى مُتَطَلِّعاً لِغُفُولِهِ كَالذِّئْبِ فِي غَلَسِ الظَّلاَمِ الخَاتِلِ

ويعبّر عبيد بن أيوب العنبري عن خوفه قائلا[3]:

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى خِلْتُ أَنْ لَيْسَ نَاظِرٌ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِي فَكِدْتُ أَطِيرُ

وَلَيْسَ فَمٌ إِلاَّ بِسِرِّي مُحَدِّثٌ وَلَيْسَ يَدٌ إِلاَّ إِلَيَّ تُشِيرُ

---

[1] بنت الشاطئ ، « قيم جديد للأدب العربي » ، دار المعارف ، مصر ، 1970 ، ص : 43.

[2] ديوان مالك بن الريب ، ص : 83.

[3] شعراء أمويون : تحقيق نوري القيس ، القسم الأول ، مطبعة مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، 1976 ، ص : 141 ،نقلا عن فاطمة حميد السويدي ،"الاغتراب في الشعر الاموي" ص : 109.

فقد خلعته قبيلته وكان مطاردا لجريمة ارتكبها فأهدر دمه ويقول أيضا[1]:

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَمُرُّ حَمَامَـــةٌ لَقُلْتُ: عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةُ مَعْشَرِ

فَأَصْبَحْتُ كَالوَحْشِي يَتْبَعُ مَاخَلاَ وَيَتْرُكُ مَأْنُوسَ البِلاَدِ الْمُدَعْثَرِ

وقد عبّر القتال الكلابي عن ما يختلج في نفسه من مشـــاعر إزاء هـــذا الموقـــف قائلا[2]:

كَأَنَّ بِلاَدَ اللهِ وَهِيَ عَرِيضَـــةٌ عَلَى الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ

يُؤَدَّى إِلَيْهِ، أَنَّ كُـــلَّ ثَنِيَّـــةٍ تَيَمَّمَهَا تُوحِـــي إِلَيْـــهِ بِقَاتِـــــلِ

فمن خلال هذه النصوص الشعرية ،يتّضح لنا الاضطراب النفسي الذي يُســـيطر على الخلعاء ، فالواحد منهم يعيش في قلق و ترقّب دائمين، ويتملّكه خوف شديد حتّى أصبح يعتقد أنّ الكل يراقبه ويتعقبه .

لقد كان الصعاليك مُطاردين من قبل الدولة ومن قبل الأفراد الذين تضرّروا مـــن جرائرهم؛ ممّا كان يبعث فيهم الخوف والقلق ؛ وبعد أن تقطعت السُـــبل بينهـــم وبين قبائلهم؛ طوّقهم الاضطراب ودفعهم الخوف والترقب إلى فقدان الثقة في كل ما حـــولهم كما أنّهم فقدوا العلاقات السوية مع مجتمعهم، فانصرفوا إلى الوحش يصادقونه ويُؤنسون به وحدتهم كما حصل مع الصعلوك الجاهلي.

3 -**الاغتراب العاطفي** :

تعود بواعث الاغتراب العاطفي إلى الانفصال الذي كان يفرضه المجتمـــع علـــى المتحابّين ، فاللقاء بينهما محرّم، والمحبّ الذي يتعدّى هذه الحدُود يهدر دمه . فهو معرّض

---

[1] شعراء أمويون : تحقيق نوري القيس ، ص : 102

[2] ديوان القتال الكلابي ، تحقيق :إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1961 ، ص : 99.

للموت في أي لحظة ، وانطلاقا من ذلك الواقع حدث شرخ كبير بين الفرد (الشـــاعر) ومجتمعه، فظهرت مشاعر الغربة والفقد في الشعر الأموي وبخاصّة الشعر العذري منـــه ، حيث انصرف الشعراء العذريون انصرافا يكاد يكون تاما عمّا كـــان المجتمـــع العربي يضطرب به من الأحداث ، وعما درج الشعراء أن يلتفوا إليه مـــن تجـــارب في الوصف

أو الرحلة أو الهجاء أو الرثاء أو المدح ، وداروا جميعا في فلك تجربة واحدة هي تجربـــة الحب المقرون باللوعة والفشل والحرمان ،لقد كان الحب بالنسبة للشاعر العذري ضرورة وحاجة ملحة ولكنها تتنافى مع قيم العالم الخارجي ؛أي مع تقاليد المجتمـــع العربي الّـــتي كانت حذرة في علاقة الرجل بالمرأة، وبالتالي أثّر حرمانهم من الحب ومن المـــرأة علـــى وجدانهم، وجعلهم يتخبّطون في عالم من الضيق واليأس والألم والقهر المفروض والفقـــد الدائم ؛ فكان طبيعيا « أن يكون الشعور بالغربة أو الحنين أو الفقد من الرموز الصالحة للتعبير عن ذلك الصراع من خلال تجربة الحب العذري »[1].

وهكذا اتخذ الشاعر العذري من الحرمان في الحب وسيلة للتعـــبير عـــن اليـــأس والغربة، يقول[2]:

بِمُسْتَوْحِشٍ لَمْ يمسَّ فِي دَارِ غُرْبَةٍ وَلَكِنَّهُ مِمَّنْ يَـــودُّ غَرِيـــبُ

فَلاَ تَحْسَبِي أَنَّ الغَرِيبَ الَّذِي نَأَى وَلَكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عَنْهُ غَرِيـــبُ

فغربة الشاعر تكمن في بعده عن محبوبته لا في بعده عن وطنه وهو بذلك يعطـــي للغربة مفهوما جديدا يرتبط بالبعد العاطفي ، ويقول شاعر آخر تعـــبيرا عـــن نفســـي المعنى[3]:

---

[1] عبد القادر القط ، « في الشعر الإسلامي والأموي » ،دار النهضة العربية ،بيروت، 1987 ، ص : 107.

[2] الديوان ، رواية أبي بكر الوالبي ، دراسة و تعليق : يسري عبد الغني ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1999 ص :78

[3] نفسه ، ص : 78

فُؤَادِي بَيْنَ أَضْلاَعِي غَرِيــبُ يُنَادِي مَنْ يُحِبُّ فَلاَ يُجِيبُ

لقد وجد الشاعر العذري في الشعر والغزل وسيلة للثورة على القيود المفروضـــة عليه من قبل محيطه الخارجي والانتقام من مجتمعه الذي حرمه من حقه في الحب والزواج وهي أمور ضرورية بالنسبة لأي شخص طبيعي لأنها تحقق توازنه ، فتمرد عليه بالإبداع (الشعر) واستكثر من الغزل يقول توبة بن الحمير[1]:

وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلَى هَوَى لَوْ أَبُثُّهُ وَلَوْ كَانَ أَعْدَى النَّاسِ لِي كَانَ يَنْصَحُ

هَوَى لَمْ تُغَيِّرْهُ الخُرُوبُ وُلَمْ يَزَلْ عَلَى عَهْــدِ لَيْلَى أَوْ يَزِيدُ فَيَرْبَــــحُ

فهو باق على عهده وحبه، لا تغيّره الظروف ولا الضغوط مهما اشتدت ومهما طال الزمن.

ويقول متحدّيا المجتمع بإعلانه عن حبّه[2]:

مَلأَ الهَوَى قَلْبِي فَضِقْتُ بِحَمْلِهِ حَتَّى نَطَقْــتُ بِهِ بِغَيْــرِ تَكَلُّفِ

ولكن المجتمع ينتقم منه شرّ انتقام ، فيحجب عنه محبوبته ، ليزداد بذلك حزنـــه وتكبر غربته عندما لا يقوى على الوصال ، يقول جميل بن معمر [3]:

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا أَوْ يُحَلْ دُونَ وَصْلِهَا مَقَالَةُ وَاشٍ أَوْ وَعِيدُ أَمِيـــــرِ

فَلَمْ يَمْنَعُوا عَيْنِي عَنْ دَائِمِ البُكَــا وَلَنْ يَمْلِكُوا مَا قَدْ يُجَنَّ ضَمِيرِي

---

[1] ديوان توبة بن حمير الخفاجي ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت ، ط 1، 1998 ، ص : 55.

[2] الديوان ، ص : 83.

[3] الديوان ،.دار صادر ، بيروت ، 1982 ، ص :61

ثم يعبّر عن حسرته عندما حُجبت بثينة عنه بقوله [1]:

فَوَا حَسْرَتَا أن حيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَيَا حَيْنَ نَفْسِي كَيْفَ فيك تَحينُ

فَشَيَّبَ رَوْعَاتُ الفِرَاقِ مُفَارِقِتي وَأَنْشَزْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ

فالشاعر العذري تمرّد على المجتمع الذي حرمه من أمر ضروري في نظره، فالحب «هو غاية الوجود، وتلك الغاية القصوى حَرّية أن يموت الإنسان من دونها ، وإذا تعفى الحب من الحياة ، فإنّ الوحشة تعروها وكذلك الغربة ، ويمضي الإنسان وهو يعدو على صدر الحياة فاقدا العزاء والرغبة في العيش »[2].

ويجيء رد الشاعر على مجتمعه متحديا قرار الحجب ، ردّا مبدعا، فهو وإن لم يلق محبوبته في عالم الواقع فإنه يلاقيها في عالم الخيال، يقول قيس بن ذريح:[3]

إِنْ تَكُ لُبْنَي قَدْ أَتَى دُونَ قُرْبِهَا حِجَابٌ مَنِيعٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فَإِنَّ نَسِيمَ الجَوِّ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَنُبْصِرُ قَرْنَ الشَّمْسِ حِينَ تَزُولُ

وَأَرْوَاحُنَا بِاللَّيْلِ فِي الحَيِّ تَلْتَقِي وَنَعْلَمُ أَنَّ النَّهَارَ نَقِيلُ

وَتَجْمَعُنَا الأَرْضُ القَرَارُ وَفَوْقَنَا سَمَاءٌ نَرَى فِيهَا النُّجُومَ تَحُولُ

ويقول جميل بن معمر معبرا عن لقائه الخيالي بمحبوبته[4]:

أَظَلَّ نَهَارِي لاَ أَرَاهَا ولَوْ نَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي المَنَامِ وَرُوحُهَا

---

[1] نفسه، ص :45

[2] إيليا الحاوي ، « في النقد الأدبي ، مقطوعات من العصر الإسلامي والأموي ، الجزء الثاني » ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1986 ، ط 5، ص : 310.

[3] الديوان ، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2006 ، ص : 107-108.

[4] الديوان ، ص : 67

ولكن هذا اللقاء وإن كان يخفف من الإحساس بالفقد إلاّ أنّه لا يقهر غربته؛ لأنّه مجرد لقاء خيالي ، ويستبدّ به اليأس حين يدرك بأن اللقاء في الدنيا أمر مستحيل، فيتحوّل إلى تمنيه بعد الموت ، يقول قيس بن ذريح[1]:

وَيَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعاً وَلَيْتَنَـــــا نَصِيرُ إِذَا مِتْنَا ضَجِيعَيْنِ فِي قَبْـــرِ

ضَجِيعَيْنِ فِي قَبْرٍ عَنِ النَّاسِ مُعْزَلٍ وَتُقْرَنُ يَوْمَ البَعْثِ وَالحَشْرِ وَالنَّشْرِ

ويقول مجنون ليلى[2]:

فَلَوْ تَلْتَقِي أَرْوَاحُنَا بَعْدَ مَوْتِنَـــا وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الأَرْضِ مَنْكِبُ

لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رُمَّةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَـــى يَهِشُّ وَيَطْرَبُ

لقد تمنّى غالبية العذريين اللقاء بعد الموت ومن هنا نلمس الاتجاه الإســـــلامي في هذه الرّغبة ، فقد وعد الله الصابرين الجزاء الأمثل في الآخرة.

ومما سبق نخلص إلى أنّه وبالرغم من صرامة المجتمع وتشبّثه بتقاليده الّتي كـــــانت سببا في غربة الشاعر العذري ؛حيث حجب عنه حبيبته وحال دون الوصل بينهمـــا، إلاّ أنّنا نرى قدرته على قهر اغترابه بطريقة إيجابية عن طريق خلق عالم خاص يحـــدث فيـــه الوصال بالمحبوبة ، فيكسر بذلك تلك القيود والحواجز.

4- الاغتراب في العصر العباسي :

تميّز العصر العباسي باضطراب الحياة وانتشار الفوضى الأمر الذي جعل ظـــــاهرة الاغترب تتفشى وتأخذ أبعادا أكثر عمقا في شعر هذه المرحلة القلقة، فكان مرآة تعكس

---

[1] الديوان ، ص :90

[2] الديوان ، ص : 24

ذلك الصراع و التصدّع. ولعلّ الاغتراب الذي كان السمة البارزة في هذا العصر هو الأساس الذي غذّى التجربة الشعرية المميزة لمعظم شعراء المرحلة العباسية.

لقدّ وجد الشعراء العباسيون أدواتهم الملائمة للتعبير عن اغترابهم وانطلقوا جميعا من فلسفة مؤدّاها « ازدراء الحياة ورفضها والسخرية منها ، والبحث عن خلاص أو عزاء للمرء من وطأتها ، إمّا في لهو عابث ومجون صاخب وجنوح إلى اللذة والمتعة واستغراق فيها ، وإمّا في الانصراف عن هذا كلّه ، والتوجه إلى الحكمة والزهد ، والابتعاد عن زهو الدنيا ومُتَعها والانصراف إلى العبادة، أو البحث عن عالم من الطهر »[1] ينجو فيه الإنسان من زهو الدنيا وغرورها .

لقد كان أبو نواس و بشار بن برد من أصحاب الفريق الأوّل؛ الذي جنح إلى اللذة و استغرق في اللهو معبّرا عن اغتراب نفسي، وكان ما بدر منهما من تهتك خلقي وانغماس في الشهوات ردّة فعل قويّة على المجتمع من ناحية، و على الزمن أو الوجود من ناحية أخرى.

فقد عُرف عن بشار أنّه كان قبيحا و ضيع الأصل أعجميا، فلم يسلم من الهمز واللمز، يقول معبّرا عن ذلك :[2]

مُولَعاً بِالخلو مِمَّا أُلاَقِي أَحْسَبُ العَيْشَ أن أَكُونُ الوَحِيدَا

كل هذه الظروف جعلت الشاعر يحسّ بالانفصال عن مجتمعه فتمرّد عليه ورفض التقاليد السائدة فيه ، متحدّيا بسلوكه الماجن جميع الأنظمة و القوانين، غير مبال بنظرة الناس .

يقول [3]:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَفُزْ بِحَاجَتِه وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

---

[1] محمد زكي العشماوي ، « موقف الشعر من الفكر والحياة في العصر العباسي » ، ص : 14.

[2] الديوان ، تحقيق :محمد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 1976، 2/ 135

[3] الديوان ، ص :66

فقد كان الشاعر وجودي الترعة يغتنم الفرصة في الحياة لينهل من لـــذاتها قبـــل فوات الأوان ، وممّا يُروى عن بشار أنّه مرة شهد مجلسا فقال لمن فيه « لا تصيروا مجلسنا هذا شعرا كلّه ، ولا حديثا كلّه ، ولا غناء كلّه فإن العيش فرص ، ولكن غنّوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيش تناهبا »[1].

وإذا تأملنا في شعر أبي النواس وجدنا فيه تعبيرا حادا عن مرارة الاغتراب في مجتمع يُظهر ناسه غير ما يُسرّون، في زمن اختلّت فيه المقاييس، فقد كان الشاعر يرى النـــاس يقترفون الخطيئة ويتظاهرون بالورع والتقوى، ف « وقف على عمق المسافات بين مـــا يقال وبين ما يفعل سرّا، بين ظاهر القول وبين الممارسات السرّية من جميع هذه العوامل تكوّن نسيج الغربة في نفس أبي النواس ومن تلك المعاناة تعمق شعوره بالاغتراب والتعالي فأعلن ثورته ، ليس على مفاهيم مجتمعه وأعراضه وتقاليده فحسب ، وإنّما على موروثه الديني والفني أيضا »[2].

وقد وجد الشاعر في الخمر ومجاهرته بها وسيلة جيّدة لإعلان تمرّده و انفصاله عن مجتمعه المزيف العاصي الذي يُبدي الفضيلة،يقول [3]:

أَلاَ فَاسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلاَ تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الجَهْرُ

فَمَا الغُبْنُ إِلاَّ أَنْ تَرَانِي صَاحِيـــاً وَمَا الغُنْمُ إِلاَّ أَنْ يُتَعْتِعَنِي الخَمْرُ

وقد عانى أبو النواس من غربة الأصدقاء في عصر اُفتقد فيه الوفاء و الإخلاص

يقول [4]:

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني ، "الأغاني" ، 3 /162

[2] أحلام الزعبي ، " أبو النواس بين العبث والاغتراب"،دار العودة ، بيروت، 1981 ، ص :20

[3] الديوان ،.دار صادر ، بيروت ، دت ، ص : 242

[4] الديوان ، ص : 585

أَرَى الإِخْوَانَ فِي هَجْرٍ أَقَامُوا وَخَانَ الخِلُّ وَافْتُقِدَ الذِّمَـــامُ

فَصِرْتُ مُلاَزِماً لِذئَابِ عَيْشٍ تَضمَنُهُ اعَوْجَاجٌ وَانْهِـــــدَامُ

.ولذلك اتخذ من الخمر أُمّا واستعاض بها عن المجتمع ككـــل، وعـــن الوفـــاء و الصداقة التي فقدها ، يقول[1]:

كَذَاكَ إِذَا رُزِئْتُ أَخـــــــًا فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَسَـــبُ

قَطْرٌ بَلْ مَرْبَعِي ، وَلِي بَقْرِي الكَرْحُ نَصِيبُ وَأُمِّي العِنَبُ

تُرْضِعُنِي دَرَّهَا ، وَتُلْحِفُنِـــي بِظِلِّهَا وَالهَجِيرُ يَلْتِهِـــــبُ

والشاعر مغترب شديد الإحساس بقصر عمره؛ ولذلك توجّه إلى النّيل من ملذات الحياة ثأرا لعمره القصير،يقول[2]:

رَأَيْتُ اللَّيَالِي مُرْصِدَاتٍ لِمُدَّتِي فَبَادَرْتُ لَذَّاتِي مُبَادَرَةَ الدَّهْرِ

وقد كان أبو العتاهية من الفريق الثاني الذي اختار الزهد طريقا للتعـــبير عـــن اغترابه في مجتمع انحلّت فيه الأخلاق، وأقبل الناس فيه على المحرمـــات دون رادع، فمـــا كان منه إلاّ أنْ هرب من هذا الواقع و اهتم بالحياة الآخرة، يقول[3]:

أَلَمْ تَرَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَـــارِضٌ فِيهِ المَنِيَّةُ تَلْمَـــعُ

---

[1] نفسه، ص : 33.

[2] نفسه ، ص : 257

[3] الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1986، ص :247.

أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِغَيْـرِكَ تَبْتَنِـــي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى المَرْءَ وَثَّاباً عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْماً لاَ مَحَـالَةَ مَصْرَعُ

ويقول داعيا الناس إلى الزهد في الحياة وترك الملذات[1]:

بَلَيْت وَمَا تَبْلَى ثِيَابُ صِبَـاكَ كَفَاكَ مِنَ اللَّهْوِ المُضِرِّ كَفَاكَ

أَلَمْ تَرَى أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ قَامَ نَاعِياً مَقَامَ الشَّبَابِ الغَضِيِّ ثُمَّ نَعَاكَ

وأَخْدَعَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لأَقْـوَامٍ أَرَاهُمْ فِي الغِيِّ قَدْ رَتَعُـوا

أَمَّا المَنَايَا فَغَيْرُ عَادِلَـةٍ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ كَأْسِهَا جُـرَعُ

وكذلك كانت رابعة العدوية و الحلاج و ابن عربي وغيرهم ممّن اتخـذوا مـن التصوف و الانفراد و العزلة وسيلة للتعبير عن اغترابهم بين الناس وعن مظـاهر ذلـك العصر، وقد وجدوا في القرب من الله راحة وسكينة وسعادة .

وقد كانت الغربة الاجتماعية لدى أبو العلاء المعري و المتنبي، وأبوفراس الحمداني إحدى مظاهر الاغتراب النفسي، الناجم عن علاقتهم المتوترة بالمجتمع.

وقد فقد أبو العلاء اتصاله السوي بالحياة والناس؛ إذ التزم بيته و انعزل عن الحياة الاجتماعية، يقول [2]:

بُعْدِي عَنِ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سِقَامِهِمْ وَقُرْبُهُـمْ لِلْحِجَا وَالدِّينِ أَدْوَاءُ

والشاعر وجودي في نظرته للآخر، فهو مصدر جميع الشرور، يقول[3]:

مَتَى كَشَفْتَ أَخْلاَقَ البَرَايَـا تَجِدْ مَا شِئْتَ مِنْ ظُلْمٍ وَمَنْ حَرَجِ

---

[1] الديوان ، ص : 308.

[2] أبو العلاء المعري" لزوم ما لا يلزم "، دار صادر، بيروت، 1961، 1/ 48

[3] أبو العلاء المعري" لزوم ما لا يلزم 1/ 272

فالآخر بالنسبة لأبي العلاء هو الجحيم ،ونظرته وجودية له؛ إذ أنّه يعتبر الإنسان أساس كل الشرور،يقول[1]:

مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ وَفِيٌّ فَلْيَنْتَسِبْ فِي سِوَى الأَنَامِ

ولذلك لم يجد الشاعر في الإنسان ما يشجّعه على التواصل معه، يقول:

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِنْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

ويقول أيضا: [2]

إِذَا حَضَرَتْ عِنْدِي الجَمَاعَةُ أَوْحَشْتُ فَمَا وِحْدَتِي إِلاَّ صَحِيفَةُ إِينَاسِي

طَهَارَةُ مِثْلِي فِي التَّبَاعُدِ عَنْكُمُ وَقُرْبُكُمْ يَجْنِي هُمُومِي وَأَدْنَاسِي

يرى أبو العلاء أنّ مصدر غربته هو علمه و جهل الناس، يقول[3]:

أُولُو الفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ تَشُذُّ وَتَنْأَى عَنْهُم القُرَبَاءُ

ويقول كذلك[4]:

قَدْ كَثُرَتْ فِي الأَرْضِ جُهَّالُنَا وَالعَاقِلُ الحازِمُ فِينَا غَرِيبُ

والمعنى ذاته عبر عنه المتنبي حين قال : [5]

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُ مَا كَانَ

يقول[6]:

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

---

[1] أبو العلاء المعري" لزوم ما لا يلزم " ، 2/ 460

[2] نفسه، 2/41

[3] أبو العلاء المعري" لزوم ما لا يلزم " ،1 /41

[4] نفسه ، ص : 189

[5] الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت 1983، ص 182

[6] نفسه ، ص : 22

وأبوفراس الحمداني عرف غربة اجتماعية قاسية لما لقاه من جفاء الأهل و خيانة الأصدقاء، يقول [1]:

إِلَى اللهِ أَشْكُو عُصْبَةً مِنْ عَشِيرَتِي يُسِيئُونَ لِي فِي القَوْلِ غَيْباً وَمَشْهَدَا

ويقول أيضا [2]:

غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كر نَاظِرِي وَحِيدٌ وَحَوْلِي رِجَالٌ عَصَائِبُ

فأهله أشدّ قسوة من الأعداء عليه[3]:

إِنْ أَوْجَعَتْنِي مِنْ أَعَادِيَّ شِيمَةٌ لَقِيتُ مِنَ الأَحْبَابِ أَدْمَى وَأَوْجَعَا

وعندما يصوّر غربة الأصدقاء ، الذين قلّ وفاؤهم ، يقول [4]:

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأَخِلاَّءَ لَمْ أَجِدْ صَبُوراً عَلَى حِفْظِ المَوَدَّةِ وَالعَهْدِ

ويقول عندما تأخّر سيف الدولة في فدائه [5]:

بِمَنْ يَثِقُ الإِنْسَانُ فِيمَا يَنُوبُهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الكَرِيمِ صِحَابُ

وَقَدْ صَارَ النَّاسُ إِلاَّ أَقَلَّهُمْ ذِئَابٌ عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ

كانت هذه وقفة سريعة مع الاغتراب النفسي، أمّا الغربة المكانية في العصر العباسي فيمكن أن نقول أنّها نوعان : غربة اختيارية، و أخرى إجبارية قسرية.

فأمّا النوع الأوّل فقد مثّله المتنبي حين اختار غربته بكامل إرادته؛ سعيا وراء طموحه الكبير، لكنّ أحلامه تبدّدت و آماله ضاعت هباء فعبّر "عمّا كان يحسّه من ألم الغربة عند

---

[1] الديوان ، شرح نخلة قلفاط ، مكتبة الشروق ،بيروت، 1910 ،ص 118 :

[2] الديوان ، ص : 152

[3] نفسه ، ص :43

[4] نفسه ، ص :80

[5] نفسه ، ص : 39

كافور وخاصّة بعدما تبيّن له أنّه يراوغه"[1]، فاستبدّ به اليأس في مصر و أحـــسّ بالوحـــدة، يقول[2]:

بِمَ التَّعَلُّلُ لاَ أَهْلٌ وَلاَ وَطَنٌ وَلاَ نَدِيمٌ وَلاَ كَأْسٌ وَلاَ سَكَنُ

أما الغربة القسرية فقد عرفها أبو فراس الحمداني الذي لُقِّب بالفارس الأسير وشاعر الروميات،ذلك أنّه "في عام 531ه هاجم الروم منبج فأُسِر أبو فراس، و نقل إلى القسطنطنية حيث بقي أربع سنوات، نظم خلالها روملياته"[3] .وهي من أرقّ القصائد التي تفيض بمشاعر جيّاشة ، وتعبر عن الألم و الحزن الذي عرفه الشاعر وهو أسير غريب .

يقول [4]:

هُوَ فِي الرُّومِ مُقِيمٌ وَلَهُ فِي الشَّامِ قَلْبُ

وأيضا عرف أمراء بنو أمية الاغتراب المكاني؛ حيث كانوا مطاردين مـــن قبـــل أبي السفاح الذي عمل على إبادتهم بعد أن ظفرت الثورة العباسية بالحكم وأســـقطت الدولـــة الأموية، وكان عبد الرحمان ابن معاوية ابن هشام ابن عبد الملك الملقب بالداخل من أشهرهم الذي فرّ هاربا من بطش بني العباس "إلى الأندلس حيث أسس بها دولة أموية جديدة ظلّـــت نحو ثلاث مئة عام"[5]، ولكنّه ظلّ يحنّ إلى وطنه وأهله بالشام، وظلّت الغربة تمـــزّق نفســـه ، يقول[6]:

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُيَمَّمُ أَرْضِـــي أَقْرِئْ مِنْ بَعْضِ السَّلاَمَ لِبَعْضِ

---

[1] إبراهيم بوشريحة ،" الملامح النفسية في شعر المتنبي"، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002-2003م، ص :68.

[2] الديوان ، ص :471

[3] جورج غريب،" دراسة في الشعر و التاريخ"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 1، 1975م، ص :23.

[4] الديوان ص :47

[5] .شوقي ضيف ،" تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول"، دار المعارف، القاهرة، ط 6، د.ت، ص 14

[6] ابن الآبار " الحلة السراء." ، حققه و علق حواشيه :حسين مؤنس،الشركة العربية للطباعة و النشر،ط 1،1963 1/36

إِنَّ جِسْمِي كَمَا تَرَاهُ بِأَرْضٍ وَفُؤَادِي وَ مَالِكِيهِ بِـــــأَرْضِ

قَدْ قَضَى البَيْنُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَـــــا وَطَوَى البَيْنُ عَنْ جُفُونِي غَمْضِ

ويقال انّه أوّل ما نزل إلى الرصافة وقع بصره على نخلة مفردة، فقال[1]:

تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَـــــةٌ تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلْتُ شَبِيهَتِي فِي التَّغَرُّبِ وَالنَّوَى وَطُولِ التَّنَادي عَنْ بَنِيَّ وَعَنْ أَهْلِـــي

نَشَأْتِ بِأَرْضٍ أَنْتِ غَرِيبَـــــــــةٌ فَمِثْلُكِ فِي الإِقْصَاءِ وَالْمُنْتَأَى مِثْلِـــي

وكخلاصة نقول بأنّ الشعر العباسي عبّر عن الغربة ببعديها: النفسي و المكـــاني، وذلك لما شهده هذا العصر من فوضى واضطراب وتغيّـــر في الأوضـــاع الاجتماعيـــة والسياسية.

[1] احمد بن محمد المقري التلمساني ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "، تحقيق :إحسان عباس ،دار صادر، بيروت ،1988، 3/54

ثانيا : تجليات الاغتراب في الشعر العربي الحديث

بعد أن توقفنا عند ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي القديم ، سنحاول في هـــذا المبحث معالجة بعض النصوص الشعرية الحديثة ذات الصلة بهـــذه الظـــاهرة وتحليلهـــا، متتبّعين تطورها ومستقصين بواعثها، وسأستهِلها بمرحلة زمنيـــة حـــدّدتها في ســـنوات العشرينيات والثلاثينيات ،وأختمها بمرحلة الأربعينيات إلى غاية نهاية الســـتينات أيـــن أخذت الظاهرة تبرز بصورة عميقة في النصوص الشعرية لهذه الفترة,

1: الاغتراب في الشعر المهجري.

يجد المتتبع للقصائد المهجرية صدى قويّا لظاهرة الاغـــــتراب؛حيث أنّ الشـــعر المهجري " شعر ينثّ غربة في معظمه "[1]، ببعديها المادي والمعنوي ، ويتجسّد ذلك عند شعراء المهجر الشمالي والجنوبي على حد سواء ؛ فقد اتّخذوا من قصائدهم وسيلة للتعبير عن شعور التمزّق والحرقة، وألم البعد عن الوطن والحنين للأهل والخلاّن الذين اضطرّوا لمفارقتهم، مرغمين لا مخيرين ، وذلك لأنّ الظروف والأحداث آنذاك كانت تشـــجّع الناس على الهجرة؛حيث أنّ « الحكومة زادت في تعسّفها وظلمها للأهالي ، وســـاءت الأحوال الإدارية، وفرضت الرقابة الشديدة على الأفراد والجماعات ، ممّا جعل القـــوم يعيشون وكأنّهم في بوتقة مغلقة على وشك الانفجار »[2]، فقد كان **لبنان** آنذاك تحت الحماية التركية التي ضيّقت الخناق على الشعب وســـلبته حريتـــه في التفكير والتعـــبير، وأرهقته ظلما واستبدادا، وعليه« أخذ اللبنانيون يتطلّعون نحو بلاد تستطيع أن تظلّـــل آمالهم وأحلامهم وأفكارهم وآراءهم التي حُبست زمنا في بلادهم ، كما أخذوا يتطلّعون إلى بلاد تستطيع فيها أيديهم أن تنتج وعقولهم أن تثمر وآراؤهم أن تنمو وتتقـــدم »[3]

---

[1] إيليا الحاوي ، « الرومانسية الشعر الغربي والعربي » ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983، ط 2 ، ص : 210.

[2] نادرة جميل سراج ، « شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر » ، دار المعارف ، مصر ، 1964 ، ص : 42.

[3] نادرة جميل سراج ، « شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر » ، ص : 46.

إذن ،كانت الغربة في نظرهم وسيلة للهروب من واقع مشحون بالضغوط ، مليء بشتّى صنوف القهر والتسلّط.

لقد عبّر شعراء لبنانيون أمثال : إيليا أبو ماضي ، ورشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي عن اضطرارهم للتغرّب عن بلادهم .

يقول القروي :[1]

أَرُومُ إِلَى رُبَى لُبْنَانَ عَــوْدًا فَيَمْنَعُنِي مِنَ العَــوْدِ افْتِقَــارُ

وَلَوْ خُيِّرْتُ لَمْ أَهْجُرْ بِلاَدِي وَلَكِنْ لَيْسَ فِي العَيْشِ اخْتِيَارُ

ويقول إيليا أبو ماضي :[2]

أَرْضَ آبَائِنَــا عَلَيْكِ سَــلاَمٌ سَقَى اللهُ أَنْفُسَ الآبَــاءِ

مَا هَجَرْنَاكِ إِذْ هَجَرْنَاكِ طَوْعاً لاَ تَظُنِّي العُقُوقَ فِي الأَبْنَاءِ

هاجر الشباب اللبناني وطنه إلى الأمريكيتين هاربا من أوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية ، أثقلت كاهله ، متفائلا بهذا العالم الجديد ، لعلّه يعوّضه خيرا عمـــا فـــاته ، لكنّه لم يكن أحسن حالا « إذ وجدوا أنفسهم في محيط مادّي يعتمد على الآلة ويُحلّها محل الإنسان الذي أصبح عبدا لها ، فزاد إحساسهم بفرديتهم وكيانهم الخاص ، فتمرّدوا على ذلك العالم الصناعي المعقد الّذي ملأ نفوسهم مللا وضجرا ، ففزعوا إلى أوطانهم ، وطاروا إليها في مخيلاتهم ، وكلهم حنين وشوق للرجوع إلى حياة القرية الساذجة وعيش الطبيعة البسيطة الجميلة. »[3] ؛وبذلك أصبحت غربتهم المكانية سببا مباشرا في غربتهم النفسية؛ إذ كان عليهم أن يتكيّفوا مع هذا الواقع المعقد الغريب عن حيـــاتهم البســـيطة الساذجة التي كانوا يحيونها في أوطانهم ؛ والتي تختلف جذريّا عن حياتهم الراهنة في أمريكا أين تختلف المقاييس التي ينظر بها إلى الإنسان، ونجد جورج صيدح يوضّح أثر المـــادة في

---

[1] الديوان ،الجمهورية العربية الليبية، د.ت ، 1 / 197

[2] الديوان ، دار العودة ، بيروت ، د.ت ، ص 102

[3] عزيزة مريدن ، « الشعر القومي في المهجر الجنوبي » ، دار الفكر ، ط 2 ، 1973 ، ص : 61.

تحديد قيمة الإنسان في الغرب فهي ترفع الوضيع ، وتجعل من الإنسان الرفيع بـــــأخلاقه وضيعا؛ لأنّه لا يملك المال ، يقول[1]:

وَطَنِي طَوَّحْتَ بِي فِي مَهْجَرٍ يُرْهِقُ الحُرَّ بِأَنْوَاعِ النَّكَدْ
يَخْفِضُ العَالِي مِنَ المَالِ خَلاَ وَيُقِيمُ المَال فِيهِ مَنْ قَعَدْ

لقد جعل التفكير المادّي ،وهو سمة من سمات الإنسان الغربي ، بالإضافة إلى الحياة المدنية الفاسدة شعراء المهجر القادمين من ثقافة شرقية تتسم بالروحانية العالية ؛ يحسّون بالوحشة والفراغ والألم واليأس والحنين إلى الوطن فامتلأ شعرهم بالشـــــكوى والأنين، وقد عبّر الشاعر القروي في قصيدته "شكوى الغريب" عن حالة الغربة والوحشة الـــــتي يكابدها قائلا[2]:

نَاءٍ عَنْ ا لأَوْطَـــانِ يَفْصِلُنِي عَمَّنْ أُحِبُّ البَرُّ وَالبَحْرُ
فِي وَحْشَةٍ لاَ شَيْءَ يُؤْنِسُهَا إِلاَّ أَنَا وَالجَوْدُ وَالشِّعْرُ
حَوْلِي أَعَاجِمُ يَرْطُنُونَ فَمَا لِلضَّادِ عِنْدَ لِسَانِهِمْ قَدْرُ

ويُحيلنا البيت الأخير إلى غربة الشاعر الاجتماعية ، حيث أنّ اختلاف لغته عن لغة القوم الذين يقيم بينهم تعيق اتصاله بهم فيحسّ بوحدته وحنينه ، لمن يخفّفها فيعبّر عن هذا المعنى بمشاعر صادقة عميقة قائلا[3]:

مُهْجَةٌ كُلُّهَـــا جوى كَبِدٌ كُلُّهَـــا حَنِينْ
تَائِهٌ يَشْتَكِي النَّـــوَى دَأْبُهُ النُّوحُ وَالانِينْ
قُلْتُ لاَ يَدْفَعُ الأَسَى غَيْرُ أُمِّـــي وَإِخْوَتِي

---

[1] نقلا عن عزيزة مريدن ، « الشعر القومي في المهجر الجنوبي » ، ص : 75.

[2] الديوان ، 1/118

[3] نفسه ، ص :233

ويبأس المهاجر المرهق من الرجوع إلى وطنه، ولا يجد مهربا من واقعة المثقل بالهموم، الذي يواجهه بشتّى أنواع المصائب والمشاكل إلاّ قلمه وشعره ليبثّ من خلاله ما يختلج في نفسه من مشاعر الأسى والحنين ، يقول جورج صيدح[1]:

أَيَعُودُ لِلوَطَنِ الغَرِيبِ النَّائِي يَا رَبِّي هَوِّنْهَا عَلَى الغُرَبَاءِ

حَتَّى مَتَى يَبْرِي الحَنِينُ صُدُورهُمْ وَالعَامُ يَتْلُو العَامِ دُونَ لِقَاءِ

وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَلَى طُولِ النَّوَى عَهْداً لأَنْفُسِهِمْ بِطُولِ بَقَاءِ

فبعد كل هذا النصب والوصب لم يجد الشاعر في أرض الغربة ما كان يصبو إليه، بل لاقى الألم والعذاب والتشرّد والضياع، فتملّكته الحسرة على قضاء أيامه مغتربا، يقول نسيب عريضة[2]:

أَمَلٌ سَاقَهُ فَرَاحَ يَهِيمُ كَشِهَابٍ تَقَاذَفَتْهُ النُّجُومُ

وَدَعَتْهُ مَعَالِمُ وَرُسُوم شَفَّهَا أَنَّهُ سِوَاهَا يَرُومُ

لَمْ يَفُزْ بَعْدَ سَيْرِهِ بِالمَرَامِ وَخَطَّ الشَّيْبُ وَ الكُلُومُ دَوَامِي

خَدَعَتْهُ غَرَّارَةُ الأَحْلاَمِ أَيَسِيرُ الوَرَاءَ بَعْدَ الأَمَامِ

لقد كانت الثمرة التي جناها : المرارة والألم ، والضياع في سراب الجري وراء الأحلام الّتي لم يتحقّق منها شيء.

لقد أبدع شعراء الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية في تصوير حياة الغربة القاسية، فجاء شعرهم شعرا رقيقا يفيض ألما ويأسا وحنينا وأملا بالعودة إلى الوطن بعدما أصبح هذا المهاجر «يشتكي الغربة في الموطن الجديد ، ويشف عن لقاء بين عالمين وصدام بين

---

[1] عزيزة مريدن ، « الشعر القومي في المهجر الجنوبي » ، ص : 71.

[2] نادرة جميل سراج ، " نسيب عريضة " ، دار المعارف ، مصر ، 1970، ص : 121

طبيعتين»[1] ،فهو ما لبث يتذكّر وطنه بكلّ ما فيه من محاسن وخاصة الطبيعة التي نجد التغني بها ظاهرة عند معظم هؤلاء الشعراء ،ومن بينهم الشاعر القروي الذي يقارن بين طبيعة بلاده وطبيعة البلاد التي نزح إليها قائلا[2]:

يَا نَسِيمَ المُحِيطِ، مَا هَكَـذَا فِي سَاحِلِ البَحْرِ عِنْدَنَا الأَنْسَامِ

ذَاكَ أَزْكَى شَمَّا ، وَأَلْطَفُ ضَمَّا ذَاكَ تشْفَى بِلَمْسِهِ الأَجْسَام

فلاشكّ أنّه يفضّل نسيم بلاده التي يشتاق إليها ؛لأنّه « حين يقف على شاطئ المحيط يتذكّر بحر بلاده ، ويوازن بين النسيم هنا والنسيم هناك ، ويسبح في عالم الذكريات سبحا طويلا يجد كل المحاسن في نسيم الوطن، فهو يُشفي العليل ويضمّ الغريب الذي تغربّ ولطالما اشتاق للعودة» [3].

وبعد أن تناولنا في المباحث السابقة أثر الغربة المكانية في بروز الغربة النفسية عند الشعراء المغتربين سنحاول أن نتعمق أكثر في فهم بواعث اغتراب شعراء الرابطة القلمية النفسي، وكيفية قهرهم له بخاصّة وأنّ الظروف التي عاشوها تركت آثارها السلبية على حياتهم ، فجاءت ردود أفعالهم قويّة ، ظهرت سماتها في كراهيتهم للحياة والبعد عن مخالطة الناس ،والميل إلى العزلة والوحدة، والدعوة إلى العودة لحياة الغاب ، وقد ساعد على ذلك وجودهم في بلد غريب عنهم ، حيث لا أهل ولا خلاّن ، فانصرف كلاّ منهم إلى نفسه يبثّها شكواه وأنينه . وقد اقتصرتُ على أهم الشعراء : جبران خليل جبران ،وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة.

❖ جبران خليل جبران و التمرد :

ممّا لاشكّ فيه أنّ الإنسان ابن بيئته ، والشاعر أكثر الناس قدرة على التعبير عن مشاكل مجتمعه ؛ لأنّه يتمتع بتركيب نفسي خاص ، ولأنّه يتميز برهافة الحس ورقّة

---

[1] أنس داود ، « التجديد في شعر المهجر » ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، لبنان ، 1980 ، ص : 49.

[2] الديوان ، ص : 199

[3] عمر الدسوقي ، « دراسات أدبية » ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط 2 ، د.ت ، ص : 205.

المشاعر، فهو دائما عرضة للتأثير والتأثر بالعالم الخارجي بشكل أكثر عمقا ووضـــوحا ؛ وجبران خير مثال على المبدع الرومانسي الذي شغلته هموم مجتمعه وأرّقه استسلام الناس للظلم والقهر والتقاليد البالية، فثار وتمرّد ورفض القيم الزائفة التي يتمسّك بها المجتمع.

فالمتأمل في كتابات جبران يدرك أنّ أدبه مرآة تعكس اغترابه، فهو « ثورة عاصفة تقتلع الأنصاب التي أنبتتها الأجيال ، ودعوة حارّة إلى التطور والنهوض ومُماشاة الزمن إلى الثورة على كل قديم »[1]. والقضاء على الجمود والتخلف الذي كان يشدّ النـــاس لظلمات العصور الغابرة ، والملاحظ أنّ « شخصيات حكاياته إما ضـــحايا أو ثـــائرون »[2]. فالنوع الأول ضاع وقاسى؛ لأنّه لم يمتلك الوعي الكافي الذي يقيه مـــن شـــرور المجتمع، أمّا النوع الثاني والذي يؤثره جبران فهو المتسلّح بوعي كبير جعله يواجه المجتمع ويتحدّاه دون خوف، ويظهر علاّته للعلن.

إنّ تمرّد جبران وثورته صورة واضحة عن اغترابه ورفضه ، وقد اســـتطاع مـــن خلال ثورته الأدبية تحقيق الانسجام الاجتماعي؛ لأنّ « الثورة ليست سوى اصـــطداما بالنقائص التي يعاني منها المجتمع ، وليست محاولة لتحطيمه ، وإنّما هـــي محاولـــة لتنبيهه أو إيقاظه أو تطويره»[3] ، فقد وجد جبران نفسه الطامحة إلى التجديد والراغبة في تحقيق الأفضل للمجتمع وتغييره غريبة في هذا العالم الجامد ، فصاح[4]:

أَنَا غَرِيبٌ فِي هَذَا العَالَمِ.

أَنَا غَرِيبٌ وَفِي الغُرْبَةِ وِحْدَةٌ قَاسِيَةٌ وَوَحْشَةٌ مُوجِعَةٌ.

أَنَا غَرِيبٌ عَنْ أَهْلِي وَخِلاَّنِي ، فَإِذَا مَا لَقَيْتُ وَاحِداً أَقُولُ

---

[1] عبد الرحمن زايد قيوش ، "القضايا الاجتماعية في أدب جبران خليل جبران" ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس القاهرة ، 1990 ، ص : 07.

[2] جان لوسيرف ، « النزعات الصوفية عند خليل جبران » ، ترجمة : شعبان بركان ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت ، ص : 20.

[3] إحسان عباس ، « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978 ، ص : 201.

[4] جبران خليل جبران ، "العواصف "، دار العرب للبستاني، القاهرة ، د.ت، ص : 161.

فِي ذَاتِي : مَنْ هَذَا، وَكَيْفَ عَرَفْتُهُ ، وَأَيُّ نَامُوسٍ يَجْمَعُنِي بِهِ ،
وَلِمَاذَا أَقْتَرِبُ مِنْهُ وَأُجَالِسُهُ ؟

وجبران يعتقد بأنّ الاغتراب قدر الشاعر[1]:

أَنَا غَرِيبٌ فِي هَذَا العَالَمِ.
أَنَا شَاعِرٌ انظِّمُ مَا تَنْثُرُهُ الحَيَاةُ ، وَلِهَذَا أَنَا غَرِيبٌ
سَأَبْقَى غَرِيباً حَتَّى تَخْطِفَنِي المَنَايَا وَتَحْمِلَنِي إِلَى وَطَنِي.

وكانت تجربة الغربة في أدبه عامة ، وفي شعره خاصّة نتيجةً مباشرة لاصطدامه مع العالم الخارجي ، فتولّد عن هذا تمرّد جبران؛ حيث أنّه في « اللحظة التي يكتشف الإنسان تناقضه مع العالم الخارجي يبدأ في التمرّد عليه »[2] ، فجبران كان يشعر بالأسى على لبنان وعلى الوضع المتردّي الذي وصل إليه و كان يتفجّع على الأحوال السيئة الّتي غدت تكبّله وتمنعه من اللحاق بمصافّ الدول المتقدمة، فكانت مأساته « مأساة المثقف الذي يشعر بنكبة أمته وضِيق حالها وعدم جدوى الحياة في ظلّ نُظُمٍ متهتّكة بالية ، وإرادة التغيير عنده هي التي تدفعه إلى أن يخرج ويثور ولا يتقبّل الحياة على علاّتها »[3] ، فالشاعر عكس البشر جميعا ، لا يرضى بالنقائص ويحاول البحث عمّا يكملها ، فأين سيجد هذا الكمال، وليس في الواقع أملا لذلك ، إذن، لابدّ من بديل يخفّف غربته في المجتمع فـ « الأديب الرومانسي أديب غريب قد باعدت الهوة بين ما يتوقّعه ويأمل فيه ويترقّبه ، وبين واقعه المرير الأليم ، فهو من ثمّ أديب متطلع إلى عالم آخر »[4] وهذه المحاولة في قهر الاغتراب محاولة هروبية سلبية وإن كانت ردّة فعل طبيعية لإنسان رقيق

---

[1] جبران خليل جبران ، "العواصف "، ص : 163

[2] عبد العزيز المقالح ، « الشعر بين الرؤيا والتشكيل » ، ص : 105.

[3] يسري محمد سلامة ، « عبد الرحمن شكري ، شاعر الوجدان » ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1994 ، ص : 100.

[4] محمد زكي العشماوي ، « فلسفة الجمال في الفكر المعاصر » ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1980 ، ص : 181.

شفاف بلغ الاغتراب من نفسه مبلغا عظيما ، فجعلها تعاني قسوة الحياة والتمزّق والألم، ولكنّه طَبْعُ الرومانسيين، فهم «هروبيون ينسحبون من ملحمة الحياة اليومية ، ويلتجئون إلى جنان مفقودة ، ويضخّمون عواطفهم كبديل للواقع المادي »[1] ،هذه الجنان يسميها جبران « بالبلاد المحجوبة » أو بالوطن السحري الذي لطالما فكّر فيه ، وفي هـــذه البلاد وجد جبران راحة نفسه المعذّبة وطمأنينتها، وغنّت روحه بالأمـــان والســـلام ، فـــدعا صاحبته (أي نفسه) إلى مغادرة البلاد المحسوسة التي حـــوله (عـــالم الواقـــع) إلى البلاد المحجوبة (عالم الروح) والخيال قائلا[2]:

هُوَ ذَا الفَجْرُ فَقُومِي نَنْصَرِف عَنْ بِلاَدٍ مَالَنَا فِيهَا صَدِيـــق
مَا عَسَى يَرْجُو نَبَاتٌ يَخْتَلِفْ زَهْرُه عَنْ كُلِّ وَرْدٍ وَشَقِيـــقْ
وَ جَدِيدُ القَلْبِ أَنَّى يَأْتَلِـــفْ مَعَ قُلُوبٍ كُلُّ مَا فِيهَا عَتِيقْ.

لم يجد جبران في بلاده صديقا وفيّا أو رفيقا مؤنسا؛ لأنّه مختلف المعدن عن الناس الذين يعيش بينهم، فهو يطمح إلى كل جديد بينما هم متمسّكون بالقديم ، إنّه غريـــب بينهم، ويعلن جبران عن بلاده المحجوبة التي يتخيلها قائلا[3]:

يَا بِلاَدَ الفِكْـــرِ يَا مَهْدَ الأُولَى عَبَدُوا الحَقَّ وَصَلُوا لِلْجَمَـــــالْ
مَا طَلَبْنَـــاكِ بِرَكْـــبٍ أَوْ عَلَى مَتْنِ سُفُنٍ أَوْ بَخَيْلٍ أو رِحَـــــالْ
لَسْتِ فِي الجَوِّ وَلاَ تَحْتَ البِحَارِ لَسْتِ فِي السَّهْلِ وَلاَ الوَعرَ الحَرِجْ
أَنْتِ فِي الأَرْوَاحِ أَنْوَارٌ وَنَـــارٌ أَنْتِ فِي صَدْرِي فُؤَادِي يَخْتَلِـــجْ

---

[1] رفيق خنسة ، « دراسات في الشعر السوري الحديث » ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجـــزائر ، 1981 ، ص : 197.

[2] جبران خليل جبران " ،البدائع و الطرائف"،المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ،د.ت ، ص :147

[3] نفسه، ص : 149.

إنّ البلاد المحجوبة ، مدينة فِكْرٍ ينشدها أولئك الذين عبدوا الحق والجمـــال مُمثَّلا في الحقائق الصافية الخالية من الزيف الذي يسيطر على العالم حـــوله ويجعلـــه يشـــعر بتفاهته ، وفي البلاد المحجوبة يجد « كل ما ينشده الإنسان من معان وقيم وأمان وهدوء ومحبّة وصفاء وتجدّد دائم »[1].

وفي شعر جبران دعوة لحياة الغاب ، وفي قصيده "المواكب" « يتمثّل الفرد الثائر على الجماعة الإنسانية بقيمها الزائلة الفاسدة ، الفرد الذي يشعر بأن المجتمع يســـحقه ، ويحول دون نموه؛ لما شاع في المجتمع من إختلال في التوازن ، وخضوع الناس وانقيادهم كالقطعان بلا هدف أو وعي ، فوجّه جبران مواكبه إلى الغاب حيث لا قطيع ولا راع ، وحيث الفتى المنبوذ يصبح فيلسوفا متأمّلا ، وحيث يتّحد الإنسان بالطبيعة ويصبح جزءا لا يتجزأ منها ، وهنا فقط يتحقّق خلوده ومعرفته وصدقه وخيره »[2]. وهنا نجد جبران في دعوته لحياة الغاب هربا من زيف المدينة، وتطهّرا من شرورها بـــالعودة إلى الفطـــرة الصافية يتوافق مع نظرة رُوسو في قهر الاغتراب؛ حيث كان يعتقد بأنّ المدنيّة الفاســـدة قضت على قيم الإنسان وفطرته، وجعلته يغترب عن جوهره ويصبح عبدا لمظاهر المدنيّة كالمؤسسات والآلات وغيرها ممّا يفقد الفرد إنسانيته، يقول جبران[3]:

هَلْ تَخذْت الغَـــابَ مِثْلِي مَنْزِلاً دُونَ القُصُورْ
فَتَتَبَّعْـــتَ السَّوَاقِـــي وَتَسَلَّقْتَ الصُّخُورْ؟
هَلْ تَحَمَّمْتَ بعطرٍ و تَنَشَّفْتَ بِنُورْ؟
زَاهداً فِيمَا سَيَأْتِي نَاسِياً مَا قَدْ مَضَى؟
هَلْ فَرَشْتَ العُشْبَ لَيْلاً و تَلَحَّفْتَ الفَضَـــا
هَلْ جَلَسْتَ العَصْرَ مِثْلِي بَيْنَ جَفْنَاتِ العِنَبْ

---

[1] صابر عبد الدايم ، « أدب المهجر » ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1995 ، ص : 321.

[2] محمد زكي العشماوي ، « الأدب وقيم الحياة المعاصرة » ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980 ، ص : 113.

[3] جبران خليل جبران ، "المواكب" ، دار نوبليس للنشر، بيروت ، لبنان ، ط 1،2005، ص : 109.

وَالعَنَاقِيـــــدُ تَدَلَّـــــتْ كَثُرَيَّاتِ الذَّهَـــبْ

هي دعوة صريحة من جبران لترك حياة المدنية الطافحة بمظاهر الاغتراب واتّخـــاذ الغاب مسكنا؛ حيث الطبيعة الصافية الجميلة التي تحيي فطرة الإنسان.

❖ **ميخائيل نعيمة والغربة الاجتماعية:**

يُعدّ ميخائيل نعيمة أحد أهمّ شعراء الرابطة القلمية ، وهو من الشـــعراء الـــذين عبرّوا عن غربتهم بشكل عميق من خلال شعر رومانسي رقيق ينفذ إلى الوجدان . وفي قصيدته "النهر المتجمّد" نجده يصف غربته الاجتماعية قائلا[1]:

نَبَذَتْهُ ضَوْضَاءُ الحَيِّ فَمَالَ عَنْهَا وَانْفَـــــرَدْ
وَغَدَا جَمَاداً لاَ يَحِنُّ وَلاَ يَمِيلُ إِلَى أَحَـــــدْ
وَغَدَا غَرِيباً بَيْنَ قَوْمٍ كَانَ قَبْلاً مِنْهُمُـــــــو
وَغَدَوْتُ بَيْنَ النَّاسِ لُغْزاً فِيهِ لُغْزٌ مبهـــــــمُو
يَا نَهْرُ ذَا قَلْبِي أَرَاهُ كَمَا أَرَاكَ مُكَبَّـــــــلاَ
وَالفَرْقُ أَنَّكَ سَوْفَ تَنْشُطُ مِنْ عِقَالِكَ وَهُولاَ

إنّ الشاعر يحسّ بالغربة والانفراد والوحشة والعزلة ، ومصدر ذلك كلّه اختلافه عن الناس من حوله وتنكّره لقيمهم وحياتهم التي لا تتوافق كليا مع قيمه ومبادئه ، فهـــو شاعر رومانسي وهم مادّيون ، هو صادق وهم كاذبون مزيّفون ، يلهثون وراء المادّة ؛ فهي أقصى أمانيهم ، ومن هنا وجده هؤلاء لغزا مبهما ، لا يجمع بينهم وبينـــه قاســـم مشترك ، وهناك تناقض واسع في طريقة التفكير ، وعليه عجز الشاعر عـــن الانســـجام والتواصل معهم ، فما كان منه إلاّ أن اختار العزلة عنهم ، ويلجأ في آخر القصـــيدة إلى الحوار مع النهر مقارنا نفسه به ، فحال النهر سيتغيّر بتغيّر الفصول ، بينما سيبقى حاله على ما هو عليه ، ومن خلال ذلك نستطيع أن نتنبّأ بمدى تأثّر الشاعر بوطأة الاغـــتراب

---

[1] ميخائيل نعيمة ،" همس الجفون "، المجموعة الكاملة ،دار العلم للملايين ، بيروت، ط 6 ،1999 ، 4/ 12

القاسية على نفسه ، إنّه يشعر بأنّه ضائع وبلا جذور ، والمسافة بينه وبين غيره كبُرت ؛ لأنّ كلّ ما يربطه بالآخرين هو المنفعة والمصالح وليس المبادئ و القيم الإنسانية العليا، التي لم يعد لها مكان في عصر كلّ ما يحكمه المادّة.

❖ **إيليا أبو ماضي والغربة الوجودية:**

إنّ الحيرة والشكّ والقلق حول مصير الإنسان و الوجود هي أبرز مظاهر الغربة الميتافيزيقية عند الأديب،و« الإنسان المغترب على الصعيد الميتافيزيقي هو الإنسان الذي يفتقد فهم أمرين هامين يتعلّقان بالوجود الإنساني، هما : معنى الحياة ، والغاية من الحياة»[1]. فهو عاجز عن فهم معضلات الوجود الإنساني وغير قادر على إدراك مجموعة من الحقائق، فهذه الأمور تجعله يُحسّ بالعجز، وفي قصيدة "الطلاسم" لإيليا أبي ماضي « يصوّر حيرته أمام الكون وألغازه ، ويكشف عن شعوره العميق بقصوره عن التغلغل في حقائق الأشياء واستجلاء صفاتها وعلاقاتها ومصدر وجودها »[2]. فإيليا في تأملاته وبتساؤلاته غير قادر على حل لغز الوجود، فقد استعصى ظاهر الكون على منطق عقله الإنساني المحدود معرفيا، يقول[3]:

جِئْتُ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَلَكِنّي أَتَيْتُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَامِي طَرِيقاً فَمَشَيْتُ
وَسَأَبْقَى مَاشِياً إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي ؟ لَسْتُ أَدْرِي
إِنّي جِئْتُ وَأَمْضِي وَأَنَا لاَ أَعْلَمُ
أَنَا لُغْزٌ وَذَهَابِي كَمَجِيئِي طَلْسَمُ
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللُّغْزَ لُغْزٌ مُبْهَمُ

---

[1] كاميليا عبد الفتاح ، « إشكاليات الوجود الإنساني » ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 ، ص : 129.

[2] شوقي ضيف ، « دراسات في الشعر المعاصر » ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، د.ت ، ص : 192.

[3] الديوان ، ص: 191و 214

لاَ تُجَادِلْ ذَا الحِجَا مَنْ قَالَ إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي

إنّ اللاأدرية ظلّت سيّدة الموقف ، وبقي الشاعر تائها ضائعا حائرا في سر الوجود، وهكذا وجد نفسه محبوسا في إطار المجهول والغربة؛ إذ أنّه لا يعلم أي شيء عن أي شيء، فهو لغز والوجود لغز، ولذلك لا جدوى من التساؤل ، فذو الحجى من قال لا أعلم.

لقد وقف إيليا أبو ماضي في ميدان الوجود ، فاكتنفته الظلمة وحاول أن يبحث في المجهول لعلّه يجد إجابة لهذه « اللماذا الكبرى » وللأسئلة التي تُلحّ عليه حتّى يريح وجدانه لكن دون جدوى، فقد ظلّت المأساة الوجودية تُلفُّه من كل جانب، وبقيت نفس الشاعر موزّعة في متاهات الألغاز الخالدة ، في سرّ الحياة والموت وظلال فكره في هذه المتاهات التي يهتدي فيها إنسان بعقله »[1].

ويظهر عجز المغترب وجوديا عن إدراك معنى الحياة والغاية من الوجود فيها ، فالحياة سلسلة من الشقاء ومأساة غير مبررّة ، تنتهي بموت غير مبرّر يتعارض مع إقبال الفرد على الحياة ، وهكذا متى ما « صار الإنسان جزءا من هذا العالم الذي يغصّ بما يبعث القلق والضجر، وهو يحاول أن يجد مكانا لذاته يجد نفسه في صدام مع العالم ، ومع منظوماته وآلياته ، مع حقائقه التي لم تكتشف بعد »[2]. يشتد إحساسه بالعجز والإحباط وتزداد حيرته وشكوكه فتتفاقم غربته ، وهكذا ظلّ المهجريّون يضطربون في عالم من الشكّ والحيرة والتساؤل في محاولة غير مجدية لإدراك كنه الأشياء.

2 - الاغتراب في شعر جماعة الديوان وأبولو :

❖ عبد الرحمن شكري :

---

(1) محمد غنيمي هلال ، « النقد الأدبي الحديث » ، دار العودة ، بيروت ، ط 1، 1982 ، ص : 392.

(2) رمضان الصباغ ، « في نقد الشعر العربي المعاصر » ، دراسة جمالية » ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1998 ، ص : 103.

لم تعرف مصر شاعرا متشائما ، كثير الشكوى ، ضاق بمن حوله كعبد الرحمـــن شكري ، فدواوينه السبعة تطغى عليها نغمة التشاؤم الّتي كانت تصبغ نفسه فتنعكـــس فيما ينظمه ، فقد كان يرى الحياة محنة واسعة والوجود فيها غربة ما بعدها غربة . وإذا تساءلنا عن الدوافع التي كانت وراء هذا الإحساس فإننا نجـــد ضـــالتنا في الأوضـــاع السياسية الصعبة التي كانت تعيشها مصر آنذاك ، فقد كان الاستعمار الإنجليزي جاثمـــا على صدرها ؛حيث كانت مصر « تجتاز دورة قاتمة في حياتها ، بل لعلّها أكـــثر دورات حياتها بأسا ، وبؤسا ، وكان الشباب الطامح من أمثال شكري يشعر شعورا عميقا بآلام الحياة التي يحياها وطنه وأثقالها ، ويرى إلى أي حدّ فسدت الحياة فيه فسادا لا يدع أملا في أن يّحقّق الشباب آمالهم، لما يُقيّدهم به المستعمر وأعوانه من قيود وأغلال »[1].

فما كان من شكري إلاّ أن ضاق بيئته وتبرّم من العيش فيها حتّى فكّر في الرحيل عنها، ورحل فعلا؛ لأنّه لم يستطع أن ينسجم مع مجتمع ينتشر فيه الشر ، وفسدت فيـــه النفوس فسادا عظيما ، فكان من الطبيعي أن يكون في شعره صورة لهذه الفترة المضطربة الحزينة وما ساد فيها من تشاؤم ويأس وقلق وسخط.

وعندما يتحدث عن غربته في دنياه وإحساسه الكئيب بالوحشة يصـــف نفســـه بالعليل، يقول [2]:

إِنْ أَكُنْ عَائِشاً فَعَيْشُ عَلِيلِ الـــ نَّفْسِ يَذْوِي مِثْلَ الرَّجَاءِ العَقِيمِ

وقد كان عبد الرحمن شكري متأثرا بشعراء العصر العباسي ممّـــن ملأ التشـــاؤم حياتهم نحو ابن الرومي والمتنبي، وبخاصّة أبو العلاء المعري؛ فنجده يقتدي به محرّما علـــى نفسه أن يتخذ الزوج ويُرزق الولد ، فالحياة من حوله شرّ لا خير فيه ، وهو لم يشعر فيه

---

[1] شوقي ضيف ، « دراسات في الشعر العربي المعاصر » ، ص : 111.

[2] الديوان ،جمعه و حققه: نقولا يوسف ،مراجعة و تقديم :فاروق شوشة ، المجلس الأعلى للثقافـــة، 2000،ص : 185

براحة نفس ولا بهدوء ضمير ، فحريّ به أن لا يجني على أبنائه ما جناه أبوه عليه [1] كما نراه متأثرّا به في طلبه للموت كخلاص من هذه الحياة وشرورها ؛لأنّ الموت يصبح في « نظره نهاية صراع عنيف مرير ، صراع بين أطماع البشر وأحقادهم ، صراع بين الزمـــن ومآسيه ومشاكله ، صراع يخلقه تعقّد الحياة ، واستبداد ضراوتها »[2] ويتمنى لو نزل به الموت لعلّه يخلّصه من شقاء دنياه ، وتضيق به الدنيا حتّى لكأنّه على قيد الحيـــاة دفين ، ويتزايد ضيق صدره وقلق نفسه فيصوِّر خوفه وفزعه وسخطه على الأصدقاء وغيرهم ، فالناس جميعا سواء ، لا يبعث التواجد معهم على الاطمئنان.

كما يصوّر الراحة التي وجدها في ظلمة القبر و لم يجدها في ضوء الحياة، يقول[3]:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَهْنَ مُظْلِمـــةٍ مِنَ المَقَابِرِ مَيِّتاً حَوْلَهُ رَمَـــــــمُ

نَاءَ عَنِ النَّاسِ لاَ صَوْتٌ فَيُزْعِجُنِـــي وَلاَ طُمُوحٌ وَلاَ حُلُمُ وَلاَ كَلِـــمُ

مُطَهَّرُ مِنْ عُيُوبِ العَيْشِ قَاطِبَـــةً فَلَيْسَ يَطْرُقُنِي هَمٌّ وَلاَ أَلَـــــــمُ

وَلَسْتُ أَشْقَى لأَمْرٍ لَسْتُ أَعْرِفُـــهُ وَلَسْتُ أَسْعَى لِعَيْشٍ شَأْنُهُ العَدَمُ

فَلاَ بُكَاءٌ وَلاَ ضَحِكٌ وَلاَ أَمَـــــلٌ وَلاَ ضَمِيرٌ وَلاَ يَأْسٌ وَلاَ نَـــــدَمُ

وَالمَوْتُ أَطْهَرُ مِنْ خُبْثِ الحَيَاةِ وَإِنْ رَاعَتْ مَظَاهِرُهُ الأَجْدَاث وَالظُّلْمُ

---

[1] يُنظر : شوقي ضيف ، « دراسات في الشعر المعاصر » ، ص : 113.

[2] يوسف نوفل ، « ديوان الشعر في الأدب العربي الحديث » ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1978 ، ص : 106.

[3] الديوان ، ص : 275-276.

ولّما كان الشؤم يلازمه ، والحياة في نظره شقاء في شقاء ، ولما كان إحساسه بالغربة في دنياه حارّا يطغى عليه ويؤرّقه وجد أنّه لا مفر إلاّ أن يتخلص من الحياة ويستقبل الموت؛ ليستريح من العناء والعذاب، يقول[4]:

حَيَاتِي أَمَّا لِلنَّحْسِ حَدٌّ وَلاَ مَدَى فَإِنِّي كَرِهْتُ العَيْشَ فِي أَوَّلِ الصِّبَا

كَأَنِّي رَبِيبُ النَّحْسِ لَيْسَ يجوْزني فَيَا شَرُّ مَا رَاعَ يَجُورُ إِذَا رَعَى

فَيَا مَوْتُ أَقْبِلْ لاَ كَإِقْبَالِ رَائِعٍ مَرِيرا كَطَعْمِ العَيْشِ يُؤْلِمُ مَنْ حَسَا

وكان عبد الرحمن شكري كجميع المغتربين يتبرّم بالعيش وسط الناس ، كثير التصوير لرذائلهم ، يحاول التخلص من واقعة المليء بالنقائص ، فيُكثر من انتقاده وتكون النتيجة الفرار من الناس وهجرهم ،

يقول[2]:

سَأَهْجُرُ هَذَا الخَلْقَ لاَ هَجْرَ عَائِدٍ وَلَكِنْ يَأْساً حِينَ لَمْ يَبْقَ مَطْمَعًا

لقد جعل عبد الرحمن شكري من التشاؤم الرومانسي وجها من وجوه التعبير عن اغترابه في هذه الحياة والضيق الذي اعترى نفسه بتواجده بين الناس.

❖ **إبراهيم ناجي** :

لقد كان إبراهيم ناجي أحد أهم أركان جمعية" أبولو" ، طلع على الناس بشعر غنائي حزين ، يغصّ بالشكوى الذاتية ، وقد ساهم في ذلك ظروف نشأته وبيئته ، حيث جعلت من تجربته الشعرية صادقة إلى حد بعيد ، وكانت « الظروف السياسية والاجتماعية التي رانت على مصر ما بين سنة 1925 – 1939 من طغيان القصر وتسلّط الحكام المشايعين له ، ومن تعطيل للدستور وما كان من عهود قاتمة ، ومن حكام

---

[4] الديوان ، ص : 443و 444و 445

[2] الديوان ، ص : 529

حكموا مصر بيد من حديد قد أرهقت الشعور وملأت النفوس بالخيبة واليأس ، والشعراء أشدّ إحساسا بالتمزّق النفسي والضياع الذاتي »[1] ، فكان أدب هذه الجماعة هربا نفسيا وبكاء صارخا.

وقد كان إبراهيم ناجي رقيق النفس والشعور، وهو ما يظهر في أغلب قصائده وبخاصّة قصيدة" الغريب" ؛ التي صوّر فيها حبّه الذي تداعى وانهدم وأصبح مجرد ذكريات ، وفي موقفه هذا يذكّرنا بالشاعر العذري الذي اتّخذ من تجربته الفاشلة في الحب وسيلة للتعبير عن اغترابه، يقول[2]:

يَا قَاسِيَ القَلْبِ كَيْفَ تَبْتَعِدُ إِنِّي غَرِيبُ الدِّيَارِ مُنْفَرِدُ

إِنْ خَانَنِي اليَوْمُ فِيكَ قَلْتُ إِذَا وَأَيْنَ مِنِّي وَمِنْ لِقَاكَ غَدُ

إِنَّ غَدا هُوَّةٌ لِنَاظِرِهَا تَكَادُ فِيهَا الظُّنُونُ تَرْتَعِدُ

أُطِلُّ فِي عُمْقِهَا أَسَائِلُهَا أَفِيكِ أَخْفَى خَيَالُهُ الأَبَدُ

أُلاَمِسُ الجُرْحَ مَا الَّذِي صَنَعَتْ بِهِ شِفَاهٌ رَحِيمَةً وَيَدُ

مَلْئ ضُلُوعِي لَظَى أَعجبُهُ إِنِّي بِهَذَا اللَّهِيبِ أَبْتَرِدُ

يَا تَارِكِي حَيْثُ كَانَ مَجْلِسُنَا وَحَيْثَ غَنَّاكَ قَلْبِي الغَرِدُ

أرِنُوا إِلَى النَّاسِ فِي جُمُوعِهِم أَشْقَتْهُم الحَادِثَاتُ أَمْ سَعِدُوا

---

[1] محمود حامد شوكت و رجاء عيد ، « مقومات الشعر العربي الحديث » ، ص : 245.

[2] الديوان ، دار العودة ، بيروت، 1986، ص : 149-150

تَفَرَّقُوا أَمْ هُمُو بِهَا احْتَشَـــــدُوا وَغَوَّرُوا هابِطِينْ أَمْ صَعَــدُوا

إِنِّي غَرِيبٌ تَعَالَ يَا سَكَنِـــــــي فَلَيْسَ لِي فِي زِحَامِهِمْ أَحَــدُ

إنّ سبب غربة الشاعر هو فقد الحبيب الذي وصفه بقسوة القلب؛ متسائلا كيف يجفوه ويتركه غريبا متوحّشا في الديار لا رفيق له ولا أنيس ، فتكبُر مخـــاوفه ويجتـــاحه اليأس كلمّا أتى الغد و لم يحدث اللقاء الذي كان يترقّبه يوما بعد يوم ، فيتخيّل المستقبل وقد تحول إلى حفرة عميقة بلا قرار، ترتعد في داخلها هواجسه وظنونه ومخاوفه.

وتنتهي القصيدة بتصوير مشاعر الاغتراب والإحساس بالوحدة في غياب الحبيب، فهو وحده سكنُ الشاعر ومصدر أنسه ،على عكس، ذلك فإنّه لا يشعر بالراحة بوجوده بين الآخرين.

❖ **أبو القاسم الشابي** :

شاعر مرهف الإحساس ، يطفح شعره بالكآبة والحزن والأسى عاكسا ظروفـــه الشخصية القاسية التي عاشها في ريعان الشباب، وتمثّلت في ثلاث نكبات حلّـــت بـــه: زواج غير موفق ،وحب مخفق، وموت والده، بالإضافة إلى مرض ضخامة القلب الـــذي أصابه فجعله يرى الدنيا عذابا جحيما ، وزيادة على همومه الذاتية كان الشابي –كـــأيّ مثقف– مهتمّا بالشأن العام، فكانت الظروف العصيبة التي مرّت بها **تـــونس** في ظـــلّ الاستعمار الفرنسي تؤرّقه، وقد «أحسّ إحساسا دقيقا بعلّة أمّته وبالمرض السياسي الذي يطحنها – طحن الرحى – تحت أنيابه ، إنه الاستعمار البشع الغاشم ، الـــذي ألقـــى بقلاقله على صدر أمّته ، وإنّها لتذوق منه ومن ظلمه وبطشه الأمرّين ، فترفع نفســـها تريد أن تحيا حياة كريمة؛ فينهال عليها ضربا وطعنا؛ حتّى تخرّ مهيضة ، وهـــي تئن أنين

الثكلى »[1]، وتبعا لهذه الظروف انعكس الألم الحاد في قصائده وطغت عليها نبرة الشكوى والأنين ؛فراح يصف في شعره سأمه من الحياة واغترابه فيها.

وبإلقاء نظرة سريعة على « قصائد: "إلى الموت" و "الاعتراف" و"الصباح الجديد " لأبي القاسم الشابي نجدها جميعا تطفح بالأسى ، وتبدو الحياة من خلالها فجاجا من الجحيم ، وجبالا من الهموم وضبابا من الألم »[2].

وفي قصيدته "يا موت" يعبّر الشاعر عن ألمه الشديد وغربته الناجمة عن الإحساس المرّ بفقد والده قائلا[3]:

يَا مَوْتُ قَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي وَقَصَمْتَ بِالأَرْزَاءِ ظَهْرِي

وَفَجَعْتَنِي فِي مَنْ أُحِبُّ وَمَنْ إِلَيْهِ أَبُثُّ سِرِّي

وَرَزَأْتَنِي فِي عُمْدَتِي وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرِ

وَهَدَمْتَ صَرْحاً لاَ أُلُوذُ بِغَيْرِهِ وَهَتَكْتَ سِرِّي

وَفَقَدْتُ كَفًّا فِي الحَيَاةِ تَصُدُّ عَنِّي كُلَّ شَرِّ

وتبرز ملامح الاغتراب السياسي عند الشابي الذي كان مهموما منشغل الفكر بمصير أمتّه، فقد « كان يعكف على استقراء واقع شعبه وهو يرزح تحت كابوس الاستعمار، يسترف دماءه ويبتز خيراته ، ثمّ هو بعد ذا وذاك يُلجم صوته بالكبت والغلبة القاهرة ، وينظر الشاعر إليه في ذاته فيراه شعبا طوّقته قرون الانحطاط؛ فكبّلته بقيود من الوهم والظلال قادته إلى الانسلاخ والتفسخ »[4]. فمبعث اغترابه إذن إحساسه بالعجز عن التدخل وإحداث تغيير في لحياة السياسية للبلاد

---

[1] شوقي ضيف ، « دراسات في الشعر المعاصر » ، ص : 150.

[2] محمد زكي العشماوي ، « الأدب وقيم الحياة المعاصرة » ، ص : 110.

[3] أبو القاسم الشابي ،"أغاني الحياة" ، ص 140-143

يقول معبّرا عن ذلك[1]:

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَوِيلٍ أَوْ لِرَبْعٍ غَدَا العَفَاءُ جِرَاحَهْ
إِنَّمَا عَبْرَتِي لِخَطْبٍ ثَقِيـــــلٍ قَدْ عَرَانَا، وَلَمْ نَجِدْ مَن أَزَاحَـــهْ
كُلَّمَا قَامَ فِي البِلاَدِ خَطِيـــبٌ مُوقِظٌ شَعبَهُ يَرُدُّ صَلاَحَـــهْ
أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيصِي اضْطِهَادٍ فَاتِكٍ شَائِكٍ يُرِيدُ جِمَاحَـــــهْ
أَخْمَدُوا صَوْتَهُ الإِلَهِي بِالعَسْفِ أَمَاتُوا صُدَاحَهُ وَنُوَاحَـــــهْ
وَتَوَخَّوْا طَرَائِقَ العَسْفِ وَالإِرْ هَاقِ ، تَوًّا وَمَا تَوَخَّوْا سَمَاحَهْ
هَكَذَا المُخْلِصُونَ فِي كُلِّ صَوْبٍ رَشَقَاتُ الرَّدَى إِلَيْهِم مُتَـــاحَهْ

كما كان الشاعر يعاني من الغربة الاجتماعية إذ أنّه لم يكن قادرا على التوافق مع مجتمعه ،و هو ما عبّر عنه في قصيدته : « الأشواق التائهة» قائلا[2]:

يَا صَمِيمَ الحَيَاةِ ، كَمْ أَنَا فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ أَشْقَى بِغُرْبَة نَفْسِي
بَيْنَ قَوْمٍ ، لاَ يَفْهَمُونَ أَنَاشِيـــــدَ فُؤَادِي وَلاَ مَعَانِي نَفْسِـــي
فِي وُجُودٍ مُكَبِّلٍ بِقُيُـــــــــودٍ تَائِهٍ فِي ظَلاَمِ شَكٍّ وَنَحْسِ

---

[4] عبد السلام المسدي ، « قراءات مع المتنبي والجاحظ والشابي » ، دار سعاد الصباح ، الكويت ،ط 4، 1993 ، ص : 59 – 60.

[1] أبو القاسم الشابي ،"أغاني الحياة" ، ص : 24

[2] نفسه ، ص :169.

فمصدر غربته يكمن في عدم مقدرة الناس الذين يعيش بينهم على تفهّمه، يقول[1] :

مَا فِي وُجُودِ النَّاسِ مِنْ شَيْءٍ يُرْضِي فُؤَادِي أَوْ يَسُرُّ ضَمِيرِي
فَإِذَا اسْتَمَعْتُ حَدِيثَهُمْ أَلْفَيْتُهُ غَثًّا يَفِيضُ سَأْماً وَفُتُورِ
وَإِذَا حَضَرْتُ جُمُوعُهُمْ أَلْفَيْتَنِي مَا بَيْنَهُمْ كَالبُلْبُلِ المَأْسُورِ

إنّ غربة الشابي و مرضه بعثا في نفسه كآبة شديدة، يقول[2]:

أَنَا كَئِيبٌ أَنَا غَرِيبٌ
كَآبَتِي خَالَفَتْ نَظَائِرَهَا
غَرِيبَةٌ فِي عَوَالِمِ الحُزْنِ
كَآبَتِي ذَاتُ قَسْوَةٍ صَهَرَتْ
مَشَاعِرِي فِي جَهَنَّمَ الأَلَمِ
لَمْ يَسْمَعِ الدَّهْرُ مِثْلَ قَسْوَتِهَا

والشابي مغترب في هذه الحياة ، روحه سجينة في جسدها وأسيرة بين جدران العالم؛لأنّه بعيد عن وطنه الأصلي، و هو في حنين دائم إليه، يقول[3]:

شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي السَّمَاوِي الَّذِي مَا كَانَ وَاجِماً مَضْمُومَا
شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي الجَمِيلِ أَنَا الشَّقِيُّ فَعِشْتُ مَشْطُورَ الفُؤَادَ بَيْنَمَا
فِي غُرْبَةٍ رُوحِيَّةٍ مَلْعُونَةٍ أَشْوَاقُهَا تُفْضِي عِطَاشاً هيما
يَا غربَةَ الرُّوحِ المُفَكِّرِ إِنَّهُ فِي النَّاسِ يَحْيَا سَائِماً مَسْئُوماً

---

[1] نفسه ، ص : 109

[2] أبو القاسم الشابي ،"أغاني الحياة" نفسه ، ص : 47.

[3] نفسه ، ص : 120.

وردًّا على هذه الحياة الكئيبة والغربة الشاملة ، دعا أبو القاسم الشابي إلى حيـــاة الغاب مقلّدا جبران خليل جبران ؛الذي كان متأثّرا به ، كما نجده يتّخذ من العزلة ملاذا له يقهر به غربته ، يقول[1]:

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْـــ يَا سَعِيداً بِوِحْدَتِي وَانْفِرَادِي
أَصْرِفُ العُمْرَ فِي الجِبَالِ وَفِي الغَـــابِ أُصْغِي إِلَى خَرِيـــرِ الـــوَادِي
وَأُنَاجِي النُّجُومَ وَالفَجْـــــرَ وَالأَ يَّامَ وَالدَّهْرَ وَالضِّيَاءَ الهَـــادِي
عِيشَةً لِلفَنِّ وَالجَمَالِ أَبْغِيهَـــــــا بَعِيداً عَنْ أُمَّتِي وَبِـــــــلاَدِي
وَبَعِيداً عَنْ المَدِينَةِ وَالنَّـــــــا سِ بَعِيداً عَنْ لَغْوِ تِلْكَ النَّوَادِي

فهروبه إلى الغاب كان انسحابا من حياة لم يجد فيها راحة، ولا مـــع قوانينهـــا انسجاما ،ولا مع ناسها اتصالا ، فوجد في الغاب بديلا عنهم يُغنيه عن العيـــش بينهـــم .ففي الطبيعة يجد "ما يلتفت إليه حين تثقله أعباء الحياة وتدهمه همومها، فتأسوا جراحه، وتكون له عزاء وسلوى"[2]، كما أنّ الشابي وجد في الموت خلاصا له من الاغتراب وقهرا للشقاء الذي يعانيه ، فطلب الانسحاب من الحياة لعلّه يُفلت من سجن الوجود.

وكخلاصة لتجربة الاغتراب في شعر الشابي، نقول إن غربته بدأت مـــن وقـــائع مادّية لكنها انتهت إلى تجربة روحية تُفصح عن عذاب الروح ورغبة في الخلاص من هذا الوجود، فانعكست مظاهر ذلك في شعره الباكي الحزين الحافل بالتعبير عـــن الكآبـــة والسأم، المتشرّب بالسوداوية.

---

[1] نفسه ، ص : 171.

[2] رجاء عيد و محمود حامد شوكت ، "مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر"، دار الفكر العربي، د.ت، د.ب،ص: 239.

كانت هذه وقفة مع أبرز شعراء المرحلة الأولى من العصر الحديث حاولت من خلالها إلقاء الضوء على اغترابهم وبواعثه ، والأن سأمر إلى المرحلة الثانية؛ والتي حدّدها من نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات إلى غاية السبعينات؛ وسأقتصر على **بدر شاكر السياب** من **العراق**،و**صلاح عبد الصبور** من **مصر**، لأنّ المقام يضيق إذا أردنا التعرّض لجميع التجارب الشعرية.

3- الاغتراب في الشعر الحر :

لقد أصبح الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية مسرحا للتغيّرات والتطورات على مختلف الأصعدة والميادين، وقد ظهرت في الساحة الأدبية العربية تيارات شعرية مستحدثة تدعو للتجديد وللتعبير بصدق عن ما يعانيه إنسان العصر الحديث من صراعات وتأثيرها على نفسيته ،وقد بدأت هذه الموجة في **العراق** الذي كان يعيش مرحلة مضطربة وقلقة؛حيث تكاتفت الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما نتج عنها من اتجاهات سياسية يمينية أو يسارية؛ لتخلق غربة قاسية كابدها الشعراء، من بينهم: بدر شاكر السياب ، فانعكست في قصائده مشاعر الثورة والرفض والإحساس بالقلق والضياع، إذ أنّ « المؤسسة السياسية القائمة آنذاك في العراق دفعت بعجلة الاستعمار، وصادرت الحرّيات العامة والشخصيّة، وأفقرت الشعب، كما اتّسم الوضع الاجتماعي بسيادة القوى المحافظة، وجمود التقاليد، وكان على الشاعر أن يدخل معركة الحرّية ضدّ القوى والمؤسسات الحاكمة والمتنفذة ، وليقين الشاعر بأن معركته خاسرة لانعدام تكافؤ قوى الصراع ، فقد وجد نفسه غريبا في محيط قاس، بعد أن وعى المأساة، وكافح من أجل الخلاص دون جدوى[1] وللتعرّف على أنماط هذه الغربة عند الشاعر العراقي سأحاول أن أقف على بعض التجارب الشعرية للشعراء الرّواد مستنطقة بعض النصوص الشعرية على اعتبار أنّ موضوع الضياع والغربة حظي باهتمام «معظم شعرائنا المحدثين، حيث تحدّثوا عن هذه الظاهرة بشكل أو بآخر في مرحلة ما من حياتهم

---

[1] محمد جعفر راضي ، « الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر » ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 1994 ، ص : 05.

الشعرية، أو في جميع مراحها. »[1] وذلك في جميع أنحاء الوطن العربي دون استثناء، ويُعدّ بدر شاكر السياب نموذج الشاعر العربي المغترب بكل المقاييس ؛لأنّه عرف جميع أنـــواع الغربة.

❖ **بدر شاكر السياب** :

لقد كان السياب شاعرا فذّا ، مفرط الحساسية، يشعر بالغربة وينظر للوجود من خلال غربته النفسية ،فاصطبغ شعره بصبغة المراحل التي تقلّبت فيها حياته ، ونجده قـــد عانى من أنماط الغربة المختلفة: مكانية، واجتماعية، وسياسية، ففي « جيكور تبدأ غربة السياب الاجتماعية ، والتي ستقوده إلى تجارب مشبعة بالمرارة والألم،ومن أبرزها تجاربه في الحب والثورة ، والحاجة والحنين إلى الماضي ، والمرض الوبيل، وقد وُلدت هذه الغربة من رحم ظروف، لم يكن للسياب يد فيها »[2] . ويمكن أن نـــوجز عوامـــل غربتـــه الاجتماعية في إحساسه الخانق بالنقص الذي كان يكدّر عليه عيشه ؛لأنَّ السياب كمـــا يبدو من خلال وصف إحسان عباس له دميم الوجه [3] ، فالسياب إذن،كان يفتقد أحد عوامل التوازن النفسي في المجتمع العربي الذي يحكم على الفرد من مظهره ، ولا يخفـــى علينا أثر الشكل في تحقيق علاقات اجتماعية سويّة بخاصّة مع المرأة، وهذا الأمـــر كـــان يُنغصّ على السياب حياته؛ إذ أنّه عانى الأمرّين حتّى وجد زوجـــة تشـــاركه العيـــش وتتقاسم معه أفراحه وأحزانه.

لم يستطع السياب أن يتغاضى عن هيئته الخِلقية ، وهذا الأمر وحده كفيل بـــأن يشكِّل بؤرة اغتراب حادّ ، يقول[4]:

وَاهِيَّ الكَيَانِ كَأَنَّ خَطْباً هَدَّهُ ذَاوِي الشِّفَاهِ لِطُولِ مَا يَتَنَهَّدُ

---

[1] جلال فاروق ، « الشعر العربي الحديث » ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1976 ، ص : 68.

[2] محمد جعفر راضي ، « الاغتراب في الشعر العراقي » ، ص : 06.

[3] إحسان عباس ، « بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره» ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 4 ، 1978 ، ص : 25.

[4] الديوان ، دار العودة ، بيروت ، 1984 ، 2 / 337.

وَهُوَ المُعَطَّلُ مِنْ قِوَامٍ فَــارِعٍ يَسْبِي العُيُونِ وَوَجْنَةٍ تَتَــوَرَّدُ

ويضاف إلى ذلك وفاة أمّه وهو لا يزال طفلا ، ففقد بذلك كلّ مصدر للحنان ، وبدأ شعوره الرهيب بالغربة في بيت أبيه، وأصبحت حياته بعد أمّه خريفا طويل الليــالي كما يقول[1]:

فِي لَيَالِي الخَرِيفِ الطِّوَالْ
آهْ لَوْ تَعْلَمِينْ
كَيْفَ يَطْغَى عَلَيَّ الأَسَى وَالمِلاَلْ !؟
فِي ضُلُوعِي ظَلاَمُ القُبُورِ السَّجِينْ

وظلّ السياب طول حياته محتفظا بذكرى أمّه لا ينساها بخاصّة عندما اشتدّ بـــه المرض وساءت حالته الصحية، يقول[2]:

أُمَّاهُ لَيْتَكِ تَرْجِعِينْ
شَبَحاً وَكَيْفَ أَخَافُ مِنْهُ وَمَا امِّحَتْ رَغْمَ السِّنِينْ
قَسَمَاتُ وَجْهِكِ مِنْ خَيَالِي؟

وقد توالت عليه المآسي بوفاة جدّته؛ التي كانت سنده الوحيد بعد وفاة والدته ، ليصبح سجين الأسى والوحدة ،يقول[3]:

جَدَّتِي مَنْ أَبُثُّ بَعْدَكِ شَكْــوَايَ؟ طَوَانِي الأَسَى وَقَلَّ مُعِينِــي
أَنْتِ يَا مَنْ فَتَحْتِ قَلْبَكِ بِالأَمْسِ لِحُبِّي أَوْصَدْتِ قَبْرَكِ دُونِي

وبزواج أبيه من امرأة أخرى فَقَدَ كل أمل في الحصول على العطــف والحنــان والحب الذي يحتاجهما كل إنسان ،فعبّر عن مأساته قائلا[4]:

خَيَالُكِ مِنْ أَهْلِي الأَقْرَبِينْ أَبَرُّ و إِنْ كَانَ لاَ يُعْقَــلُ

---

[1] الديوان ، 1 / 68.

[2] الديوان ، 1/ 616-617.

[3] الديوان ، 2 /104

[4] نفسه،ص: 151.

أَبِي...مِنْهُ قَدْ جَرَّدَتْنِي النِّسَاءُ وَأُمِّي طَوَاهَا الرَّدَى المُعَجَّلُ

كما أنّ الشاعر لم يسلَم من وطأة الاغتراب السياسي الذي كان سببا في غربته المكانية ، فحبّ بدر لوطنه العراق والتزامه بالدفاع عن حقوق الشعب العراقي؛ الذي عانى من ويلات الاستعمار وجبروت السلطة جعله ينتسب إلى الحزب الشيوعي لعلّه يُسهم في إحداث التغيير؛ الذي يراود المثقف المهتم بأمر أمته، لكنّه « ذاق الأمرّين من السياسة، من اليسار ومن اليمين ، كان قد خرج على الشيوعيين منذ عام 1955 عندما عرف موقفهم من قضية فلسطين ، وعندما وجد أنّه أكبر من أن يُستخدم لسياسة تُفرَض عليه من حيث لا يدري ، وهذا جرّ عليه أنواعا من الاضطهاد بُعَيدَ ثورة 1958 ، فحُورب في رزقه، وفُصل من وظيفته ، ومُنِع عن العمل في أية وظيفة أخرى، واعتقل أكثر من مرة »[1] ، ولأنّ الشاعر اكتشف زيف الحياة السياسية وعدم مصداقية الأنظمة السياسية العربية ، ولغة الأسى على هذا الواقع الرهيب ،وجد كغيره من الشعراء في رمز المسيح تعبيرا عن معاناته وغربته السياسية، يقول في قصيدته " المسيح بعد الصلب "[2]:

بَعْدَمَا أَنْزَلُونِي ، سَمِعْتُ الرِّيَاحْ
فِي نُوَاحٍ طَوِيلٍ تَسَفُّ النَّخِيلْ
وَالخُطَى وَهِيَ تَنْأَى ، إِذَنْ فَالجِرَاحْ
والصليب الذي سمّروني عليه
طِوال الأصيلِ لم يُمِتنِي

فالقصيدة تجسّد فكرة البطل المنقذ والمخلّص ومن هنا تنطلق المعادلة التي « تقع بين تجربة الشاعر ورؤيته وتجربة الصلب التي تعرّض إليها المسيح ، فأشار إلى العذاب الذي سُلِّط عليه دون أن يمنعه من أن يضحّي من أجل الآخرين ، والعذاب المادّي والمعنوي الذي سلّطه الإرهاب السياسي عليه ، لم يمنعه هو كذلك من أن يتكلّم ويدافع

---

[1] جبر إبراهيم جبرا ، « النار والجوهر » ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1982 ص : 70.

[2] الديوان ، 1/ 457.

باسم الآخرين»[1] ومن هنا نلمس التزام بدر بالقضايا التي تهمّ وطنه وشعبه، ونلمح دور المثقف في خدمة المصلحة العامة بخاصّة وأنّه يشاهد و يعيش ما يعانيه الناس في وطنه.

يقول بدر معبّرا عن مأساة شعبه في قصيدته " حنين في روما "[2]:

مِنْ جُوعِ صِغَارِكَ يَا وَطَنِي ، أَشْبَعْتَ الغَرْبَ وَغِرْبَانَه
صَحْرَاءُ مِنَ الدَّمِ تَعْوِي ، تَرْتَجِف مَقْرُورَة
وَمَرَابِطُ خَيْلٍ مَهْجُورَة
وَمَنَازِلُ تَلْهَثُ أَوَّاهَا
وَمَقَابِرُ يَنْشَجُ مَوْتَاهَا

نستشفّ من هذه الأبيات حبّ بدر لشعبه الذي أنهكه الذلّ وقهر الظُلام ، وبعد كل ذلك النضال والالتزام انتهى به المطاف مُطَارَدًا في **إيران** ومن ثمّ **الكـــويت** يُكابـــد الغربتين: نفسية ومكانية، فهو في بلاد غريبة عنه، وقلبه مُعلّق بوطنه وشـــعبه المقهـــور، وهناك كتب قصيدَته التي تعدّ من روائع الشعر العربي الحديث " غريب علـــو الخليـــج "،مصوّرا غربته الحادّة.

يقول[3]:

الرِّيحُ تَلْهَثُ بِالهَجِيرَة كَالجُثَامِ ، عَلَى الأَصِيلِ
وَعَلَى القُلُوعِ تَظَلُّ تُطْوَى أَوْ تُنْشَرُ لِلرَّحِيلِ
زَحمَ الخَلِيجُ بِهِنَّ مُكْتَدِحُونَ جَوَّابُو بِحَارِ
مِنْ كُلِّ حَافٍ ، نِصْفِ عَارِي
وَعَلَى الرِّمَالِ ، عَلَى الخَلِيجِ
جَلَسَ الغَرِيبُ يُسَرِّحُ البَصَرَ المُحَيِّرَ فِي الخَلِيجِ
وَيَهُدُّ أَعْمِدَةَ الضِّيَاءِ بِمَا يُصَعِّدُ مِنْ نَشِيجِ

---

[1] آمنة بلعلي ، « أبجدية القراءة النقدية » ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص : 53 – 54.

[2] الديوان ، 1 /151.

[3] الديوان ، 1 /318.

أَعْلَى مِنَ العُبَابِ يَهْدُرُ رَغْوُهُ مِنَ الضَّجِيجِ
صَوْتٌ تَفَجَّرَ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي الثَّكْلَى : عِرَاق
كَالمَدِّ يَصْعَدُ كَالسَّحَابَةِ ، كَالدُّمُوعِ إِلَى العُيُونِ
الرِّيحُ تَصْرُخُ بِي : عِرَاق
وَالمَوْجُ يُعَوِّلُ بِي : عِرَاقْ ، عِرَاقْ ، لَيْسَ سِوَى عِرَاقْ!

لقد عاش بدر شاكر تجربة المنفى كغيره من الشعراء الرواد، وعرف آثاره المدمّرة للنفس، لكن تجربة الفقد، وما تُولّده من شعور بالحنين والشوق كانت حافزا كبيرا للإبداع، حيث أنّ "الاقتلاع القسري من المكان لا يُحدث في الواقع موتا لفكرة الوطن، وإنّما تظلّ الفكرة قادرة على النمو في الغربة ، فالشعراء يعيشون وطنا لغويّا يَبنونه في ديوان أو قصيدة شعر"[1].

إنّ صرخة بدر المشتاق إلى وطنه ، رغبة المشتاق في لقاء الأرض التي وُلد عليها، وكلّ مظاهر الطبيعة من حوله تذكّره بها، وهذه الصرخة « نابعة أساسا من رغبة الشباب المنسحق في الالتحام بالأرض ، رمز الهوية الوجودية التي يبدو أنّه يعاني من فقدها في الحاضر »[2] ، ثمّ يعود الشاعر إلى ماضيه ، فيلتقي بوجه أمّه ويذكر كيف كان يخشى الأشباح بين النخيل كلّما حلّ الغروب ، ثمّ يذكر استمتاعه بتلك القصص التي كانت ترويها عمّته ويتساءل كيف يخاف الإنسان وطنه العراق وهو أجمل من غيره، فالشمس في بلاده بل حتّى الظلام أجمل من سواها ، ويزداد إحساسه بالغربة وما يقاسيه من ذلّ ومن عطف الأجانب عليه؛ فالموت أهون عليه من هذا الأمر ، وكلّ ذلك لأنّه غريب.

يقول[3]:

---

[1] اعتدال عثمان، "إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث"، الهيئة المصرية العامة للكتاب"، 1998م، ص: 8.

[2] أمنة بلعلي ، « تجليات مشروع البعث والإنكسار في الشعر العربي المعاصر » ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص : 53.

[3] الديوان ، 1/ 321-322.

مَازِلْتُ أَضْرِبُ ، مُتْرَبَ القَدَمَيْنِ أَشْعَثاً فِي الدُّرُوبِ
تَحْتَ الشُّمُوسِ الأَجْنَبِيَّة
مُتَخَافِقَ الأَطْمَارِ ، أَبْسُطُ بِالسُّؤَالِ يَداً نَدِيَّةً
صَفْرَاءَ مِنْ ذُلٍّ وَحُمَّى ، ذُلّ شُحَّاذٍ غَرِيب
بَيْنَ العُيُونِ الأَجْنَبِيَّة
بَيْنَ احْتِقَارٍ وَانْتِهَازٍ ، وَازْوِرَارٍ...أَوْ خَطِيَّة
وَالمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ "خَطِيَّة"
مِنْ ذَلِكَ الإِشْفَاقِ تَعْصِرُهُ العُيُونُ الأَجْنَبِيَّة
قَطَرَاتِ مَاءٍ مَعْدَنِيَّة

وينتهي به المطاف متسائلا عن موعد العودة إلى وطنه بقوله[1]:

فَلْتَنْطِقِي ، يَا أَنْت، يَا قَطَرَاتُ، يَا دَمُ، يَا...نُقُودُ، يَا رِيحُ، يَا إِبَراً تَخِيطُ لِي
الشِّرَاعَ ، مَتَى أَعُودُ
إِلَى العِرَاقِ ؟ مَتَى أَعُودُ ؟

ومع بداية سنة 1961 بدأ السياب يعاني من المرض ، فاستبدّ به الشعور بالغربة والوحدة ، ونجده يتحدّث عن معاناته وألمه في قصيدته " سفر أيوب" ، يقول[2]:

أُحَرِّكُ الأَطْرَافَ لاَ تُطِيعُنِي مَشْلُولَةً
مَاتَ الدَّمُ الفَوَّارُ فِيهَا
وَأُغْضِبَتْ نَوَاظِرِي الذَّلِيلَةُ ، لَعَلَّهَا تَعْتَادُ مِنْ دُجَاهَا

لقد كان شعر بدر شاهدا على « الصورة العامة للعراق ، ونضـــاله ومآســـيه وخيباته الّتي وعتها ذاكرته ، ووعت إلى جانبها صورة من مآسيه وخيبات حياته الخاصّة بصورة عامة، وفي مرحلة الطفولة والصبا منه على وجه خاصّ، فكانت أزمة الغربة تُعمّق

---

(1) الديوان ، 1/ 322

(2) نفسه ، ص :272

في نفسه إحساسا فرديا طاعنا يحجب كل شيء سواه [1]. ولذلك جاء شعره صـــادقا ، ينفذ إلى وجدان القارئ دون استئذان.

❖ **صلاح عبد الصبور** :

صلاح عبد الصبور شاعر مصري من أبرز رواد حركة التجديد الشعري في مصر منذ أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات ، كما أنّه من أكثر الشعراء تصويرا للاغتراب في شعره، متّخذا من نغمة الحزن التي تغلب على قصائده وجها معبّرا عن غربتـــه ، وإذا تساءلنا عن أسباب شيوع الحزن في القصيدة العربية الحديثة فإننـــا نصـــطدم بعوامـــل وبواعث كثيرة ينبع منها حزن الإنسان ، وهي كفيلة بأن تجعله يسيطر عليـــه ويســـكن كيانه، فإضافة إلى التناقضات التي يواجهها الإنسان في الحياة بين محدودية قدراته وآماله العريضة ، وحتميّة الموت ، وغريزة حبّ الحياة معا، نجد مساهمة « الوضعية التاريخيـــة العربية في عملية توطين الحزن في البنية النفسية للإنسان العربي عامة – وللشاعر خاصّة – حيث تراكم على هذا المجتمع : عهود الظلم والاستبداد ، والهزائم ، وصنوف الاحتلال، والقهر الداخلي، وغير ذلك من ألوان المكابدات التي بدت أفخاخا للحزن العربي »[2] ، يضاف إلى ذلك حزن الشاعر الشخصي الناجم عن الإحباطات الفردية والفشل في تحقيق الذات والآمال والطموحات التي لطالما صبا إلى بلوغها.

وصلاح عبد الصبور شاعر ينتمي إلى « الجيل الذي عاش وسط الانذهال والحزن والرتابة ، خلال مرحلة التمزّق العميق والتناقض بين معطيات التراث المقدّســـة وثـــورة الجيل المتمرّد المهزوم »[3] ؛ الذي عايش أســـوأ الظـــروف السياســـية والاجتماعيـــة والاقتصادية، وحتّى الثقافية التي مرّت بها الشعوب العربية،فانعكست ملامح الاغـــتراب

---

[1] يُنظر :محمد حسن الأعرجي ، « مقالات في الشعر العربي المعاصر » ، الجزء الأول ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، 1985 ، ص : 131.

[2] كاميليا عبد الفتاح ، « إشكاليات الوجود الإنساني » ، ص : 29.

[3] أمطانيوس خليل ، « دراسات في الشعر العربي الحديث » ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1968، ص : 198.

والضياع في شعره مُسجّلة أحزانه، ومعبِّرا بها عن واقع كئيب وقد عَدَّ صـــلاح عبـــد الصبور الحزن قَدَر الشاعر والإنسان ، يقول[1]:

هُنَاكَ شَيْءٌ فِي نُفُوسِنَا حَزِينْ
قَدْ يَخْتَفِي وَلاَ يَبِينْ
لَكِنَّهُ مَكْنُونْ
شَيْءٌ غَرِيبٌ...غَامِضٌ...حَنُونْ

ويقول أيضا في قصيدة الشيء الحزين[2]:

حُزْنِي غَرِيبُ الأَبَوَيْن
لأَنَّهُ تَكَوَّنَ ابْنَ لَحْظَةٍ مُفَاجِئَهْ
مَا مَخَضَتْهُ بَطْنْ
أَرَاهُ فَجْأَةً إِذْ يَمْتَدُّ وَسْطَ ضِحْكَتِي
مُكْتَمِلَ الخَلْقَة ، مَوْفُورَ البَدَنْ
كَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ تَحْتِ الرُّكَامْ
بَعْدَ سُبَاتٍ فِي الدُّهُورْ

لقد نبع حزن صلاح عبد الصبور من ظروف الفقر والتخلف التي تحيط بشـــعبه وأهله، لقد تألّم لحال الإنسان الضائع في زحمة الأزمات ، والمســـحوق تحـــت وطـــأة الاحتلال والمناخ السياسي الضاغط ونهشة الفقر والجهل، بينما اطّلع على حال الإنسان في الغرب، فوجده قد قطع أشواطا سابقا الإنسان في الوطن العربي ، فهناك تسود العدالة والحرّية وكل المبادئ الساميّة والقيم الفاضلة ، في حين اجتمعت في مجتمعه وفي وطنه وفي ناسه كل الصفات التي تجعله ينفر منهم ويشعر بالضياع وسطهم ،يقول[3]:

النَّاسُ فِي بِلاَدِي جَارِحُونَ كَالصُّقُورْ

---

[1] الديوان ، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1972، ص: 109

[2] الديوان ، ص : 207.

[3] نفسه، ص: 29.

غِنَاؤُهُم كَرَجْفَةِ الشِّتَاءِ فِي ذُؤَابَةِ الشَّجَرْ
وَضِحْكُهُمْ يَئِزُّ كَاللَّهِيبِ فِي الحَطَبْ
وَيَقْتُلُونَ ، يَسْرِقُونَ ، يَشْرَبُونَ ، يَجْشَأُونَ
لَكِنَّهُمْ بَشَر

إنّ الشاعر يريد أن يوضّح أنّ الفقر وسوء الأوضاع الاجتماعية هو الذي جعلهم يسرقون ويقتلون.وليس طبعهم ؛لأنّهم طيّبون بالفطرة.

يقول[1]:

وَطَيِّبُونَ حِينَ يَمْلِكُونَ قَبْضَتَيْ نُقُودْ
وَمُؤْمِنُونَ بِالقَدَرْ

فهم إذن: متحضّرون بطبيعتهم وانتمائهم، ولكن ويل للنفس البشريّة إذا عضّـــها الجوع والفقر [2].

لقد أصبح الشاعر يعاني من الاغتراب الفكري في مجتمعه ، حيث أنّه لم يعد قادرا على الانسجام الفكري مع الناس ، ولذلك عجز عن التبشير بما يؤمن به مـــن أفكـــار ورؤى ووجهات نظر، يقول[3]:

أَنَا شَاعِرٌ
وَلَكِنْ لِي بِظَهْرِ السُّوقِ أَصْحَابٌ أَخِلاَّءُ
وَأَسْمَرُ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ أَسْقِيهِمْ وَيَسْقُونِي
تَطُولُ بِنَا أَحَادِيثُ النَّدَامَى حِين يَلْقُونِي
عَلَى أَنِّي سَأَرْجِعُ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ حِينَ يُفَضُّ سَامِرُكُم
وَحِينَ يَغُورُ نَجْمُ الشَّرْقِ فِي بَيْتِ السّمَا الأَزْرَقْ

---

[1] الديوان ، ص : 29.

[2] يُنظر: مديحة عامر ،" قيم فنية وجمالية في شعر صلاح عبد الصبور" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القـــاهرة ، 1948 ، ص : 23.

[3] الديوان ، ص : 183-184.

إِلَى بَيْتِي لأَرْقُدَ فِي سَمَاوَاتِي
وَحِيداً...فِي سَمَاوَاتِي

إذن أصبح مصير الشاعر العزلة داخل أفكاره والتقوقع على ذاته ، فخلق لنفسه عالما خاصا ،يحمي فيه كينونته الشاعرة المتأملة التي تختلف عن طبيعتهم كليا.

ويصوّر صلاح عبد الصبور اغترابه السياسي في قصيدة "ذلك المساء" من ديوانه «تأملات في زمن جريح» زمن الهزيمة (هزيمة 1967 الّتي مُني بها العرب ، معبّرا عن غضبه وثورته وسخريته من السياسيين والحكام ؛الذين كانوا سببا في الهزيمة بظلمهم واستبدادهم وتواطئهم مع العدو و بعدم حرصهم على مصالح الوطن والشعب ، ولذلك هو حزين، يقول[1]:

فِي ذَلِكَ المَسَاءْ
كُنْتُ حَزِيناً مُرْهَقاً فِي ذَلْكَ المَسَاءْ
لَعَلَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الحُزْنَ يَا سَادَتِي الفُرْسَانْ
وَإِنْ عَرَفْتُمُوهُ ، فَهُوَ لَيْسَ حُزْنِي
حُزْنِي لاَ تُطْفِئُهُ الخَمْرُ وَلاَ المِيَاهْ
حُزْنِي لاَ تَطْرُدُهُ الصَّلاَة

وهو يقصد بالفرسان الحكام ويسخر منهم؛ لأنّهم باعوا الوطن وعاشوا يلهثون وراء لهوهم ، فكيف لهم أن يدركوا مقدار حزنه على فقدان الوطن؛ ولأنّه لم يكن كغيره من المنافقين الذين تذلّلوا لهؤلاء الحكام خوفا من الظلم؛ فسخّروا علمَهم وإبداعهم خدمة للسلطة ،وتمجيدا لها ؛ وبذلك انتهى به المطاف مَطرودا من بلاط القصر يقول[2]:

بَعْدَ قَلِيلٍ مِنْ زَمَانْ

---

[1] الديوان ، ص :287

[2] نفسه ، ص : 290

طُرِدْتُ مِنْ بِلاَطِ القَصْرِ يَا سَادَتِي الفُرْسَانْ
صِرْتُ ابْنَ سَبِيلٍ ، جَائِعاً مُهَانْ

وطرده من القصر كناية عن عدم رضا السلطة عنه،ويكشف في آخر المطاف عن أسباب الهزيمة وعن أثارها وعن سرّ حزنه ،قائلا [1]:

حَتَّى أَتَتْ خُيُولُ عُصْبَةِ الشَّيْطَانِ
إِذَا بِكُمْ تَمْضُونَ كَالنَّعَامَةِ
وَا أَسَفَاهُ قُلُوبُكُمْ مُسَافِحَة

لقد كان الحكام كالنعامة أمام العدو ، و استهتروا بحرّية الوطن وكرامة الشعب، فكانت الصدمة كبيرة والهزيمة مريرة بطعم العلقم.

وتستولي على الشاعر مخاوفه من الموت فيتعمق إحساسه العميق بالغربة والوحدة ويرتجف قلبه ويحسّ بدبيب خطوات الذبول فوق أشلائه ،ويزداد قلقه واضطرابه خشية الموت وحيدا غريبا لا يعرفه أحد ،ولا يحزن على موته وفراقه أحد، يقول[2]:

يُنْبِئُنِي شِتَاءُ هَذَا العَامِ أَنِّي أَمُوتُ وَحْدِي
ذَاتَ " شِتَاءٍ مِثْلَهُ ، ذَاتَ " شِتَاءْ
يُنْبِئُنِي هَذَا المَسَاءُ أَنَّنِي أَمُوتُ وَحْدِي
ذَاتَ مَسَاءٍ مِثْلَهُ ، ذَاتَ مَسَاءْ
وَأَنَّ أَعْوَامِي الَّتِي مَضَتْ كَانَتْ هَبَاءْ
وَأَنَّنِي أُقِيمُ فِي العَرَاءْ
وَأَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ فِي وَسَطِهَا مُغَامَرَة
وَقَدْ أَمُوتُ قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَ رِجْلٌ رِجْلاً
فِي زَحْمَةِ المَدِينَةِ المُنْهَمِرَةِ

---

[1] الديوان ، ص : 290

[2] نفسه ، ص : 193-194

أَمُوتُ لاَ يَعْرِفُنِي أَحَد
أَمُوتُ لاَ يَبْكِي عليَّ أَحَدْ

لقد عبر صلاح عبد الصبور عن اغترابه ، ومن خلال رحلة حزنه وضُحت لنا بواعث اغترابه الاجتماعية والذاتية ، فجعلنا نحسّ بألمه وضياعه ووحشته ورفضه للكون عامة ،بما في ذلك الحياة في مصر وما يكتنفها من شرور وقهر وجهل وظلم، وقد كان الشاعر دائم الحلم بالتغيير لأنه كان يحمل بين جوانح نفسه شهوة إصلاح العالم.كما يقول .

وممّا سبق نقول إن ظاهرة الاغتراب ازدادت حدّتها وكثُر التعبير عنها في القصائد الحديثة واتّخذ هذا التعبير وجوها مختلفة تحيل إلى عمق تأثر الشاعر واغترابه ، ويتضّح ذلك من خلال مشاعر الحزن ،والألم ،والتشاؤم ،واليأس، والرفض، واللّا انتماء.

وقد صرّح نُقّاد عديدون بأن تجربة الاغتراب عند الشاعر العربي ليست تجربة حقيقية مُعاشة ، فهي لا تعدو أن تكون تقليدا للشعراء الغربيين؛ حيث أنّ الشاعر العربي في العصر الحديث كان على صلة وثيقة بالشعر الأوروبي، وكان يحاول محاكاته شكلا ومضمونا، ولكن يجب علينا أن نضع في الحسبان أنّ « هذا العصر إنما هو العصر الحديث بكل ما أتى به من تجديد وابتكار في التكنولوجيا ، وفي علم النفس والاجتماع ، والاقتصاد، وهو بالنسبة للشعراء العرب يُعدّ عصر صراع سياسي ، وتغيّر في العادات والقيم والأيديولوجيات ، وقد أدى هذا كله مع ما أحرزه الشاعر العربي من ثقافة واسعة رحيبة الآفاق ، إلى أن أصبح أرهف إحساسا ، وأشدّ وعيا بالأحداث التي تدور من حوله ، وغدت رؤيته لمشكلات حياته المادية والروحية أكثر عمقا وحدة، فتراءى في شعوره قدر الإنسان في هذه الحياة ، كما تراءت نظرته للمجتمع والكون بعامة ، وصار شعره ذو بعد ورؤية إنسانية شاملة»[1] وعليه، فإننا لا نستطيع أن ننكر بأن الشاعر العربي في العصر الحديث وقع فريسة للاغتراب وفقد كان ما عكسه في قصائده تجربة

---

[1] س. مورية ، « الشعر العربي الحديث (1800 – 1970) » ، ترجمة شفيع السيد وسعد مصلوح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003 ، ص : 319.

صادقة وترجمانا حقيقيا لما يؤرقه من أحاسيس الغربة والتمزّق والضـــياع والإحســـاس بالوحدة والوحشة.

وبعد هذه الوقفة مع ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي القديم و الشعر العربي الحديث ؛ سنحاول في الفصل الثالث الكشف عن الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث ، والتعرّف على أنماطه .

الفصل الثالث: تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث: القضايا الموضوعية

سنحاول من خلال هذا الفصل الكشف عن أهم أنواع الاغتراب التي تضـــمّنتها القصائد الحديثة في مرحلتين: المرحلة الاستعمارية، ومرحلة الاستقلال.

أولا: الاغتراب السياسي:

لقد كان الشعر الجزائري الحديث مرآة صادقة تعكس مظاهر الحياة المضطربة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية؛ حيث انّه واكب جميع الأحـــداث، وعبّـــر الشـــاعر الجزائري في قصائده عن انفعالاته،ومكنونات نفسه القلقة والحزينة، متـــأثّرا بالأوضـــاع السيئة التي آلت إليها البلاد آنذاك، فجاء النص الشعري قاتما عاكسا ظاهرة الاغـــتراب عن الواقع السياسي، التي غدت من أكثر الأنواع انتشارا؛ إذ انّه نادرا ما نجـــد قصـــيدة بعيدة عن الغربة بهذا المعنى، وهو ما تجسّده مظاهر "البكاء والعويل، والشـــكوى مـــن ويلات الدهر، والضجر من غفلة الشعب، بل من غطيطه في سبات عميق، والنعي على الاستعمار الفرنسي الذي اضطهد الجزائريين، فلم يألُ جهدا في أن يمسخهم مسخا،"[1]، والشاعر الجزائري صاحب نفس مكبّلة بقيود واقع مظلم وثقيل، أطبق عليه الخناق، فلم يعد قادرا على الاحتمال، وثار ثورته الشخصية موظّفا سلاحه الوحيد: الكلمة. في وجه هذا المستعمر الذي جعل من الإنسان الجزائري غريبا في وطنه باقترافه لجرائم وتجاوزات خطيرة؛ إذ أذاقه صنوف العذاب والقهر والحرمان.

يقول الشاعر مبارك جلواح تعبيرا عن هذا المعنى[2]:

يا بِلادًا أعيشُ فيها غريبًـــا وأنا من بيْنِ أبنائِها الأمجَادِ

ويعيشُ الغريبُ فيها عزيزًا وهو يسْعى لِذلِّها في العبادِ

ويقول الشاعر بلقاسم خمّار[3]:

---

[01] عبد المالك مرتاض، "مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري"، مجلة دراسات جزائرية، العدد: 03، مارس، جامعة وهران، ص: 75، 76.

[02] عبد الله الركيبي، "الشاعر جلواح من التمرد الانتحار"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ،ص :462

[03] محمد بلقاسم خمار، "ضلال وأصداء"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1985، ص : 15.

بِلادِي لست أدْرِي من أُنادِي لِيَرْفع عنـــكِ أرْزَاء العَوادِي
فَهذِي الأرضُ جنَّاتٍ لقـــَومٍ وليسَ لنا سِوى شوكِ القَتادِ
تُشتِّتُنا الـــمصَائبُ والرَزايـــَا كَتشْتيتِ الزوابـــِع للرَّمـــَادِ

فمصيبة الاستعمار،جعلت الشاعر ضائعا لا يعرف طريقا للخلاص ، فقد حـــرم الاستعمار شعبه من حقّه الطبيعي، وجعل مقامه في البلاد كالقاعد على الشوك، في حين استغلّ هو خيراتها وعاش في النعيم.

ويقول عبد الله شريط واصفا مشاعر الغربة التي تنتابه وبلاده ترزح تحـــت نَيْـــر الاستعمار [1]:

غَريبٌ حَيثُمـــا أمْشي طَريدٌ وَفي عيْنَيَّ ذُلِّي وانتحَابـــِي
وكلٌّ بَنِيكِ مَنْبوذون مِثْلـــي وكلٌّ بَنِيكِ مِثْلِي فِي اغْتِرابِي

ويقول أيضا معبّرا عن المعنى نفسه [2]:

ظمِئْتُ إليكَ يا وَطنِي لأنِّـــي غَـــريبٌ في جِبالِكَ و الروابِي
غَريبُ في بِـــحَارِك والفَيافِي غَريبٌ في سُهُولِكَ والهِضَابِ
غَريبٌ فِي الـــمَقابِرِ والنَوادِي غَريبُ النُطْقِ في دُنيَا اضْطِرابِي

ومن مظاهر الاغتراب السياسي في هذه المرحلة كثرة الشكوى من الوحشية الفرنسية والاضطهاد المتعسّف للشعب الجزائري.

---

[01] عبد الله الشريط، "الرماد"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982 ، ص :53 و 54

[02] نفسه ص :53.

يقول الشاعر ابن رحمون شاكيا ذُلّ بلاده وهوانها، وقلّة حيلتها في مواجهة ظلم المستعمر[1]:

يا ويْحَ نَفسِي كمْ يُجرِّعُها الزَمَا نُ وَصُروفُه منْ عَلْقَمِ الأَرْزَاءِ

أبَــدًا أبِيتُ كَثاكِلٍ مُتفجــعٍ طُولَ اللَّيالِي فتٌّ في أعْضائِي

وَطنِي يُذَلــلُه العداةُ وضَاعَفَتْ خَطْبِي هُمُومُ أحْرَقَتْ أحُشائِي

لقد أثّر ظلم المستعمر للشعب على الشاعر ،وجعل حياته بطعم العلقم،فبات يُقاسي لهول ما يتعرّض له وطنه من ذلّ و تخريب ، وزاد من شعوره بالغربة عجزه عن تقـــديم المساعدة له.

ويصوّر محمد العيد آل خليفة في قصيدته ما يعانيه الشعب مـــن ظلـــم وقهـــر، وكيف، تنّكر العالم بأسره لحقوقه و لم يحفل بمطالبه ، فيقول[2]:

حنَتْ أعناقَنـــا الأغلالُ ظُلما وحزَّت في سواعِدنا القيُودُ

وأعْلَنَّا الــمَظالِــَم والشَّكَايا فأخْفَتْها الدَّسائِسُ والكُيودُ

وأَنْغِضَتِ الرُّؤُوسُ لنا هُزُوًاء وإنكارا وصُعُّرَت الخُدُودُ

لقد استطاع المستعمر الفرنسي بمكره أن يُظلّل العالم عن الحقيقة ،ويحْرِم الشـــعب الجزائري من تضامن الرأي العام العالمي معه ،فكـــانت النتيجـــة أن نُكِـــرت حقـــوق الشعب ،و لم يؤبه لتظلّماته.

---

01 ابن رحمون ،ديوانه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص :137.

02 محمد العيد أل خليفة ،ديوانه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 3، 1980، ص: 304.

وقصائد أبو القاسم سعد الله حافلة بالتعبير عن اغترابه السياسي، إذ نجده يصـــوّر مظاهر الاستبداد والظلم والقهر الذي كان المستعمر يسلّطه على رقاب الشعب ،جاعلا منه عبدا مُسخَّرا لخدمته، بقوله[1]:

والشَّعبُ يسْبحُ في الدُّمُوع.
والبُؤس يحْتَطِبُ الجُمُوع.
والسَّوطُ يَلتَهِبُ الجُسُوم.
شَوهَاءَ طَافِحَةَ الكُلُوم.

إنّ هذه الأبيات صورة ناطقة عن العذاب و الوحشية، اللذين سلّطهما المســـتعمر الغاشم على الشعب الجزائري.

وفي قصيدة "خطى السنين" ينقل لنا حقيقة المستعمر البشعة، فهو قاس لا يعرف الرحمة، فيقول[2]:

لَيالِي مُخَضَّبَةُ دَامِيَّة.
آكَامُ ذُلٍّ وقَيد.
تُحَطِّمُ أجسَامَنا.
مَعاولُها لا تُبالِي.
أصَخْرا تُصيبُ أم أضْلاَعَنا.
سَواءٌ لَدَيها صُخُورُ الجِبَال.
وحُرِّيةُ البَائِسِين.

وتزيد مأساة الشاعر عندما يُؤيّد العالم النظامَ الاستعماري الفرنسي، ويباركه ولا يكترثُ بما يقترفه من جرائم بحق شعب أعزل، يقول مصوّرا ذلك[3]:

يا وَطنا غَامِرا بالدِّمَاء.

---

01 أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص :123.

02 أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص :159.

03 نفسه، ص :132.

تُجَرِّعُه العَادِيَّاتُ الزُؤَام.
يَمُوتُ الشَّهِيدُ ويثْغُو الوَلِيد.
وكلٌّ يُبَارِك هذا النِظَام.

وكان لانقسام الأحزاب السياسية أثره السلبي على الشاعر؛بحيث تضاعفت غربته وكره هذا الواقع السياسي؛ وتحسّر عل ضياع وحدة الشعب ، الذي سار دون وعـــي منه خلف تلك الأحزاب؛ التي زادت الوضع سواء بدل أن تسير به إلى الأمام، فقد أثار المنتسبون إليها الفتن وزرعوا الفرقة في الوقت الذي كانت فيه البلاد بـــأمّس الحاجـــة للوحدة؛ وكان الاستعمار يستغلّ هذا الانقسام لتحقيق مصالحه.

يقول محمد العيد آل خليفة[1]:

أرى غِلْمَةً تُذْكِي من النار فِتْنَةً وتُسْدِي شِبَاكا للأَذَى ومَكَائِدا
وجوًّا من الغارات أغْبرَ عَاصِفا بكلِّ جَناح بَارقَ السُّحب رَاعِدا
وأفْجَرُ أعْدَاء البلادِ خُصُومـــةً أقارِبُ تَسْتَعدِي عليها الأَبَا عِدا

كما عدَّ محمد العيد هؤلاء الذين يزعمون بأنّهم يقودون الشعب نحو السيادة والاستقلال مجرّد مرضى جاهلين، فهم إما صبية عاجزون وإمّا شيوخ هرمين، يتنازعون حبّا في الفرقة والخصام، فاشتدّت حسرته على ضياع شعبه وسط دوّامة الأحزاب ، وضياع آماله في الحرّية،يقول واصفا قادة الأحزاب السياسية في الجزائر [2]:

يا ليلُ ما فيكَ نـــجمٌ جَـــلاَ الدُّجى وأَزاحَا
إلَّا كواكِبَ حَيْـــرَى لَم تَتِّضح لِي اتِّضَاحَا
بَطيئَـــة لسْت أَدرِي بِها وَنَى أم كُسَاحـــا
تَحْكِي أَدِلاَّءَ قَومِـــي مَرْضَى تَسُوسُ صِحَاحَا
من غِلْمَةٍ تَتَمَـــارَى وشِيخَـــةٍ تَتَلاَحَـــى

---

[1] محمد العيد أل خليفة ، ديوانه، ص :96.

[2] نفسه ، ص :47 .

وَدُّوا النِّزَاعَ فكانــوا مِثْلَ الكِبَاشِ نِطَاحَــا

لقد شبّه الشاعر الجزائريين بالكواكب التائهة في ليل حالــك السّــواد ،لأنّهــم يفتقدون لدليل يُنير لهم السّبيل ،فقادة الأحزاب منشغلين عن دورهم هذا بالتراعــات و الصراعات، بدل الالتفات لمصالح الشعب .

لقد أهلكت الأحزاب السياسية الشعب،وجعلت من الواقع السياســي مســرحا للخصومات والمناوشات ، وقد عبّر محمد العيد آل خليفة عن خشيته على مصير الجزائر بقوله[1]:

أخْشَى على الشَّعب هَلْكا يُبِيــدُه و اجْتِيَاحَــا
مِــن أَلْسُــنٍ قَاذِفَــاتٍ تَرْوى القبيحَ فصاحا
و أَنْــفُــسٍ خَــائِنَــاتٍ تَهوى الخَنَى والسِّفاحا
ومِــن شقَــاءٍ مُلِــحٍّ غَــدَا عَلَيــهِ وَرَاحَا

وفي إشارة إلى تطاحن الأحزاب وانشغالها بالصراعات وغفلتهــا عــن العــدو الحقيقي، يقول[2]:

خَصْمُهَا دَائِــبٌ فَوقَها دَائِسٌ
وبَــنُوهــا أَخٌ لأَخٍ بَاخِسٌ
و هَوَى مِنْهــم لِهَوى عَاكِسٌ

وكان الشاعر عبد الرحمن ابن العقّون الذي يرى في هذه الصراعات الحزبية غربة للشعب في بلاده ،يقول[3]:

---

01 محمد العيد أل خليفة ، ديوانه، ص :47.

02 نفسه ، ص :292.

03 عبد الرحمن ابن العقّون ،ديوانه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص:59 60

اسْمعُونِي ما أنَا إلاَّ صَـــدَىً رَدَّدْتُهُ مِـــن مَناياكُـــم عِبـــَر

هذِه الأمْراضُ في جَوهَرِها تُورِثُ الأُمَّـــةَ قِتـــَالَ الأَثَـــر

وتُرِينـــا الذُّلَ عِـــزًّا قَيِّمًا وتُذِيقَ الشَّعبَ مَوسُوعَ الضَّرَر

جَعَلَتْنَا فـــي حِمانا غُرباءَ وأرَتْنا كَيفَ تَنْهـــارُ الأُسَـــر

ويعيب محمد جريدي على الشعب تأييده للحزبية على الرغم من سلبياتها، فقـــد قادته إلى حافّة الهاوية ،وجعلت المستعمر يستفيد منها، يقول[1]:

فعُدْنا ومَا غَيرُ التَّحَزُّبِ رَمزُنا وضَلَّ بِنا حِزبٌ يُسِيءُ إلـــى حِزبِ

وأَودَى بِنَارِهِما الوِشايَةَ بَيْننـــا وسَارَ إلى البَلوى بِنَـــا خَـــائِنو الشَّعبِ

فَلَولاَ نُفُوسٌ صَابِراتٌ على الـــرَّدَى ولـــَـــولاَ إلـــَـــهٌ ليـــسَ يأْخُـــذُ بالذَّنُبِ

لصِرْنَا إلى مَا صَار عَادٌ ومَدْيَنَ إليه مِـــنَ الـــوَيْلاَتِ في سَـــالِفِ الـــحِقَبِ

وقد أسف الشاعر محمد العيد أل خليفة ، لضياع مجد الجـــزائر وغيـــاب القائد الحكيم والسياسي المحنَّك الذي يقودها نحو الحرية، وهو ما عبّر عنه بقوله[2]:

نُحْ علـــى أُمَّةٍ حَظُّها تَاعِسٌ

أُمَّـــةٌ مَجدُهـــا دَارِجٌ دَارِسٌ

---

[01] البصائر، السنة الثانية، العدد 142، **12فيفري 1951** ،ص : 05.

[02] محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص :291 .

أُمَّةٌ مَا لَـــهـــا قَائِدٌ سَائِسٌ

فكانت النتيجة أن الجزائر بقيت كالريشة في مهبّ الريح، يقول[1]:

في مهَبِّ الهَوى نَبْتُها مَائِـــسٌ
قَد نَبَا سَيْفُهـــا وكَبَا الفَارِسُ
كُلُّ رَأسٍ بِـــها مُطْرِقٌ نَاكِسٌ
كُلُّ قَلْبٍ بِـــها حائِرٌ يائِـــسٌ

وكان حمّود رمضان يُوافق محمد العيد آل خليفة في نظرته لحال الجزائر وحاجتها إلى قائد حكيم ورشيد، يقول: "الجزائر في حاجة إلى زعيم وطني، يدير مصـــالحها، وإلاّ فأعمالها ومصالحها ومساعيها ومطالبها لا تكون إلا ضـــربا مـــن العبـــث، وتضـــييعا للوقت"[2].

ومحمد العيد آل خليفة لا يرى حلّا لاغترابه عن الواقع السياسي إلاّ ببزوغ قـــائد لهذا الشعب يكون له خيرَ دليل، يقول[3]:

حُكمُنا اليَوم شَرُّ حُكْمٍ وجِيلُنا اليَوم شَرُّ جِيلِ
متَى نَرَى قَائدا حَكِيما يُبِينُ عَن رَأيه النَّبِيـــلِ
أَنَرْتَجِي لِلهُدى وُصُولاَ ونَحنُ رَكْبٌ بِلا دَلِيلِ

إذن متى ما وُجد هذا القائد المحنّك ، ستُصبِح البلاد بخير، ولكن بدونه ســـتظلّ سائرة بلا هدى.

وكان الزج بالشعراء في السجون من أبرز العوامل السياسية الـــتي ســـاهمت في اغتراب الشاعر الجزائري، فالعدوّ الفرنسي لم يدّخر جهدا في التنكيل به ومضايقته؛لأنّـــه صوت الأمة الحي ؛ الذي يفضح خططه ومشاريعه الهدّامة ،ونجد أنّ معظـــم الشـــعراء الجزائريين عرفوا غربة السجن أمثال: حمود رمضان، وإبراهيم أبي اليقظـــان، ومفـــدي

---

[1] نفسه ، ص : 291.

[2] صالح خرفي، "حمود رمضان"، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص :129 .

[3] محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص: 347 .

زكريا، ومحمد العيد آل خليفة، وعبد الكريم العقون، والربيع بوشامة، والأمين العمودي، والطيب العُبقي.

فكانت هذه التجربة قاسية زرعت الغربة في أنفسهم ،ولكنهم تحملوها فداء للوطن، وتمسّكا بمبادئهم الوطنية السامية.

ونجد في قصائد أحمد سحنون تعبيرا عن غربته وحنينه للوطن داخل السجن، فقد فَقَد حريته وبات القيد رفيقه.فالشاعر ابتلي بمحنتين معا: الغربة عن الوطن، والسجن، وقد وصف ما اعتراه هناك بقوله[1]:

يَا لها غُربَةٌ عنِ الأَوطانِ نَبَّهَت مَا غَفَا منَ الأَشْجَان
غُرْبَةٌ ضُوعفَتْ بنَفْيٍ وَسجْنٍ وتَناهَتْ بقَسْوَة السَّجَان.
شُلَّ فِيها فِكْرِي وأُجْدِبَ إلْهامِي وأَودَتْ بحِكْمَتِي وبَيانِي
وقَرِيضِي قَدْ عَقَّنِي بَيْن جُدْرَانِها صَدَى ألْحَانِي.

إذا، أصبحت الأحزان مُرافقةً للشاعر في السجن الذي تسبّب في تعطيل فكره وإلهامه، فلم يعد قادرا على العطاء وخانه البيان، وزاد الطين بلّة قسوة السجّان الذي كان يذيقه شتى صنوف العذاب، يقول[2]:

أيُّها المُبعَدُ ما أعظَمَ صَبْرَك أنتَ قَبْلَ المَوتِ قَد أُودِعْتَ قَبْرَك.
أيُّها المُبعَدُ في أَقصَى الحُدُود أَفَمَا تَسْأَمُ من هذا الجُمُود
أفتَرْضَى العَيْشَ في هَذي اللُّحُود أَ ما ثرْتَ على دُنْيا ا لقُيُود
أيُّها المُبعَدُ هلْ تَرْضَى مَكَانا لاَ تَرى في ظِلِّه إلاَّ هَوانا

لقد أضحى السجن قبرا؛ فأي حياة داخل جدران مغلقة ليس فيها إلا الجمود والهوان ، إنّها حياة لا تتوافق مع شاعر طموح ثار على دنيا القيود. بعد أن كان طليقا يملؤه النشاط ويحييه الفكر.

---

[01] أحمد سحنون ،ديوانه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص : 105.

[02] أحمد سحنون ،ديوانه، ص : 155-154.

ويعبّر الشاعر عن استبداد الحزن بنفسه وعن حسرته على حالته بقوله[3]:

أوطانُنا الجنّاتُ لكنَّنا نأوي لسِجْنٍ لم نُطِقْ جَوَّه

أيامُنَا الغرُ اسْتَحَالَت إلى صَحائفَ للحُزْنِ مَتْلوَّة

إنّ الجزائر جنّة كما يراها الشاعر ، لكنه غدا محروما من نعيمها، مقيّدا داخل سجن ، جعل أيامه كلّها أحزان .

وفي ظلّ حاضر كئيب مقيّد يحنّ الشاعر إلى أيامه التي كان فيها حـــراّ طليقـــا، كالطير، يقول[2]:

أيْنَ دُنْيَانا التي عِشْنَاها كَطَيرٍ الرَّوضِ حُبًّا و غِنَا

أيْن ما كان لَنَا من سُؤْدَدٍ عَزَّ فِيه كَلُّ مَظْلُومٍ بِنـــا

أيُن ذَاكَ العَهْدُ أيَّان اخْتَفَى أيْن غَابَت كُلُّها تِلْكَ الدُّنَا

لم يعد في وسع الشاعر إلاّ أن يعود بمخيّلته إلى أيّامه الخوالي ،التي كان يحيا فيهـــا كريما عزيز النفس ،ويتحسّر عليها .

وكان عبد الرحمن ابن العقّون أحد الشعراء الذين عرفوا غربة الســـجن؛ حيـــث "أُلقِي عليه القبض في الثاني من تموز عام 1955 وحَاكَمتْه السلطات الفرنسية في محكمة صورية لِتَدَعه بعد ذلك يجرّب ألوانا من العذاب بين جدران الســـجن"[3]، وهنـــاك بين جدرانه الموحشة يشتدّ حنينه لقريته وأهله ، فيقول[4]:

ألاَ هلْ من الوَادِي الحَزِينِ لَنَا قُرْبُ وهلْ في دَيَاجِي البَيْنِ عن قَرْيتِي قُرْبُ

مَرابِعُ لَهْوي في صِبَاي عَشِقْتُها و ديَّـــارُ أَحْبَابٍ فُؤادِي بِـــهم صَبُّ

ففي جَنَبَاتِ الحَيِّ مَهْدُ أحِبَّـــةٍ تَمَلَّـــتْ بِهم عَيْنِي فَضَمَّتْهُم الشُّهُـــب

---

[3] نفسه ، ص : 149.

[2] نفسه ، ص : 158.

[3] عمر بوقرورة، "الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)"، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1997،ص :110.

[4] عبد الرحمن ابن العقّون ، الديوان، ص :75.

إنّ العودة بالذاكرة إلى الزمن الماضي ،زمن الحرية ، والشـــوق إلى الأهـــل و الخلاّن تكاد تكون سمة مشتركة بين الشعراء الذين عرفوا تجربة السجن

وقد وصف الشاعر بصدق غربته داخل سجن (بربروس)، وعبّر عن شوقه لأهله وديارهِ، كما عبّر عن ذلك في سجن (الكُدية) قائلا[1]:

فَتَراتٌ مِن حَياةٍ بَيْن عُبَّاد الدُّمَى
تَمْلأُ الرَّأسَ مَشيْبًا وتَهشّ الأَعْظُما
سِيَّمَا أنِّي سَجِين
رُبَّ سِرْبٍ من ذُبَابٍ ظَلَّ لِي نِعْمَ الأَنِيس

و زاد من غربته داخل السجن حساسيات حزبيّة وشخصية بين المساجين،جعلت الشاعر يتجنّبهم ويأنس بغيرهم

وكانت هذه السجون مُوحشة مُقفرة تبعث الرعب و الرهبة في نفوس من ارتاداها من الشعراء سيّما وأنّ فرنسا تتفنّن في طرق التنكيل بالسجناء،وفي قصيدة "بربروس" يصوّر أبو القاسم سعد الله قسوة المستعمر الذي لا يكترث لأمر الشعب، ولا تأخذه به الشفقة بل تزداد قسوته وتوحشّه، يقول[2]:

أَجِبْ بَرْبَرُوس
أَشَعْبًا تُعَذِّبُه أَم ذِئَاب
أَقَلْبًا تُحَطِّمُهُ أَم حَجَر
ومَاذا، أَأَنْتَ الجَحِيمُ الذي لا يُطَاق
أ(باستيل) أنتَ مَليئًا جُثَث
أعَادَتْكَ أيْدِي الطُّغَاة
لتَخْنِقَ أنْفَاسَ شَعْبٍ يُرِيُد الحَياة

---

[01] نفسه، ص :65.

[02] أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر" ، ص: 223 .

ومن صور الاغتراب السياسي: تصوير مظاهر الخراب والدمار الذي تسبّب فيها المستعمر الفرنسي، فهذا صالح خرفي يصف أحَد الحرائق التي أتت على مدينـــة تبســـة وتسبّبت في تشريد أهاليها وتحويليهم إلى لاجئين بقوله[1]:

رَفَعُوكِ فـــي لَيلِ الكِفاحِ مَنـــارا إذ غَادَرُوكِ أيا (تبسة) نَارا

في كُلِّ قَلْبٍ نَابِضٍ قَد أضْرَمُـــوا ها يسْتَفزُّ أوراها الأحْـــرَارا

أنَّاتُ طِفـــلٍ مِـــن بَنِيكِ مُيَتَّـــمٍ لا أُمَّ تَمْسَحُ دَمْعَهُ الـــمِدْرَارا

عَبَرَاتُ شَيْخٍ تَأكُل النِّيرَان أمْـــوا لاً قَضَى في جَمْعِها أَعْمـــارا

صَرَخَاتُ بِنْت من بَنَاتك كالخَريـــ دَة هَتَكَ البَاغِي لَها أسْتـــارا

زَفَرَاتُ قَومٍ أُبْعِدُوا عن أَرْضِهِـــم ظُلْمًا فَهَامُوا في القِفَارِ حَيَارَي

ويقول أبو القاسم سعد الله[2]:

قَرْيَتِي قَدْ حَرَقُوكِ
حَرَقُوكِ ... خَرّبُوكِ
مَا الذي أَلْفَوه فِيكِ
غَيْرَ رَبَّات الحِجَالِ
وَصِغَارٍ في المُهُودِ

ويُواصل الشاعر وصف الخراب الذي تعرّضت له قريته إلى أن يقول[3]:

يَشْنُقُونَ الأبْرِيَاء

---

01 صالح خرفي ، "ديوان أطلس المعجزات"، الشركة و.ن.ت، الجزائر، ط 2، 1982، ص :19-20.

02 أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر "، ص :219.

03 نفسه ، ص :220.

ويَصُبُّون الخَرَاب

كالجَرَاد – كالتَّتَار الزَّاحِفين

فمن خلال هذه الأبيات ،نستشّف أثر هذه الأعمال الإجرامية ونتائجها المدمرة على نفسية الشاعر،ممّا جعله يصفها بكلّ تفاصيلها .

ويقول عبد الرحمن العقّون واصفا مجزرةَ "بني يلمان" (ملوزة) التي وقعت عام 1957[1]:

واذكُروا الأكْداسَ أكداسَ الأُلُوف في سكيكدةَ وابنَ غانِمَ والمَزيد

إن تَعُدُّوا لا يَفِي العَدّ بِما قدَ أبَدْتُم مِن طَرِيف وتَلِيد

والقصيدة طويلة صوّر فيها الشاعر "بشاعة الاستعمار واصفا الأحداث الدامية لتلك الواقعة، متطرّقا إلى كل المناطق التي وقعت فيها المجازر، فتكلّم عن كثير من المدن والقرى الجزائرية"[2]. التي طالتها يد الخراب والدمار ، فالمستعمر الغاشم لا يغادر قرية ولا مدينة إلاّ بعد أن يقضي على كلّ مظاهر الحياة فيها لعلّ ذلك يرضي وحشيّته.

وكان لأحداث الثامن من ماي سنة 1945 أكبر الأثر في اغتراب الشاعر السياسي، لهَول ما خلّفته من كوارث مادّية وبشرية؛ إذ راح ضحيّة بشاعة إرهاب المستعمر ما يقارب خمسة وأربعين ألف شهيد، فبعد أن اكتشف الشعب زيف فرنسا ووعودها الكاذبة خرج مطالبا بحريته واستقلاله ؛ ليُواجِه بطشها وطغيانها الذي لا يرحم.

يقول محمد العيد آل خليفة[3]:

---

[1] عبد الرحمن ابن العقّون، الديوان، ص : 93.

[2] زينب الأعوج، "السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر"، دار الحداثة، بيروت، ط 1، 1985 ، ص :09.

[3] محمد العيد أل خليفة، ديوانه ، ص :326

فَظَائِعُ (ماي) كذَّبَت كُلَّ مَزْعَم لَهم رَمَت مَا رَوَّجُوه بِـإفْلاَسِ
دِيَّارٌ، من السُّكَان تُخْلى نِكَايَـةً وعَسْفًا وأَحْيَاءُ تُسَاقُ لأَرْمَاسِ
وشِيبٌ وشُبَّانٌ يُسَامُـون ذِلَّـةً بأنْوَاعِ مَكْرٍ لاَ تُحَدُّ بِـمِقْياسِ
وأَحْبَاسُ شَرٍّ أَجْمَعَت سَبطاؤها ومُعْتَقَلُوها أنّها شَرُّ أَحْبَـاسِ
ومُعْتَقَلاتٌ فـي العَـراءِ مُبِيدَةٌ عَليها لُصُوص في مَلابِس حُرَّاسِ

لقد فضحت هذه الأحداث وعود فرنسا و أكاذيبها التي غرّرت بهـا الشـعب الجزائري

ويقول ابن رحمون واصفا مجزرة الثامن من ماي[1]:

في مَشْهَدٍ فيه الرَّصَاصُ مَع الدِّما كُـلٌّ يَسِحُّ بِوابِلٍ هَتَّـان
فلَـرُبَّ أَرْملَـةٍ ورُبَّ يَتِيمَـةٍ تَهمي جُفُونـها بِدَمعٍ قَـان
فهُنَا دَمٌ مِلْئ السُّهولِ وهَهُنـا دَمْعٌ يَسِيلُ عَليه كالعقيَانِ
وهنا سَعِيـرٌ للسِّلاح وهَهنـا سَقَرُ الأسَى وجَهَنَّمُ الأحزَانِ

ويحكي عبد الحميد بن هدوقة في قصيدته "حامل الأزهار" قصّة جندي جزائري شارك في الحرب العالمية الثانية، وعندما رجع إلى الوطن وجد في انتظاره فاجعة الثـامن من ماي ،يقول[2]:

---

[1] ابن رحمون ، الديوان ، ص :144.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، "الأرواح الشاغرة"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 3، 1981، ص: 120-121.

هاهو راجعٌ إلى كوخِ أظْلَمَ من اليأس!
وسُكون أصَم أبْكَمَ كالرَّمس
لا زَوْجَة ... ولا أبْنَاء ...
سوى بَقَايا مَزق مُخَضَّبَة ...
بالدِّمَاء
يا لَها من فَاجِعة ...
دَهْمَاء

* * *

فتَح النافذَة وجَلَس،
في اللَّيلِ مع الذِّكْريات
..... وصَاحَ
"يا لَهم من ذئَاب لُؤماء"

ويصف ما خلّفته هذه المجزرة بقوله[1]:

هُجُوم .... نَار .... خَراب .... دَمار ..."
" أيتَامٌ صِغار ... عَبيدٌ وأَحْرَار ..."
"مُشَرَّدُون من الانتصَار !!"
"أوسِمَة على قُبُور ... أعْلام على مُدُنٍ خَرِبَة ..."

وكان الحديث عن الفقر والحرمان والعوز الذي طال الشعب الجزائري وجها آخر من أوجه غربة الشاعر عن الواقع السياسي، ففي حين كان الفرنسي يعيش في رفاهية وسعة حال، كان الجزائري يذوق ويلات الجوع والتشرد؛ فالاستعمار كان السبب الرئيس في تدهور الأوضاع الاقتصادية في الجزائر، وحرمان الشعب الجزائري من حقّه في العيش الكريم، في حين أباح هو لنفسه استغلال خيرات البلاد.

---

[01] نفسه ، ص :122.

يقول محمد الأخضر السائحي[1]:

وتِلْكَ الجِرَاح
بماذا تَسيل؟
بِمَاذا تَفُوح؟
بماءِ الصَّديد صَدا أَلَم الجَائعين
ودَمْع حَبيس عَلى عَرَق الكَادحين.
وكانت تَفُوح، العُفُونَة دَومًا تَفُوح.
علَى الأرضِ في الكُوخ.

و أبو القاسم سعد الله يصف حالة الإنسان الجزائري الـــذي يســـحقه الإملاق بقوله[2]:

حتّى مَ أفْترِشُ الحَصير
وأُسَاكِنُ الكُوخَ الحَقير
وأُسَاهِر الحِرمَانَ والألَمَ المَرِير
وتَلُوكُ جَنبي الخُشُوَنة
ويُحيطُني قَبوُ العُفُونَة
في ظُلْمةٍ عَمْياءَ تَطْفَح بالخشَاشِ

يتساءل الشاعر إلى متى سيظلّ الشعب على هذه الحال ، يعاني العوز و الحرمان و خيرات بلاده يستغلّها من ليس له فيها حقّا مشروعا .

إنّ هذا الإنسان يكابد الشقاء و ينهكه التعب من أجل بضعة دراهم يحصل عليها في آخر النهار، [3]:

وأظَلُّ مُلْتَصِقَ اليَدّين

---

01 محمد الأخضر السائحي ، "الكهوف المضيئة"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص : 53 .

02 أبو القاسم سعد الله "الزمن الأخضر"، ص : 145.

03 أبو القاسم سعد الله "الزمن الأخضر"، نفسه، ص : 145

بالتُربَة المِنْتَاج والشَّجَر الوَرِيق
أَجْنِي وأَقْطِفُ جاهِدا
ثَمَنَ النشَاط الدَّائِب
فإذا تَكَوَّمَ مَحْصَدِي
ومَسَحْتُ جَبْهَتِي الكَئِيبَة وتَنفَّسَتْ رِئَتَيَّ الهَواء
لم أجْنِ غَيْرَ دَراهِم
حِينا وأَحيَانا شَتَائِم.

في قصيدته" إلى أين" يصوّر الشاعر طفلا بائسا أرهقه الجـــوع والـــبرد، طفلا يُساءل أخته إلى أين يمضيان بعد أن فقدا والديهما والمأوى الذي يأويهما، يقول[1]:

إلى أيْنَ نَسْير؟
والبَرْدُ يَلْفَحُنَا
إنَّ الجَوّ أحْمَق
والسَّما، غاضِبَة
لقد بَعُدْنا عن الكوخ
كُوخُنا المِسْكِين
الذي جَرَفَه السَّيل
ونحن نأْكُل ...
فُتَاتَ الخُبْزِ المُجَفَّف الذي ابْتاعَه أبي.
إنّ المَشْي يُرهِقُني
وقَدَمَاي حَافِيَتان
وهذه الخِرَق البَالِية
ماذا عَسَاها تَدْفَع عَنِّي

[01] نفسه ، ص : 112.

فمن خلال هذه الأبيات الشعرية ومن خلال المفردات التي وظّفها الشاعر (البرد ، الكوخ، المسكين، الخبز المجفّف)، نستشّف الأوضاع المزرية التي يعيش فيها الإنسان الجزائري ، وقد جعله ذلك غريبا داخل وطنه .

و محمد العيد آل خليفة وصف "حياة الشعب البائسة من جرّاء الفقر والبطالة والأمراض والتشرد، ليُقدّمها صورة ناطقة إلى الذين يزعمون أن الشعب الجزائري يعيش في رغد منذ فتح عينيه على المدنية الاستعمارية الحديثة"[1]، و الواقع أنّه كان ضحيّة للاستعمار وجرائمه. يقول[2]:

كَم ضَارِبٍ منهم في الأرْضِ مُنْتَشِرٍ مَا حَاوَلَ الرِّزْقَ إلاَّ اعْتَاصَ وامْتَنَعا

وعَاطِلِ صُنْعِ الكَّفَينِ مُقْتَدِرٍ مهْما أَتَى مَعْمَلا عن بابِه دُفِعَا

ومُسْتَغِيثٍ وجُلُّ الناسِ في شُغْلٍ عنه، وطاوٍ وجُلُّ الناسِ قد شَبِعا

و ثاكِلٍ واصَلَتْ نَدْبَ البَنِينَ فَمَا قَلْبٌ لَها حَنَّ أو طَرْفٌ لها دَمَعا

وأيِّمٍ و يَتامَى حَولَها اصْطَرَخُوا في اللَّيلِ واصْطَرَخَت من بَينِهم هَلَعا.

إذا لم يعد الناس يكترثون لحال الفقير ،فالكلّ في شغل عنه وهذا الأمر أرّق الشاعر وزاد من حسرته ، فصوّر ذلك في قصيدة أخرى إذ نجده يتألم لحال الفقراء الذين يطوفون بالمزابل و بالبيوت و يستغيثون بأهلها لكن دون جدوى ، يقول[3]:

فيا ويْحَ الفَقِيرِ يَمُوتُ جُوعًا وليسَ لهُ منَ الأقْوامِ حَامِي

يَطُوفُ على المَزَابِل حيْثُ يَرجُو فُتَات الخُبزِ أو قِطَعَ العِظَامِ

---

01 أبو القاسم سعد الله، "محمد العيد آل خليفة"، دار المعارف ، مصر، القاهرة، ط 2، ص :141.

02 محمد العيد أل خليفة، الديوان ، ص :256

03 محمد العيد أل خليفة، الديوان ، ص : 154.

ولولا الجُوعُ لَـــم يَنبُشْ قُمَامَا ولم يَشْتَق إلى مَا في القُمامِ
وقَد يَطوِي الأزِقَّةَ مُستَميحًـــا فَيَحْرِمَهُ الحُطَامَ ذَوُو الحُطَامِ
وقد يَأْتِي البُيُوتَ بِها فَتَخْشَـــى ذَرارِيها و تَـــجْفُلُ كالنَّعَامِ

ويصوّر الشاعر ابن رحمون حالة مسكين أعياه البؤس وأضناه الفقر، قائلا[1]:

لاَ تَعْذِلُـــوه فإنّ الفَقْر أَضْـــواهُ والحَظُّ عَاكَسَهُ، و الدَّهْرُ عَاداهُ
لا تَنْهَروه إنْ اسْتَجْدَى أكُفَّكُم فالجُوع آلَمَه، والصَّبْرُ أَعْيَـــاهُ
ما كان يَبْسُطُ للتِّسْآلِ راحَتَـــه إلاَّ و وِجْدَانُه عن ذاكَ يَنْهـــاهُ
تأمّلُوا إنْ أرَدْتُـــم ما يُكَابِـــدُه تَدُلُّكُم عن أليمِ الـــوَخْزِ عَيْنَـــاهُ

إلى أن يقول[2]:

عَقَارِبُ الجُوعِ دَبَّت في جَوانحه وجَذْوةُ الـــهَمِّ شَبَّتْ في حَنَاياهُ
فـــي قَلْبه غَادَةُ الآمَالِ عابِسَةٌ تَئِنُّ شاكِيَّةً مـــن لَذْعِ شَكْواهُ
أمَّا الـــمَنَامُ فَطَيفٌ لاَ يُساوِرُهُ حتَّى يَضِجَّ مـــن الإعْيَاءِ جَنْبَاهُ
وكَيْفَ يَأْلَفُ طَيْفَ النَّومُ مُقْلَتُهُ وفي الحَشَا ألَـــمٌ يَشْوي سُوَيْدَاهُ

فهذه الأبيات صورة صادقة عن حالة هذا المسكين وغيره من ألاف الجزائريين اللـــــذين حرمهم المستعمر من حياة كريمة في بلادهم

---

01 ابن رحمون ، الديوان ، ص :105

02 نفسه ، ص:106- 107

لقد كان لما ذكرناه من أوضاع سياسية متردّية أثرا كبيرا في بروز غربة نفسية عميقة لدى الشاعر الجزائري، عبّر عنها من خلال تصوير انفعالات نفسه الضائعة وسط هذه الأوضاع .

يقول أبو القاسم سعد الله[1]:

أثارَت الرِّياحُ مُنْذُ عَام.
عَواصِفَ حَمْقَاء
في بَلَدِي المَليء بالسَّلام
والإخَاء
في بَلَدي حَيْثُ الضَّيَاعُ والعَرَق
وأعْيُنٌ مَدْهُوشَةُ الرَّمَق.
مَشْدُودَةٌ إلى رَغِيفٍ أو مَزَق.
وأنْفُسٌ من العَذابِ تَحْتَرِق.
من الحِرْمَان والقَلَق.

وتطغى مشاعر الحزن والشجون في قصائد حمّود رمضان ،تعبيرا عن غربته النفسية والسياسية،و تأثره لحال شعبه وبلاده، يقول[2]:

بَكَيْتُ ومِثْلِي لا يَحِقُّ لَه البُكَا عَلى أُمَّةٍ مَخْلُوقَةٍ للنَّوازِلِ
بَكَيتُ علَيها رَحْمَةً وصَبَابَةً وإنِّي على ذَاك البُكَا غَير نَادِمِ
ذَرَفْتُ عَلَيها أَدْمُعًا مِن نَواظِر تُسَاهِر طُولَ اللّيْلِ ضَوءَ الكَوَاكِبِ

---

01 أبو القاسم سعد الله، "الزمن الأخضر"، ص : 253.

02 صالح خرفي، "رمضان حمّود" ، 1985، ص: 53-54.

وبعد فترة استعمارية طويلة كابد الشعب فيها الويلات، بزغت شمس الاستقلال، لكنّ الاغتراب عن الواقع السياسي بقي سمة بارزة حتى في هذه المرحلة، والمتأمل للقصائد الحديثة المكتوبة في أواخر الستينيات والسبعينيات إلى غاية سنوات الثمانينيات يلاحظ كثرة الانتقاد الأوضاع السائدة بصورة مبطّنة، فقد وجد الشاعر الحديث نفسه مُحاصرا بدوّامة من المتناقضات كان أهمّها إحساس الشاعر باللاّجدوى، والقيود المفروضة على حرية الرأي والتعبير عنه.

نجد سعد الله مثلا في إحدى قصائده يقول[1]:

خَدَعْتني
وَعَدْتَني حُرِّيتي
فلَم أَجِد سِوى قَفَص

ظنّ الشاعر أن حُرّيّة التعبير والرأي مكفولة له في عهد الاستقلال، لكنّه وجد نفسه مخدوعا، حيث إنّ تلك الوعود بالحرية كانت مجرد أكاذيب، وأصبح المثقّف محاصرا بخطوط حمراء عليه ألاّ يتجاوزها ،يقول[2]:

نَكْتُبُ بالإبَر
سيُوفُنَا مَغْلُولة وخَيْلُنَا عِجَاف
نُرْجَم بالسِّياط والحَجَر

* * *

نَكْتُبُ بالإبَر
أقْلامُنا سَجِينَةُ الأغْمَادِ
لا حِبْرَ، لا وَرَق
لا مُلْتَقَى قِتَال

---

[1] أبو القاسم سعد الله، " الزمن الأخضر"، ص : 369.

[2] نفسه ، ص :373

فالشاعر يشير بغياب الحبر والورق إلى تعسّف السلطة وقهرها لحرية الفكر والتعبير الصريح عن الرأي .

ويقول أيضا[1]:

نكْتُبُ بالإبَر
على جُلُودِ عُصْبَةِ طُغَاة
لتَرْتَوِي بالحِبْرِ والمَطَر
أقْلاَمنا، وتُخَضِّبَ الفِكْر

ويعبّر الشاعر أحمد أحمدي عن قلقه على مصيره المجهول في عصر الموت كما أسماه، فيقول[2]:

أذْكُرُ قائمَةَ المَغضُوبِ عَلَيهم
أتَحَسَّسُ رَأسِي!
أذكُرُ قائمةَ المَحْظُورَات
في عَصرِ المَوت
الحُبّ... الميلاد ... الكُتُب
الأرضُ ... الشعْر ... الثَّورة

فالشعر والكتابة وسيلتان أساسيتان للتعبير عن الرأي، ومَنعهما دليل قويّ على غياب الديمقراطية ، وحرّية الرأي، ويعيب الشاعر الجزائري هذا الزمان المتعفّن؛ فهو زمن خان الشهيد، و لم تتحقق فيه الأحلام التي ناضل من أجلها، والتي تمثّل في الوقت ذاته أحلام الشعب،يقول[3]:

مازلت أجوب الشارع
(ضيق شارع الاستقلال
فسيحة ساحة الشهداء)

---

01 أبو القاسم سعد الله، " الزمن الأخضر"، ص :373.

02 أحمد حمدي ، "قائمة المغضوب عليهم"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص : 58.

03 نفسه ، ص: 63.

فقد استعمل الشاعر عبارة "شارع الاستقلال" كرمز لهذه المرحلة التي ضـــاعت فيها أحلام الشعب و عبارة "فسيحة ساحة الشهداء" ليرمز بها إلى كثرة الشهداء الذين سقطوا لتحيا الجزائر حرّة، وتّطبق فيهلا المبادئ التي قامت من أجلهـــا الثـــورة، لكـــنّ مجموعة من الخونة استغلّوا القضية واستفادوا من الشعارات، جاعلين من الشهيد ورقـــة يتاجرون بها، يقول عبد العالي رزاقي وهو ناقم على هؤلاء[1]:

أنا أعرفهم

أوراقهم مكشوفة

دخلوا أيامنا واغتصبوا أحلامنا

وانتحلوا قمصان عثمان

تخلى الله عنهم

وأحلام مستغانمي تدعو إلى إبعاد هؤلاء الخونة لأنّهم أقزام أمام عظمـــة الثّـــوار، فتقول[2]:

أبعدي العملاء عن مسيرة المتمردين

فأقدام الأقزام لم تخلق لتواكب الثورة.

وأصبحت ظاهرة الحديث عن الشهيد في الشعر في مرحلة الاســـتقلال وســـيلة يعتمدها الشاعر لانتقاد الواقع المتردّي، فهاهي ربيعة جلطي ترى أنّ تضحيات الشـــهيد (عيسات إيدير) ذهبت هباء ؛لأنّ الورثة خَانوا وصيّته وتخلّوا عـــن أهـــداف الثـــورة ،فتقول[3]:

من خصب القائمة ينهض "عيسات".

متكئا على دمه.

---

01 عبد العالي رزّاقي، "أطفال بور سعيد يهاجرون إلى أول ماي"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 ، 1983 ص : 16-17.

02 أحلام مستغانمي ،" الكتابة في لحظة عري"، دار الآداب ، بيروت ، ط 1، 1976، ص :21.

03 ربيعة جلطي ، " تضاريس توجه غير باريسي"، دار الكامل، دمشق ،1981، ص :71.

يمزق مد طوابير العاطلين، والمواسم المغلقة.

خبرا: لعمال "الحجار" والمبللين برائحة.

النفط وملح البحر في "أرزيو".

مشهدا من رؤيا متسكع بـــ "ساحة

بور سعيد" أو "الشهداء".

و في قصيدة أخرى تتمثّل الشاعرة الشهيد يتساءل عن المسؤول عن الأوضـــــاع المتدهورة في الجزائر، فتقول[1]:

"عبان" يشهر في وجه الريح قلبه.

يشم على عنق التاريخ حقيقة رهيبة.

يجلس محاذيا لجدار منطفئ،

من يحاكم؟

و .... "عبان" صار شارعا يصعد إلى الأسفل.

في العاصمة.

إن كل ما ناله الشهيد هو وضع اسمه على لافتات الشوارع ،بحيث غدا شـــــعارا يتغنّى به الناس ،في الوقت الذي أهمل فيه المسؤولون مواصلة المسيرة وتحقيق مـــا كـــان يصبو إليه الشهداء بعد الاستقلال.هذه الوضعية جعلت الشعراء أسرى للسلبية و اليأس.

يقول عبد العالي رزاقي[2]:

يا أيها الشهداء.

قوموا فالمقابر قد تباع لغيركم.

"ديدوش" لم يحلم بغير لقائكم.

واليوم يوضع في المزاد البربري.

---

[01] ربيعة جلطي ، " تضاريس توجه غير باريسي"، ص : 74.

[02] عبد العالي رزاقي، " أطفال بور سعيد يهاجرون إلى أول ماي"، ص : 62.

وهي إشارة للتفريط في الأرض و الوطن الذي راح ضحيّته هؤلاء العظمـــــاء، و يذكّر الشاعر هؤلاء السماسرة بأن الشعب مازال متمسّكا بمبادئ الثوري، يقول[1]:

يا سادة الوطن المقدم للبنوك هدية.

مليون يسري في دم الفقراء.

مازال دمنا نداء الثورة الأولى.

ومازلنا نمارس حبنا العربي.

ويواجهنا عمر أزراج بصورة الحاكم الذي يستغلّ منصبه لخدمة مصـــــالحه دون اكتراث لما يدور حوله، فيقول[2]:

أرى وطنا يرتديه الخليفة.

حذاء يلمعه في احتفال شراء السبايا.

ويقذفه، بعد، في سلة المهملات.

ويصوّر حالة الإنسان الذي يتعرض لقهر السلطة السياسية ،بقوله[3]:

وحين خرجت إلى الأرض.

صادرني القيد والجوع.

والدركي.

فالشاعر مغترب يرفض هذا الواقع وسلبيات الوضع الراهن في وطنه،و ومن خلال قصيدة عبد الحميد شكيل "من أقوال غيلان الدمشقي"، يحاول الشاعر نقل صورة عـــن اضطهاد رجال السياسة لكل من يحلمون بالإصلاح والتغيير، يقول[4]:

مضينا أسرعنا في المسير.

لعلنا ندرك قوافل الرحيل.

---

01 عبد العالي رزاقي، " أطفال بور سعيد يهاجرون إلى أول ماي"، ص: 62.

02 عمر أزراج ،"وحرسني الظل"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976، ص: 74

03 نفسه ، ص: 75.

04 مجلة آمال، "شعر ما بعد الاستقلال"،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص : 204.

لكنما: محاكم التفتيش والعذاب.

والشرطة ومزورا الصكوك.

أصدروا تعليمة تقول

بالحرف الواحد تقول:

أن لا خروج للذين يحلمون

بعودة الطيور والربيع

و الشاعر نوار بوحلاسة يتحدّى السلطة ويعلن بأنه لن يخاف هـــذه المـــرة، لأنّ الصمت جبن، آملا في تغيير هذه العلاقات المتردّية والقوانين المتحكّمـــة في الأوضـــاع الراهنة، يقول[1]:

سأقص كل ما رأيت

وأقول أشياء كثيرة

وهذه المرة لن أخاف من شمس الظهيرة

حتى لو أبعدوني عن مسكني

وأهلي ... والجيران ... والحبيبة

سأقول أشياء كثيرة

حتى لو مزقوني إربا إربا

حتى ولو أحرقوا القصيدة

لأني عشت أيامي في صمتي

والصمت جبن

والملاحظ في هذه الفترة أن الشاعر تخطّى حدود الوطن فشارك المـــواطن العربي مآسيه وما يلاقيه من اضطهاد واستبداد الحكام، فكان يتألم لأحواله، ويشعر بما يشعر به من غربة في ظلّ تلك الأوضاع السياسية؛ ففي قصيدة "القمر" نجـــد الشـــاعر أحمـــد

---

[1] مجلة آمال، "شعر ما بعد الاستقلال"، ص :207-108

عاشوري يساند أخاه المغربي في مطالبته بالحرية للسجناء الذين يعـــانون مـــن بطـــش الحكام ،يقول [1]:

أنتم سكارى شرفة القصر الكبير

الجالسون في الأرائك الوثيرة

الغارقون في السعادة الكبيرة

بين القيان والحسان

في عالم كأنه جنان

هلا سألتم القمر؟

عن تلك الغمامة الحمراء

تسجنه

تجعله

حمامة قتيلة

في بركة من الدماء

فالقمر هو رمز السجناء الذين يطالبون بحريتهم وبحقوق شعبهم الـــتي هضـــمها المتربّعون على عرش السلطة و الذين يعيشون في النعيم، يقول[2]:

إن القمر

بجفنه المحمر

دموعنا دماؤنا

نحن المعذبون في مهامة

السنين

من نغمة الناي الحزين

---

01 مجلة أمال،" شعر مابعد الاستقلال" ،ص:233

02 نفسه ، ص: 235

من ألم القلب السجين

صرخة الشعر القتيل

وقد أُصيب الشاعر باليأس بسبب الحالة التي وصل إليها الوطن العربي، ولما يتعرّض له المواطنون من إرهاب وغدر وأطماع، في حين يبقون مستسلمين لا يحرّكون ساكنا، يقول[1]:

فكيف أغني

ونحن العرب

نعانق في الشرق أتربة وجراح

ونحيا على طلقات البنادق

وتكوى مآدننا باللهب

ونرضى المجازر ... ونرضى المشانق

ونخشى الرياح

ونمزج ألحانا بالنواح

فلسنا براكين نار

ولسنا إنفجار

والسبب في كل ما لحق بالعرب يجمع عليه الشعراء: إنهم الحكام الذين خـــــذلوا الشعب ولهثوا وراء مصالحهم غير مكترثين بالهم العام، خانوا البلاد واستبدّوا بالنـــــاس، زارعين فيهم الخوف والرعب، إنهم فعلا سادة الهزائم النكراء ،يقول الشاعر[2]:

يا سادتي الأقزام

ضيعتم دياركم وشعبكم

ضيعتم التيجان في آخر الزمان

---

[01] عمّار بو الدهان ،"معزوفة الظمأ"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص :13

[02] نفسه ، ص: 26

ثم يقول[1]:

يا سادتي سيوفكم من الحطب

لم تخدعوا سوى جماهير العرب

من قدم الانجيل والقرآن

سلمتم السلاح في "القنال" في "بغداد"

نسيتم الفتوح والأمجاد

قاتلتم إخوانكم، شنقتم القبائل الأكراد

وأصبح الخائن منكم سيدا يستعبد الأسياد

شنقتم الأحرار في السودان

قتلتم الثوار في تطوان

يا سادتي اللئام

فليسقط الحاكم بعد الحاكم

الطاغية الجبان

لتسقطوا يا سادة الخداع والإجرام

وبقيت القضيّة الفلسطينية الشغل الشاغل للشاعر الجزائري في هذه المرحلة، بعد أن كانت كذلك في المرحلة الاستعمارية؛ بحكم أن الجزائر قاست ما تقاسيه فلسطين، وعرف شعبها القهر والاستبداد واستلاب الحقوق، ولكن في مرحلة الاستقلال اتّخذ التعبير عن القضيّة بُعدا أعمق سواء من حيث الشكل أو المضمون؛حيث أن الشاعر طوّر أساليبه وأدواته الفنية.

فنجد عبد الحميد بن هدوقة متضامنا مع أصحاب القضية متحسّرا على خيبة آمال الشعب العربي في تحرير فلسطين، التي ضاعت من أيادي العرب الذين انقادوا وراء

---

[01] عمّار بو الدهان ،"معزوفة الظمأ"، ص:28

العهود الكاذبة وغرّتهم الخطب الكبيرة، كما نجده ساخطا على الحكام الـــذين باعوهـــا وساوموا اليهود عليها، يقول[1]:

كان الزمان صغيرا

و الشعوب غريرة

بالخطب الكبيرة

وكان بيع ومساومة

وكانت كؤوس مريرة

شربناها على نخب البارود

والجدود والعهود

والبنت الصغيرة

لم تتحرر بالرغم من مرور السنين

لم تحرّر فلسطين من قيود العبودية و الاستعمار ،فسيطر اليأس على أصحاب هذا الحلـــم الكبير و الوحيد ،والذين لم يعد لهم أمل سوى الإيمان بهذه الوعود الكاذبة.

إذن بقيّت فلسطين أسيرة لقيود الاستعمار و العبودية ،فسيطر اليأس على أصحاب هذا الحلم الكبير ، والذين لم يعد لهم أمل سوى العهود يقول[2]:

واستمرت الأغنية

نفس الأغنية

لتحرير الأخت

العربية

بالعهود

بأسلحة عادو ثمود

---

01 عبد الحميد بن هدوقة،" الأرواح الشاغرة"، ص:37

02 نفسه ، ص: 38

ومضت السنون

والحكام الأقدمون

وتحررت أمم وشعوب

ولكن الأغنية

ما نزال نغنيها إلى متى نغنيها؟

لمن نغنيها؟

للحلم المفقود

وصدّق الشعب هذه الوعود وبقي متمسّكا بها فطال مكوثه في الملاجـــئ حتّـــى نسي الإياب، وتعوّد هناك على العذاب، يقول الشاعر معبّرا عن خيبة أمله في استرجاع فلسطين[1]:

حتى الأخت الشقيقة

نسيت أباها

والرحاب

نسيت اللجوء

والعذاب

نسيت الحدود

والإياب

ويقول محمد الأخضر عبد القادر السائحي مصوّرا ثورته وسخطه ورفضه لسياسة الحكام الذين خانوا فلسطين وشعبها ،على لسان طفل فلسطيني[2]:

أبتاه قرأت كتاب الثورة سفرا سفرا

ومسحت فنادقها الحمراء دما مرا

---

[01] عبد الحميد بن هدوقة،" الأرواح الشاغرة"، ص: 39

[02] مجلة أمال ،"شعر مابعد الاستقلال" ،ص: 231

وشربت عصير الغدر كؤوسا

ملأتها أيدي الأعداء نبيذا ... عفوا

أعني أيدي الأخوة

لقد خان الحكّام العرب الثوار ورخصّوا دمائهم يقول[1]:

أنشر صورة من خانوا (تل الزعتر)

أكتب من جبل النار

ذكرى يتلون فيها من غدر الثوار

أكتب بمداد الثورة

رسم الوطن العربي

رسما لا يعرفه الحكام

من مغربنا حتى مشرقنا

وينتقد مصطفى الغماري سياسات الحكام العرب الذين باعوا الشـــهداء بـــالمزاد العلني بقوله[2]:

قم يا شهيد ... فإنهم باعوك بالطبق الرغيد

صلبوا عنـــاقيد السلام وأدنوا خـــمر الوعود

وتصرفوا وهم الفجور وتاجروا باسم الشهيد

ذبحوا جيادك يا شهيد من الوريد إلى الوريد

وتسكعوا ... يزني بهم وعد ... ويلهيهم وعيد

وفي إشارة إلى رفض الشعوب العربية المؤمنة بـــالثورة و المقاومـــة لتوجّهـــات حكوماتها السياسية المطبّعة مع اليهود و التي فضّلت التســـوية معهـــم حلاّ للقضـــية ، مُتجاوزة بذلك خيارات شعوبها ،يقول محمد الأخضر السائحي[3]:

---

01 مجلة أمال ،"شعر مابعد الاستقلال" ،ص:232

02 مصطفى الغماري ،"نقش على ذاكرة الزمن "،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 1978 ،ص: 85

03 مجلة أمال ،"شعر مابعد الاستقلال"، ص:234

أيها الزمن المطلوب على هرم العار

برئ الطفل المطعون من الرجس

من حكام الزمن النحس

وفي السياق نفسه ينتقد حرز الله بوزيد توجّهات الحكّام العرب الـــذين قبلـــوا التسوية مع العدو جريا وراء الأموال والمناصب مُتخلِّين عن المبادئ القومية يقول[1]:

فهذه رسالتي أمامكم موضوعها استقالتي

من منصب يعشقه العرب

ولتشهدوا بأنني مواطن

من طينة رافضة

معاندة

ويلوم الأئمة ،ولعلّه يقصد بهم كل المثقفين الذين تخلّواْ عن رســالتهم، فكــانت النتيجة ضياع مجد العرب، يقول[2]:

فالله صورني

أودعني سماءه الملبدة

أرسلني مزودا بآية الجهاد

أوكلني بشرح ما أهمله أئمة البلاد

تفجري مدينتي

وعانقي اللهب

لترجعي

جميع ما من مجدنا سلب

ثم يعود مخاطبا الحكّام وفاضحا جرائمهم بقوله[3]:

---

[1] حرز الله أبو زيد، "مواويل العشق والأحزان."،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984، ص: 64

[2] نفسه ، ص :65

[3] حرز الله أبو زيد، "مواويل العشق والأحزان."، ص: 66-67

يا أيها الذين

تاجروا بعرضنا

ووقعوا عن خزينا

وآمنوا بما يحيك بعضنا لبعضنا

قصوركم

بنوككم

فجوركم

أوراقكم مكشوفة

لا تتعبوا أنفسكم

قد يغفر الإله

ما تقدم من ذنبكم

لكنما مدينتي من

جبنكم بريئة

ثم يعلن تمرّده عليهم، مُعيبا عليهم جبنهم وخيانتهم لقضايا العرب خوفا من الأعداء. فيقول[1]:

سفينتي يا سادتي لما تزل مسافرة

تعلمت من بحرها ركوب ما أرهبكم

سفينتي وحيدة لكنها مثابرة

حرفتها رغم الردى المغامرة

وأنها ضد الذي أخرسكم

ومرغ أمامكم عزتكم

---

[1] نفسه، ص: 68

نستنتج مما سبق أنّ غربة الشاعر عن الواقع السياسي لم تقتصر على الظروف التي مرت بها الجزائر فحسب، وإنّما كانت أيضا تأثّرا بما يجري حوله في الوطن العربي ككل.

ثانيا : الاغتراب الفكري والنفسي:

لم يكتف المستعمر الغاشم بالاستيلاء على البلاد، والتحكم في مصيرها السياسي، متّخذا من القهر والطغيان نهجه ومبدأه في تسيير الأمور، و لم يكتف باستتراف خيراتها وحرمان شعبها من حقوقه ؛جاعلا من أفراده عبيدا يرهقهم الفقر والتشرد، يكابدون أوضاعا اقتصادية متردِّية يتفطّر لها كلّ صاحب ضمير حي، وإنما سعى بكل الوسائل والطرق، وبذل كل الجهود في سبيل انتزاع الجزائر من انتمائها العربي الحضاري الإسلامي، وتجريدها من هويّتها ومقوّماتها ؛العربية مما جعل الشاعر الجزائري محاطا بهالة عميقة من الغربة الفكرية والروحية، وهو يرى الحالة الثقافية في البلاد تتدهور فيتألم ويحزن و"المسألة تتجلى بأبشع مظاهرها في نظر المثقف الذي التقى في دراسته بأزهى عصور الجزائر في التاريخ وهو يعاني النهاية القاتمة التي آلت إليها، فيقرن "الحاضر بالماضي، فيتمزق بين أمس مرفوع الجبين ويوم معفر في التراب"[1].

وقد عُرف الاستعمار الفرنسي عبر التاريخ بأنه من أخطر الاستعمارات التي عرفتها الشعوب، لأنه يعمل أساسا على ضرب الهوية واقتلاع الشعوب من جذورها، وطمس ثقافتها الأصلية محاولا إدماجها في ثقافته، وهو ما عملت السلطات الفرنسية على تحقيقه في الجزائر، إذ حاربت اللغة العربية في عقر دارها وحاولت القضاء عليها ،فأصبح الإنسان الجزائري غريبا عن لغته وبالتالي عن نفسه، إذ كان مفروضا عليه الالتحاق بمدارس فرنسية لأن لغته ممنوعة ومحاربة، فتعمّق الشعور بالضياع والغربة والانفصال لدى الشعراء الذين لم يجدوا بُدّا من التعبير عن غربتهم بلغة العدو، عندما تقطعت بهم سبل الاتصال بلغتهم الأم، وقد عبّر مالك حدّاد عن ذلك قائلا[2]:

أنا الذي أغني بالفرنسية ..... أيها الشاعر يا صديقي!

---

[1] صالح خرفي، "شعراء من الجزائر، الحلقة الأولى"، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، 1969، ص: 86-87.

[2] مالك حداد ،" الشقاء في خطر" ترجمة :ملك أبيض العيسى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط 2 ، 1979 ،ص :37

لا تلمي إذا ما صدمتك رطانتي..... لقد أرادني الاستعمـــار

أن أحـــمل اللكنة في لسانـــي..... أن أكون معقود اللسان

فقد كانت فرنسا ترى في انتشار اللغة العربية تهديدا لسلطتها وكيانها.ومخططاتها الرّامية إلى تغريب الشعب و استلابه ثقافيا

ويقول الشاعر ابن رحمون متحسرا على اللغة العربية وما يعانيه المدافعون عنها من تعسّف واضطهاد[1]:

ويضيق بي رحب البسيطة إذ أرى هذي البلاد فريسة الجشعاء

وأرى مدارسها يعطلها العـــدى ومكاتب المحتل في خيـــلاء

والضاد تمنع والسجون تفتحت يزجى إليها معشر الزعماء

وارحـــمتا للضاد وسط بلادها وارحـــمتا لحماتها السجناء !

إضافة إلى محاربة اللّغة العربية ، شجّعت السلطات الفرنسية الانحـــراف الـــديني بهدف فصل الشعب عن عقيدته، و لتتمكّن من زرع عاداتها وتقاليدها الفاسدة في المجتمع الجزائري؛ لأنها كانت تعي جيدا دوره في تقويم النفوس والسير بها إلى ســـواء الســـبيل، ففتحت المجال أمام الطُرقية والشعوذة والدجل مستغلة فساد ضمائر بعض الأئمة الـــذين كانوا يتاجرون باسم الدين جريا وراء كسب المال بطرق غير مشروعة؛مهملين دورهم في التوعية والهداية، فانتشر بذلك الجهل وفسدت الأخلاق والذمم، حتى ضاق الوجـــود بما رحب على الشاعر المثقف الذي يحمل هَمَّ الإصلاح، ووجد نفسه غريبا بين قـــومه، فبرزت في قصائده روح اليأس والتشاؤم والتبرّم بالناس والشكوى من سلوكياتهم ومـــن ابتعادهم عن الدين القويم.

---

[1] ابن رحمون ، الديوان، ص :137-138

وينتقد محمد سعيد الزاهري هؤلاء الأئمة المنافقين، الذين ابتعـــدوا عـــن روح الإسلام الحقيقية؛ فتسبّبوا في ضياع الشعب، قائلا[1]:

يـــا ويـــحنا من أمة لـــم تتبع في الدين غير مشائـــخ وذئاب

قسموا عباد الله أعنـــاما لـــهم فالـــجاهلون لهم من الأذناب

ملكوا على البسطاء من جهالنا ماكان من مهج ومن أسلاب

ويـــل لأشياخ الزوايا فرقوا الإ سلام في طرق لـــهم وشعاب

لولا الشيوخ الطامعون لما هو ال إســـلام بين مهالك وخراب

ويقول حمّود رمضان[2]:

ونـــزعم أنا مسلمون وديننـــا تعيث به الأهواء والكل ذاهل

هذا الانحراف الديني الخطير وما أدّى إليه من آثار سلبية علـــى الشـــعب جعـــل الشاعر يتحسّر على أمتّه، وأذكى فيه روح الغربة ،زيادة على انتشار الجهل الذي قـــاد الناس إلى الهلاك وجعل الجزائر غارقة في الظلمات.

يقول عبد الرحمن ابن العقّون[3]:

قلوب كساها الجهل منهم بظلمة فكانت ترى الحرمان نعم النصيب

---

[1] محمد الهادي الزاهري ،"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، الجزء الأول ،المطبعة التونسية ،تونس، 1926، ص: 12

[2] صالح خرفي،" حمّود رمضان"، ص:89

[3] عبد الرحمن ابن العقّون، الديوان ،ص : 17

فأين النجاة من جفا الدهر يا أخي إذا مـــا شباب اليـــوم دينا يعيب

ويقول محمد الأمين العمودي[1]:

وأضعت عمر هائما فـــي أمة عما عراها لست بالمسؤول

أسفي على قوم لهم دين وهم عن دينهم في غفلة وذهول

فالشاعر ضائع في أمتّه ،غريب عنهم ،لأنّهم تخلّوا عن دينهم و غفلـــوا عـــن تعاليمه.

وكانت الغربة الفكرية منتشرة بصورة واضحة عند الشعراء المصلحين؛ وهو مـــا يستشّفه القارئ لقصائدهم، حيث نجدهم يسعون للتغيير ولكن دون جدوى، فالناس في غفلة عنهم لاهين بأمور تافهة، الأمر الذي قاد أغلبهم إلى اليأس.

يقول محمد اللقاني بن السائح:[2]

علمتهم بالعلـــم كـــل فضيلة و دعوتهم من حاضر وآبـــاد

فوجدت في الأرواح موتا كامنا وعلمـــت أني صـــارخ في وادي

فيئست يأس مودع الأمـــوات في ضيق القبور وظلمة الألحاد

فالناس كالأموات سيطر الجهل عليهم وأطْبق عليهم جمود الفكر، مما جعل السعيد الزاهري يشبّههم بالأخشاب بقوله[3]:

ضقت ذرعا برحب هذا الوجود وبقوم طول الزمان رقود

---

[01] محمد الهادي الزاهري "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "،الجزء الأول، ص : 152

[2] محمد الهادي الزاهري "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "،الجزء الأول ، ص: 53

[03] صالح خرفي،" شعراء من الجزائر" ،ص: 103-104

أوجه مثل أوجه النـــاس لكـــن خشب من ضلالة وجمود

فالناس غارقين في الضلالة إلى حدّ بعيد جعل جهوده ومحـــاولاته في الإصـــلاح تذهب سدى، يقول[1]:

قد بذلت الجهد لو كان يجدي في بلوغ المراد بذل الجهود

وكانت النتيجة يأس وغربة بين قوم لا يفهمونه، يقول[2]:

وإذا العلم في الجزائـــر لا يجلـــب نفعـــا للعالـــم الصنديـــد

هو في قومه مقيم على الضيـــ م مقـــام المســـيح بين اليهـــود

أيها العالم الرشيد الذي يـــمـــ حض نصحا دوما لغير رشيد

أنت فـــي أمـــة تدراكهـــا الله بلطف كصالـــح في ثمـــود

أنت إن جئتهـــم بعلم صحيـــح أذكروه وقابلوا بالجحـــود

---

[1] نفسه ، ص:104

[2] نفسه، ص:104و 105

ويصل بهم الجهل إلى حدّ اتهامه بالدعوة للإلحاد [1]:

وأشاعـــوا إليك أنك تدعـــو جهرة للإلـــحاد والتجريد

وتـــمنوا لو أنـــهم قد آذاقوك صنوفا من العذاب الشديد

وقد وصل به اليأس إلى حدّ تمنّيه لو أنّه لم يكن متعلّما ،يقول[2]:

فأنا لم أزل أكابد في العلم صنو فـــا مـــن الشقـــاء الأليـــم

قد تغربت أطلب العلـــم مـــن قبل ولاقيت فيه أقسى الهموم

وتغربت أنشر العلم فـــي قـــو مي فلـــم يعبئوا بنشر العلوم

لم أجد في الشقاء من هو أشقى بـــحياة من (عالم) مـــحروم

لاولا في متعب الدهر صعبـــا مثل نشر العلوم بين العمـــوم

بين قوم عمي البصائر صـــم ليس فيهم غير الجهول الأثيم

ويستمرّ الشاعر في ذكر ما شاع في قومه من رذائل وأخلاق فاسدة، حتّى تمنّـــى هجرهم لأنّه لم يعد قادرا على الانسجام معهم، يقول[3]:

أنـــا والله عفت فيهم حياتـــي وبقائـــي فوق هـــذا الأديـــم

---

01 صالح خرفي،" شعراء من الجزائر" ، ص :104

02 نفسه ، ص: 114

03 نفسه ، ص: 114

لا أرى بينهم نهـــار ســـرور كـــل عيشي في الليالي الخسوم

ليتني ما قرأت حرفـــا ولا أعرف فرقـــا مـــا بين كاف وميـــم

فلعلي إذن مع الـــجهلي أحضى بهناء خفض و عيش رحيـــم

كم رأينا من ناعم البال لا يفضل لـــولا الشكيـــــم ذات الشكيـــم

و رأينـــا مـــن عالـــم عبقـــري قد قضى العمر في العذاب العقيم

أصبح الإنسان المتعلم والشاعر المثقف منبوذا بين قومه، لا قيمة لعلمه ومعرفته، في حين اكتسب الجاهل مكانة مرموقة بينهم ، يقول[1]:

أمة لا ترى لذي الفضل فضلا لا، و لا تعتني بعلم العليـــم

من يكن (صوفيا) كذوبا خبيثا فاز منها بكـــل خير عميم

وحبته بـــخير حق مـــن التكريم كل الإكبـــار و التكريـــم

أمة كل عالـــم مـــن بنيهـــا هو فيها مثل الغريب اليتيم

وُيعبّر حمّود رمضان عن غربته بين قومه وشقائه بعلمه بقوله[2]:

---

[1] صالح خرفي،" شعراء من الجزائر" ، ص :115

[2] نفسه ، ص :93

لو كنت شخص بليدا أعمى البصيرة

في الجهل أسعى وأعدو ورافلا في هوائه

له على إياد على ثوب هنائه

لكنت أسعد حظا من عالم بذكائه

و يقوله أيضا [1]:

فذوا المعارف يشقى والبؤس طي ردائه

إن التعاسة سم ممزوجة بدمائه

والعقل يقتل هما من يهتدي بضيائه

كم عالم مات غما بصبره و وفائه

أو عاش وهو كئيب وفاقد لرجائه

وجاهل في نعيم يجول في علوائه

ثم يردّ أحمد سحنون على الذين لاموه عندما اعتزل الناس والشعر قائلا:[2]

لا تطل لومي على صمتي فلو هز قومي الشعر ما حطمتي عودي

---

[1] صالح خرفي ،"حمود رمضان" ،ص: 94

[2] أحمد سحنون ،الديوان ، ص :45

بسكوتي لم يضع شعري سدى وبشعري طالما ضاعت جهـــودي

لم يعد للشعـــر تأثيـــر ولـــو رج لـــمدفع أو قصف الرعـــود

إن قومي ألفوا طعم الكـــرى هل يفيد الشعر فـــي قوم رقـــود

فالشاعر يائس كلَّ اليأس من حالة شعبه، وهو مدرك وموقن بأنه لم تعد هنـــــاك جدوى من كتابة الشعر.

ويستبدّ اليأس بمحمد العيد آل خليفة وهو يرى نفسه التي تحمل قيما ومُثُلا سامية ما عادت تُلاءم زمانه، فاعتزل الشعر، لأنّه لم يجْنِ من ورائه فائدة تُذكر، و لم يعد قادرا على الوصول إلى أرواحهم ومخاطبتها.

يقول[1]:

لم يبق لي في الشعر غير بضاعة قد لا تروج بمعرض الأفكار

وعدلت متند الخطى عن رحلة غي طيها استهدفت للأخطار

وفقد فيها المسعفين فلم أجـــد سلوى سوى التسليم للأقدار

ويقول معبرا عن غربة الأدب وسط قومه[2]:

وترى الأديب الألمعي مؤخرا ومحقرا وهو الأديب الألمعي

يتبيّن لنا من خلال هذه النماذج الشعرية يتبين لنا ما كان يعانيه الإنسان المثقّف من اغتراب وسط دوّامة الجهل والضلال التي أحاطت بشعبه فجعلته ألذّ أعدائه.

ومن خلال إطلاعي على النصوص الشعرية، وجدت أن من أهمّ أسباب اغتراب الشاعر الجزائري الحديث الفكري والنفسي، دخول العادات الغربيّة إلى البلاد وانتشارها

---

01 محمد العيد أل خليفة ، الديوان ،ص :328

02 نفسه ، ص : 148

بين الناس سواء المادّية أو المعنوية فقد أصبح الجزائري مُقلّدا لأخلاق المستعمر الفاسدة البعيدة عن أصالته.

فإن تحدّثنا عن اللباس مثلا ،نجد محمد العيد آل خليفة يرتجل هذين البيتين حينما ركب مرّة حافلة عمومية وكان الوحيد الذي يرتدي اللباس العربي التقليدي بعكس الجميع الذين كانوا يرتدون الزيّ الفرنسي يقول[1]:

ما في الجزائر مجلس أهلي بـه نفسي وأستهوي إليه فؤادي

أمسيت لا منها ولا من أهمها والقوم قومي والبلاد بلادي

ويقول حمّود رمضان [2]:

ونسير وراء الناعقين تهالكـا لنحض ببعض الشيء والشيء سافل

نرى قولهم حقا وصدقا حجة وإن جـاء منهم تافه فهـو عامل

نقلدهم كالببغاء تفرنـجـا ولـم نتبعـه قد قررتـه الأوائـل

ويقول عبد الرحمن ابن العقون عن أولئك الذين اتّخذوا من الغرب قبلتهم فأذلّوا أنفسهم:[3]

الغرب قبلتهم والمال معبدهم الذل ديدين والأعداء أهلونـا

قد زينوا لهم من كل مغريـة ومـن التفرنج والإلحاد تزيينـا

---

[1] محمد العيد أل خليفة ، الديوان ، ص: 522

[2] صالح خرفي ،"حمّود رمضان"،ص :89

[3] عبد الرحمن ابن العقون ،الديوان ،ص: 55

فصوبوا كالذباب فوق مزبلة وأنكروا الأهل، والأوطان والدنيا

ويقول حمّود رمضان منتقدا انتشار الفساد والرذائل في أوساط الشباب، ومعاتبا أولئك الذين تخلّوا عن دورهم في الإرشاد[1]:

نقلدهم في فسقهم ومجونهم ولكن سدا بيننا والفضائل
وإنا فرادى في المكارم والحجى ولكننا في الموبقات جحافل
شباب على نهج الغواية سادر وشيب على الإرشاد كاذل

والزاهري ساخط على بعض الأئمة من ذوي العقول الفاسدة الذين استغلّوا جهل الناس وانتهكوا حُرُماتهم، يقول[2]:

عجبا لقوم يحجبون نساءهم عن كل ذي عين وذي لحظات
وعن الكواكب والنسيم و ماله في الفجر من جري ومن خطرات
ورأيت منهم من يبيح لشيخه ما كان من زوج له و بنات
مارست أخلاق الشيوخ فلم أجد غير الخمول وغير حب الذات
ووجدت منهم من يعد أخذ العبا دة و هو في لهو و لذات

لقد صاحب اغتراب الشاعر الفكري في هذه المرحلة اغتراب نفسي عميق في ظل ذلك الواقع المتردّي ؛حيث فسدت طبائع الناس وأخلاقهم وجنحوا إلى الرذيلة، فلم تقو نفسية الشاعر المرهفة ومشاعره الحساسة على احتمال هذه الأوضاع، فهو دائما يتطلع إلى الكمال ويصبو إلى المثالية، وعينه لا تغفل عن النقائص، بل إنها تضخّمها، فجاء النص

[1] صالح خرفي ،"حمود رمضان"،ص:90

[2] صالح خرفي،" شعراء من الجزائر"، ص:96

الشعري طافحا بالتشاؤم واليأس الحزن ،وهي مظاهر تدل على الاغتراب النفسي للشاعر وعدم انسجامه مع محيطه.

ولعلّ محمد العيد آل خليفة كان من خير المعبّرين عن هذه الحالـــة، فهـــو حين يصف سأمه من هذه الحياة نحسبه شيخا لشدة ما يقاسي من آلام ،مع أنه كان شابًّا في مُقتبل العمر ،يقول[1]:

سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة حوادث لا تنفك مستعرات

أردد طرفـــي سابرا كنـــه غورهـــا فيرجع طرفي خاسئ النظرات

تبارك رب العرش لســـت بملحـــد يحاول طمس الحق بالشبهات

ولكـــن وجدانـــي ينـــم بـــحسرة إلى القلب أيوحي له شبكـــاه

[1] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ص:11

ثم يصف يأسه قائلا[1]:

اليأس داء عسيـــف والبرء منـــه عسيـــر
يدق بين ضلوعـــي قلب كسيف كسير
أخشى عليه انتكاسا والانتكاس خطيـــر

ويطلب الشاعر الراحة لنفسه في الموت، فيقول[2]:

طال المقام بنا والدار موحشة متى الرحيل بنا من هذه الدار

ويقول أيضا[3]:

إلى الأخرى فعرج بـــي تفرج على ناء يكاد بها يـــجن

ويخترق الحزن روح حمّود رمضان فيرى الدهر متجهّما عابسا في وجهه ،يقول[4]:

ويلاه من هم يذيب جوانـــحي فكأنما في القلب جنوة نـــار
نفســـي معذبة بـــهمة شاعـــر دمعي على رغم التجلد جار
حظي على متن النوائب راكب تـــمشي بـــه لمحطة الأكدار
قد خانني دهري وتلك سجية للدهر مثل شجية الأشـــرار
هو دائما لـــي عابس متنكـــر حتى الطبيعـــة حســـنها متـــوار

وفي البيت الأخير تنعكس انفعالات الشاعر الداخلية على الطبيعة؛ فيراها مظلمـــة باهتة. فاقدة لجمالها.

ويقول معبرا عن غربته النفسية القاسية[5]:

سمعت بأن السجن أضيق من قبر فألفيت قعر السجن أحسن من قصر

---

01 محمد العيد أل خليفة ، الديوان ، ص: 393

02 نفسه ، ص: 361

03 نفسه ، ص: 367

04 صالح خرفي،" حمّود رمضان"، ص:85 -86

05 نفسه ،ص:66

فماذا يفيد القصر والقلب حائـــر ومن ذا يضر السجن من كان ذا قدر

فالذي تعيش نفسه غربة سيان عنده إن كان مسجونا أو كان حرّا ،فهو مكبّل في سجن الحياة.

وحياة أمين العمودي لا تجود عليه إلا بالأحزان، يقول[1]:

وأرى الـــحياة ضئيلة فنعيمها متكدر وسرورها أحزان

فسئمتها وسئمت حتى ذكرها ذكر القبائح تركه إحسان

يا صالـــح هذه الدار إذايـــة يأوي إليها جاهل وجبان

واقترنت الغربة النفسية بغربة اجتماعية، إذ أصبح الشاعر لا يثق بالناس من حوله فهم في نظره جميعا يضمرون الشر، يقول محمد العيد آل خليفة:[2]

لا أمنح الناس ميثاقي ولا ثقتي وإن أحاطت بي الأفواج والحلق

ظننت فـــي النـــاس خيـــرا فـــخـــاب ظنـــي و خـــبـــت

ويقول أحمد سحنون[3]:

وكل بني الدنيا على الشر منطو وإن غر ثغر منهم يبتسم

ويذّم محمد الأمين العمودي أهل زمانه قائلا[4]:

درا عني دهري وما عصمتنـــي من زمانـــي و أهله أدابي

قبـــح الله أهل هذا الزمـــان كل من ساد أسود مثـــل الغراب

---

[1] محمد الهادي الزاهري "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "،الجزء الثاني، ص :22

[2] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ص :364

[3] نفسه ، ص: 164

[4] محمد الهادي الزاهري "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "،الجزء الثاني، ص :23و 24

ويصطدم الشاعر في هذه الحياة بالخيانة وقلة الوفاء والإخلاص، الـــذين أصـــبحا عملة نادرة في ذلك الزمان .

يقول محمد العيد آل خليفة[1]:

ولا يغررك حلف من بنيها فلست أرى لأكثرهم وفاء.

و أحمد سحنون يذكّرنا بالشاعر القديم الذي كابد غربة الأصدقاء، فعاش شقيّا لا يجد من يبادله أفراحه وأتراحه ،يقول[2]:

وطلبت خلا أرتضيه فلم أجد إلا عديـــما للوفاء كذوبا

دنياك قل بها الوفاء وحسبهـــا عدم الوفاء مساوئا وعيوبا

لا شك فيها غربة فهي التـــي يحيا بها الحر الكريم غريبـــا

فصاحب النفس الوفية الكريمة غريب في هذه الحياة ؛لأنّ كل من فيها لا يتحلّى بأخلاقه ولهذا يعجز عن التآلف معهم ؛فيهجرهم متّخذا من الكتاب رفيقا يبدّد به اغترابه الاجتماعي .

يقول[3]:

الذنب ذنبـــي لأنـــي وثقت بالأصحاب

بصحبة الكتب تـــجني روائـــــع الآداب

وكم ترى من صديق منافـــق كـــذاب

وابن رحمون يرى في هجر الناس عين الصواب، يقول[4]:

فراق وإن البين عنكم هو البر وهجر ووصل الذل في مذهبي كفر

---

01 محمد العيد أل خليفة، ديوانه، ص: 362

02 أحمد سحنون ،ديوانه، ص: 173.

03 نفسه ، ص: 152.

04 نفسه ،ص: 121

ومن مظاهر الغربة النفسية في هذه المرحلة إحساس الشاعر الجزائري بالاستلاب في وطنه، حتّى أصبح يحسّ بوجوده ثقيلا في هذه الحياة ،يقول أبو القاسم سعد الله معبّرا عن هذا المعنى [1]:

وظلت حياتي تجوس الدمم
وتبحث عن أصلها في العدم
وتدعو الرؤى
وتستهدف الضوء عبر الخلايا
خلايا الحقب
وبعد التعب
جنت حتفها لأن الوجود كثيف ... كثيف

نستشفّ من شعر لأبي القاسم سعد الله و غيره من الشعراء الجزائريين أنّهم أصبحوا يحاكون تجارب الشعراء العرب الرومانسيين، متّخذين من بعض قصائدهم نماذج لغربتهم، فالأبيات السابقة لا تعدو أن تكون مجرّد صورة ممثلة لغربة الذات وحيرتها عند الشعراء المشارقة بعد الحرب العالمية الثانية.

وعندما نتأمّل النصوص الشعرية في مرحلة الاستقلال، نجد أن الشاعر الجزائري استمرّ في التعبير عن غربته الفكرية، ويبدو أنّه أحسّ بأنّ مكانته تضعضعت، وأنّ الوطن لا يُقدّره حقّ قدره، فالإنسان المبدع مهمل و مقهور ، ولذلك تمنّى أبو القاسم سعد الله أن تسوقه الحياة إلى مكان آخر يُشيده بفكره، و إبداعه ، يقول[2]:

حنانيك يا بحر الدموع أما ترى
بأني غريب مقهور مدنف
كأني أرى لأفكار منا حوائما

---

01 أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص: 151

02 نفسه ، ص: 379.

على صهوات جانها يتخطف

تحط؟ فلا أرض، تطير ولا سما

فتحرق هذا القلب منا وتتلف

ألا ليت تيار الحياة يسوقنا

إلى موطن يرعى الفنون ويعطف

وعمر أزراج يعبّر عن غربته الفكرية مصوّرا تهرّب المدينة منه أو بالأحرى من أفكاره على الرغم من أنه يسعى لخيرها ونهضتها، فهو موجود أساسا ليحميها من ظلام العصور، يقول[1]:

لماذا تفر المدينة مني؟

وترعبني بنشيج القطط

لكم تحرق الريح حلمي وورد الطفولة

لماذا تفر كراسي المقاهي؟

لماذا تفر المدينة مني؟

المدينة رمز الجزائر الغارقة في تخلّفها و جهلها ،الرافضة للتقدّم ، والرافضة للمثقّف الذي لطالما حلم بالنهضة الفكرية في بلاده.

و الشاعر العربي دحّو يشعر بأنه غريب في وطنه، لأنّ دعواته للانطلاق والتطوّر وتحقيق نهضة ثقافية وفكرية لا تجد صدى ،ولا يكترث بها أحد، يقول على لسان الجزائر[2]:

أفضل نومي ... وأرجو البقاء بكفني

فكان الفتات

نصيبك ... دوما

---

[01] عمر أزراج، "وحرسني الظّل" ، ص:31.

[02] مجلة الرؤيا ، العدد الرابع ، السنة 2، 1983، الجزائر، ص: 95.

وكان التردي ... وكان التخلي ... وكان الانزلاق

وكان الجفاف ... وكان التقوقع والارتزاق

ويعبّر عن مساعي الإنسان المثقف ومحاولاته المتكرّرة الرامية إلى ازدهـــار الحيـــاة الثقافية والفكرية، ولكنها جميعا تذهب سدى، فيشعر بأن العيش في هذا الوطن لم يعـــد يناسبه، فيقرر بذلك التخلّي عنه يقول[1]:

أنا العاشق المكتوي بهواك

ولكن أبحت دمي ...

فالطلاق ... الطلاق

لكن جئت أبحث فيك حباء

أمدك عينا ترى ...!!

وفؤادا ... وعقلا ... ورجلا

ولما أبيت

هنيئا خنوعك والموت

يا بلدة ترفض النور والماء

تهوى نهيق الحمار

وترهب الشعراء

تباهي بمذبحة الأنبياء

وطمس شعاع السماء

فالنور والماء هما رمزان لنهضة الفكر وازدهار الثقافة و قد عبّر عبد الحميد بـــن هدّوقة في قصيدته "الشعر الدائري" عن تقهقر الفكر في الجزائر؛ إذ ليس فيها جديد ولا تنافس، سوى اجترار القديم ،يقول[2]:

---

[01] مجلة الرؤيا ، ص :96.

[02] عبد الحميد بن هدوقة،" الأرواح الشاغرة"، ص: 70.

في المدارس

لا نتنافس

بقايا من "ماركس"

وهناك

نلوك أحجار الجاهلية

وشيئا من أنقاض العباسية!

والنهاية كراس يتعدد

في الكراريس

ونهتف

تعلمنا الفصاحة

وفي قصيدته "لا تقف أيها الشاعر" يدعو كل المثقف و يرمز له ب" الشاعر" إلى عدم الاكتراث لأولئك الناس الرافضين للتطور، فهم لا يلتفتون إلى نداءاته ،يقول[1]:

لا تقف أيها الشاعر

أولئك عبيد بيض

يغازلون المستقبل بأحلام الماضي

دعهم يترعون كؤوسهم

على نخب الفناء

للفناء

والأرض أيضا متخلّفة سَكْرى كمن يسكنها، يقول[2]:

لا تقف أيها الشاعر

دع الأرض للأرض

---

[01] نفسه، ص: 105.

[02] عبد الحميد بن هدوقة،" الأرواح الشاغرة"، ص: 105.

فهي سكرى

مدمنة

خمرها معتقة في أجسام العبيد

وعمّار بو الرهان يصف هذا الزمان بزمن الحصار، فهو زمن استلبت فيه حرّيـــة المثقّف وصُودر فكره ، يقول[1]:

وحتى قصائدنا سلبت طعمها واستعارت

ملابسها للدخول إلى مدن سيجتها

الدياجي وحاصرها البحر والجند

وهنا يشير الشاعر إلى انعدام حرّية الفكر ونبذ المثقّف ومحاربته، واضطراره إلى التكتّم عن أرائه ، وبالتالي أصبح مجبرا على الاغتراب ، يقول[2]:

ونحن اغتربنا، وكل القصائد مرمية

في الشوارع تنتظر الاغتراب

أمّا الغربة النفسية فاتخذت منحى آخر بعد الاستقلال،حيـــث اكتســـت بـــرداء وجودي، إذ أصبح الشاعر الجزائري أكثر تقوقعا على ذاته، فأخذ يصف ضياعه وتمزقه، ويتساءل عن كنه ذاته، والغاية من وجوده، في حين أنه كان في الفترة الاستعمارية يعبّر عن غربة الشعب من خلال نفسه، في ظل ذلك الواقع الكئيب وما ساد فيه من ظلامية، ولعلّ ظهور هذه النزعة الذاتية كان لتأثر الشاعر بقراءاته للشعر العربي ومحاكاته فضـــلا ،عن فشله في تحقيق الكثير من آماله وأحلامه؛ ممّا جعل اليأس يعصف بنفسه ويطيح بهـــا في متاهات الغربة.

يقول المقرئ بلعيفاوي[3]:

قد سئمت الحديث جردني! لهي من مجال

---

01 عمّار بو الدهان ، "معزوفة الظمأ"، ص :71.

02 نفسه ، ص :71

03 آمال، "الشعر الجزائري المعاصر، ما بعد الاستقلال"، ص: 69.

إن قلبي قد غشاه اليأس من شح الآمال

واحتراق في وجود مبهم الأرجاء ضال

ليس لي في هذه الدنيا سوى فرض سؤال؟

هل أنا في الكون شيئا؟ أم أنا وهو خيال

وتستبدّ الغربة الوجودية بالشاعر عبد الحميد باشوات بعد أن ذاقت نفسه من الشقاء الكثير ، يقول يائسا من حياته[1]:

تائه ضيعت دربي

حائرا في ذا الوجود

أسأل الكون الرحيب

كنه ... السر العجيب

لم جئت؟

ألأحيا وأعيش

هكذا وحدي غريب

في شقاء وألم

وتتّخذ الغربة الوجودية بُعدا واسعا؛ إذ أن الشاعر يحس بغربة حضارية شاملة، غربة العيش في المدينة، فنجده يصف كيف ضاعت أحلامه وآماله، وكيف سحقته وجعلته يعاني تمزقا وضياعا، وهذه الغربة عبّر عنها قبله شعراء عرب، مثل : صلاح عبد الصبور والسّياب والبياتي، وإيليا الحاوي، وغيرهم ممن لم يستطيعوا التأقلم والحياة فيها، يقول عبد الحميد باشوات[2]:

ممزق أنا ... محطم ... مخذول

في جوك المسحور يا مدينة ...

---

[01] عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل "، ص: 63.

[02] عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل "، ص: 65.

ينهشني الألم

يجترني السأم

لا أعرف الهدوء والسكينة

وتتوالى صور التشاؤم والسوداوية التي تطغى على روح الشاعر حتّى قال[1]:

أهكذا عرفتيني ... أيتها المدينة

قصيدة تشاؤم

كئيبة ... حزينة

تحقر الوجود

وتلعن الوجود

فالمدينة هي السبب الحقيقي في كل ما طرأ على نفسيته من متغيرات، يقول[2]:

أهكذا عرفتيني ... أيتها المدينة!؟

سحابة سوداء

تعفر السماء

لا تمطر بغير البؤس

والحقد والشغينة

أهكذا رأيتني ... بالأمس يا مدينة

و وجود الشاعر بين سكّانها يزيد من غربته؛ لذلك نجده يفضل الوحدة لأنّه يجد فيها راحة باله، يقول[3]:

سعادتي في غربتي

وراحتي في وحدتي

أللم آلام قلبي

---

01 نفسه ، "، ص: 65.

02 نفسه ، ص: 66.

03 عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل" ، ص: 69.

أنضد أشواك دربي

بعيدا عن أهل هذا الوجود

ويستشف القارئ لشعر عبد الحميد باشوات نبرة صلاح عبد الصبور الممزّقة؛ التي سئمت هذا الوجود وملّت التكرار والرتابة في الحياة ، يقول[1]:

نأكل نسكر ... نضحك في ملل

ونحب، نضاجع ... رغما عنا

دونما حس ... دونما شوق ينبع منا

فهو أصبح كالآلة يكرّر طقوسا يومية دونما رغبة ، فهذا الزمن زمـــن التحجـــر وفقدان الشعور، يقول[2]:

لقد تعودت أن أحيا

بلا وجود، بلا فصول، وبلا أحاسيس!

حجرني هذا الزمن المر

وأد زهرة الحياة فغي قلبي

شنق الفرح في أعماقي

وسلبني حتى قوة أن أحزن ... أن أبكي

لقد جنى هذا الزمن عليه، وحوّله إلى آلة من آلات هذا العصر، يقول[3]:

هكذا أصبحت أنا

صاحب الإحساس المرهف والروح الشفافة

آلة من بين ملايين الآلات

تلك التي تتقيأها مصانع هذا العصر

وكل هذا ... باسم الحضارة

---

[01] نفسه، ص :125.

[02] نفسه، ص :131.

[03] عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل" ، ص: 132.

والشاعر غارق في ظلام الغربة ، تائه لا يدري إلى أين يسير، يقول[1]:

أين أمضي؟

موحش دربي كئيب

والدجى حولي رهيب

وأنا أمضي وحيدا

لست أدري أين أمضي

كل ما أدريه أني في متاهات ... ضبابا

وأنا ظل غريب

تائه في مهمة الأوهام

أستجدي الزمان

بعض حب وحنان

بعض نور

لقد زرعت المدينة في نفس الشاعر مشاعر الحزن و التمزق و التشـــاؤم و الوحـــدة والقلق، حتّى كره وجوده ، و أحسّ بالضياع في هذا الوجود .

[01] نفسه ، ص : 83.

ثالثا :الاغتراب المكاني:

إنّ الشاعر الجزائري كغيره من البشر تحتلّ بلاده منزلة عظيمة في نفسه، بل لعلّه وبحكم تركيبه النفسي المرهف أشد تعلّقا بالأمكنة؛ حيث تتّخذ العلاقة مع الوطن أبعادا أكثر عمقا ،وارتباطا أكثر حميمية، ولذلك تكبر معاناته إذا ما تعرض هذا المكان العزيز للفقد أو الضياع، أو إذا ما اضطرّ إلى مغادرته لسبب من الأسباب.

وهكذا كان الحال مع شعرائنا في فترة الاستعمار الفرنسي، إذ وجدوا أنفسهم مجبرين على الرحيل عن الجزائر ، فذاقوا من كأس الغربة القاسي، وظلُّوا يحملونه معهم في قلوبهم ويتذكّرون أيامهم فيه أينما حلّوا ارتحلوا، يحنُّون إلى الأهل والخلاف وإن كان هؤلاء الشعراء قلّة قليلة ؛ إذ "لم يتح الحصار الشامل الذي عانت منه الجزائر إبّان الاحتلال إلاّ لعدد قليل من الشعراء أن يلتحقوا بالمراكز العلمية والثقافية العربية في تونس والقاهرة ودمشق وبغداد، حيث عاشوا سنوات التحصيل قبل وأثناء الثورة النوفمبرية الكبرى، وعرفوا بذلك تجربة الغربة عن الوطن حتى وإن كانت هجرتهم إرادية ومنفاهم اختياريا"[1]، وعلى الرغم من الحفاوة والكرم الذي لا قوه هناك و من تعاطف الشعب العربي معهم في البلدان التي عاشوا فيها، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الإحساس بالغربة ،لأنّ للوطن طعم خاص فهو الأم الحنون الرّءوم بأولادها وإن قست على طفلها في بعض الأحيان.

وقد عبّر الشاعر صالح خرفي عن امتنانه لما لاقاه من حب ورعاية في مصر، حيث اعتبرها أمه الثانية ولكن مع ذلك تبقى الجزائر أمه العزيزة التي ليس له أن يستغني عنها، يقول[2]:

لو عوضت أم لكانت مصر أمي الثانية
لكن يا أماه أنت الأم الحانيه

---

[01] عمر رمّاني، "المكان في الشعر الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 2002 ،ص: 239.
[02] صالح خرفي، "أطلس المعجزات"، ص: 96.

ثم يقول معبّرا عن حياته في القاهرة وعن امتنانه لشعبها[1]:

أمي اسأليني عن حياتي في ربوع القاهرة
عن آهتي وتململي، عن مقلة لي ساهرة
لا أكذب التاريخ يا أمي فنفسي شاكرة
للنيل شاكرة أيادي لا تقدر زاخرة

و يعبّر محمد بلقاسم خمّار خمار في قصيدة أخرى عن حبّه للشام التي احتضنته وآوته كمواطن من مواطنيها ،ولكن على من ذلك ظلّ الحنين يشتد به للجزائر ، يقول[2]:

أحبك يا شام في غربتي وأهواك يا خافقي اليعربي
ولكنني اليوم في وحشتي وفي ذكر أدراسنا الغائب
أحن وأهفو إليه وأشدو لمغناك أغنية العاتب

ويقول في قصيدة أخرى وقد اشتدّ شوقه لوطنه وعادت به الذكريات إلى مراتع الصبا[3]:

حقا لقد هاجت بقلبي خفقة نحو الوطن
وتحرك الشوق الدفين بمهجتي يذكي المحن
وتراجعت ذكرى خيلي عبر قافلة الزمن
أين النخيل وأين هاتيك الظلال والسهول
وفراشة الحقل المليحة حول أحلامي تحول
وأنا هناك أهم من فرصي على دنيا فؤول
حيث الطلاقة والجلال وحيث عربدة السيول

---

01 صالح خرفي، "أطلس المعجزات"، ص: 95.

02 محمد بلقاسم خمار،" ربيعي الجريح "، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1970، الجزائر، ط 1 ، ص:72

03 نفسه، ص :18

طالت غربة صالح خبّاشة حتّى خيّل له بأنّه قضى آلاف السنوات بعيدا عن وطنه، فيمضي في قصيدته (لهيب الشوق) معبّرا عن حنانه ولوعة اشتياقه للأهل ذاكرا سهوله وروابيه وصحراءه وجباله، يقول:[1]

نأيت عن الجزائر طال عهدي كأني غبت عنها منذ ألف

فكم لي من شتاء اغترابي ولا قبس من الأهلين يدفي

أحبك يا بلادي فيك أحيا عزيز الجانبين وفيك حتفي

أحبك بالسهول و بالروابي وأنهار تعانق نهر شلف

بصحراء تهدب ساكنيها فما ابتليت طباعهم بزيف

بغدران تدفق سلسبيلا إلى ذلك الغدير اشتد لهفي

برملك و الغلباء عليه تلهو الضباء اختبرت إلفي

أحب (الأطلسي) و(ونشريسا) و(جرجرة) المنيع وطود جرف

و عبّر مفدي زكريا فعبر عن حنينه للجزائر عندما كان في بيروت، فأخذ في ذكر مدنها مدينة تلو الأخرى، مسترجعا ذكريات صباه الجميل، ثمّ انتقل بنا إلى بيته مناجيا أشياءه وحيواناته التي تعيده إلى زمن مضى بحلوه ومرّه ، يقول[2]:

هل لم تزل في الحقل، سنبتلي التي غرست؟؟ وهل في الحقل زنبقتي الحمراء

وهل لم يزل فيها دجاجي وقطتي وكلبي (توتو) رابضا يشبه النمر ؟؟

---

[1] صالح خبّاشة ،"الروابي الحمر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، ،1971 ،الجزائر ، ط 1 ، ص: 129-132

[2] مفدي زكريا ،"اللهب المقدس"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983 ،ص: 314

ومكتبتي والشعر والغرفة التـــي أحاط بـــها (كوهين) في جوفها ظهرا؟

مشاهد يفنى الدهر وهي خوالد تذكرنا أشباحهـــا الـــحلو والـــمر!

وتزاد الغربة قسوة إذا كان الشاعر سجينا بعيدا عن بلاده، فالبعد عن الـــــوطن وفقدان الحرية مصيبة لا يحتملها إلّا إنسان ذو جلد كبير، فقد ظلّ أحمد سحنون يحمـــل ذكرى بلاده بين جوانحه ،وظلّ يحنّ إليها وهو أسير بين جدران السجن ، يقول:[1]

كـــل شيـــئ نسيته يـــا بلادي وتلاشت أطيافـــه مـــن فؤادي

غير ذكراك فهـــي تكمن فـــي قلبي كمـــون اللظـــى بقلـــب الرماد

يا بلادي يا أرض أهلي وأحبابي ومأوى الأسود مـــن أجدادي

وحمى مولدي ونشأتي الأولـــى ومـــثـــوى آبـــائـــي للأمجـــاد

يا بلادي هواك نـــجواي فـــي ســـري وجهـــري ويقظـــتي ورقادي

طـــال شوقي إليك و اشتد ما ألقاه مـــــن صـــروف النـــوى والبعاد

هـــل سبـــيل إلـــى اللـــقـــاء للمبعد المدنف الحشى مـــــن معـــاد

[1] أحمد سحنون ، الديوان ص: 101

ويعدّ مبارك جلواح من أكثر الشعراء الجزائريين تصويرا للغربة ،فقد كان سجينا في باريس وطن العدوّ، فنجده يعترف بأنّ وطنه ذو مكانة مقدسّة وروحه ستبقى معلّقة به إلى آخر أيامه في هذه الحياة ،يقول[1]:

فلئن طوت عنك النوى تحت الرجى شبحي وآلوت عن رباك زمامي

فالروح يا وطن المقدس لم تزل حتى القيامة فيك ذات مقام

اشتدّت محنة مبارك جلواح بين جدران السجن لأولاده الذين خلّفهم وراءه في الوطن فزاد إحساسه بالوحدة ،يقول مصوّرا ذلك[2]:

فيملأ جوانيه يأسا وحزنا فيقول نيرة ملؤها الأسر

ثم ألقيت بي في قعر جب منزوي عن لحاظ كل مؤسي

أقطع العمر فغي دجاه وحيدا ذائب القلب بين لسع ونهس

كان لي فتية إذا ما احتفت بي أزلف الدهر لي بتقبيل رأسي

لقحت بالنوى وتفريق شعثي من ورا اليم بين حزن ودهس

وذرتني أسائل البدر عنها في الدياجي وفي الضحى قرن شمس

---

[1] عبد الله الركيبي ،"الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار "،ص: 227

[2] نفسه ، ص: 53.

وصالح خرفي يحنّ إلى أمّه وهو في القاهرة، فيكتب قصيدته "عيد بلا أم"، ويمـــــرّ شريط الذكريات أمامه معيدا إلى ذاكرته أيام العيد في الجزائر، يقول[1]:

أيام غربة شاعر آماله متناثرة

لم أحظ في الدنيا بمن يضفي علي مشاعره

ينسي فؤادي بسمة لك في المواسم ساحره

من يا ترى ينسي فؤادي يقظة لك باكرة

في فجر يوم العيد، والأعياد ذكرى عابرة

لتزيني البيت الجميل لزائر أو زائرة

والبشر يرسم في محياك الجميل بشائره

فالعيد في القاهرة ليس له طعم لأنّ الشاعر بعيد عن أمّه ، يفتقد دفأها وحنانها الـــذين لم يجد لهما بديلا في غربته.

ثم يسترسل الشاعر يحكي لأمّه ما جرى صبيحة ذلك العيد، إذ انّه الْتقَى بصديق له قضى معه سويعات لعلّه يُخفّف عنه غربته، لكنّه ودّعه، ليقول[2]:

حتى إذا حان الوداع – وفي الوداع أنانية

فسألته عن قصده، عن سعده وشقائيه

فأجاب، أمي لا شك بغيبتي في داهية

ولقت عليه أمه لما تغيب ثانية

وصبرت أنت لغيبة سنواتها متوالية

كادت تنسي القلب من الذكريات الباقية

إنّ الشاعر يتحسّر على أمه التي صبرت على غيّابه سنوات عديدة ، ويتحسّر على نفسه المشتاقة لأحضانها و حنانها.

---

[01] صالح خرفي، "أطلس المعجزات"، ص: 96.

[02] نفسه ، ص: 97-98.

وما زاد الألم تفاقما منع العدوّ له من الاتصال بأمّه؛ الأمر الذي كان سيخفف من معاناته بعض الشيء ، يقول[1]:

حتى الرسالة والرسالة قد تخفف مابية

حرموك يا أماه منها، إنهم لزبانية

ثم يصف كيف قضى بقيّة نهار العيد حزينا في البيت، في الوقت الذي كان الناس فيه يتجوّلون خارج منازلهم، فرحين باليوم السعيد قائلا [2]:

رجع الصديق لأمه، ورجعت للكوخ الصغير

فلزمت بيتي يوم يترك بيته خلق كثير

وسئمت تجوال الشوارع فارتميت على السرير

وفي قصيدته "العيد الجريح" يأسى الشاعر لحال الشعب الجزائري، الذي لم يعد للعيد عنده معنى، ولا للفرح طعما ، فأيّامه غدت دمارا وبؤسا وفقرا يُثقل كاهله ،يقول[3]:

أين زهر يرن فوق يتيم يحض الصخر ظنه حجر أمه

أين حلوى من جائع يتلوى يصل الأمس في الصيام بيومه

أين ومض الثغور في ليلة العيـ د، وفي موطن يتيه بسلمه

من وليد عوت عليه ذئاب الحـ رب ليلا، فشردت طيف حلمه

---

[1] صالح خرفي، "أطلس المعجزات ، ص: 98.

[2] نفسه، ص :98.

[3] نفسه ،ص: 136-137.

من شريد في ظلمة الليل، والليـــل حزيـــن يبكي عليـــه بنجمه

ويواصل صالح خرفي تصوير مآسي الجزائريين الذين حُرِموا من الإحساس بنشوة العيد بقوله[1]:

أين أم يـــحفها السعد نشوى عقـــد أبنائهـــا نظيـــم اللآلـــي

من ليالي أمومة مدهـــا الثكـــل، فعاشت على الضن والهزال

أين طفل ينادي (بابا) و(ماما) فتـــرد الصدى عليـــه الضمـــور

أين شيـــخ تيمموه مع الليـــل وفي الليل كم يعـــــز النصيـــر

إذًا، لم يكن لشاعر أن يفرح بالعيد وشعبه يقاسي ما يُقاسيه ؛ لأنَّ الإنســـان لا تكتمل سعادته وفرحته بالأشياء، إلاّ عندما يتشاركها مع أهله وخلاّنه، فالشـــاعر وإن كان يحظى بتعاطف الناس في القاهرة إلا أنّه لا يحسّ بطعم العيد، يقول[2]:

يـــا بلادي تبسم الناس للعيد فتوجت مبسمي بالوجوم

ومحمد بلقاسم خمّار كان مغتربا في دمشق، ويستكثر على نفسه العيش بعيدا عن المعركة،و دائم اللوم لنفسه ،لأنّه لا يشارك أخاه في الدفاع عن وطنه، مُتســـائلا عمّـــا سيقوله إذا ما تحرّرت البلاد، يقول[3]:

أيثور في أرض الجزائـــر ثائـــر وأنـــا هنا كالصخـــر كالأموات

---

01 صالح خرفي، "أطلس المعجزات ، ص: 138-139.

02 نفسه ، ص: 139.

03 محمد بلقاسم خمّار ،"ظلال وأصداء"، ص: 24 و 25.

أيقوم في أرض الجزائـــر ناقـــم كالليث يـــزأر مرعد النبـــرات

أيصيع بين المؤمنين مـــجاهـــد يدعـــو إلـــى حريتي ونجاتـــي

فأجيبه في الشرق مرتعش الخطا كالشيخ في الركعات والسجدات

فلا ينعم بالشهـــادة إخوتـــي وعلام تمضي في الحنيـــن حياتـــي

وإذا تـــحررت البلاد وجئتهـــا مـــاذا أقول لصانعـــي الرايـــات

لقد حمّل الشاعر نفسه فوق طاقتها؛ فهو و إن لم يحمل السلاح ليدْحر به العدوّ، إلاّ أنّ الجهاد يبقى جِهادَين ،جهاد بالسلاح ،وجهاد باللسان ، وعليه فان الشاعر يكون قد دافع عن وطنه بفكره و قلمه مؤدّيا رسالة عظيمة، معرّفا العالم بقضـــيته ومصـــورا المآسي التي يتعرّض لها شعبه، وبذلك يحصل التكامل بينه و بين آخيـــه الـــذي يجاهـــد بسلاحه خدمة للوطن.وعلى الرغم من ذلك فان الشاعر لم يكتف بهذا النوع من الجهاد في خدمة قضيّته الوطنية ،فشعور العجز يسيطر عليه و يتداخل مـــع مشـــاعر الحنين إلى الوطن، الأمر الذي ولّد لديه إحساسا بالتّيه و الضياع ، فيقول[1]:

وأنا هنا ... أحيا بذكرى

أرنو إلى وطني وفي الأعماق زفرة

وأسير في دربي ... ألوب بلا اتجاه

[01] محمد بلقاسم حمار ،"ربيعي الجريح"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1983 ص: 36.

والشاعر عبد السلام الحبيب الجزائري أيضا كان مغتربـــا في دمشـــق، وفُجِـــع بحوادث الثامن من ماي 1945 ، فاختلطت عنده مشاعر الظلم بمشاعر الشوق والحنين لوطنه، فجاشت نفسه بقصيدته "أين عبد القادر" التي يقول فيها [1]:

إيه يا أمتي ... على البعد أبكيك وقلبي ... على المظالم ثائر
وأنا النائي ... شردتني يد الظلم بعيدا ... لكني لك ذاكر
ليس لي منط غير دمع وشع ر يا بلادي إليك دمعة شاعر
وفؤاد على هواك مقيم ... و ضمير من كل رجس طاهر
و جراح لو تعرفين مداها .. أبد العمر داميات فواغر
أنا طير حرمت من دوحك الوارف و الماء والربى والأزاهر
أعذريني فما نشيدي إلا حشر جات الأسى بها الصدر زاخر

وفي قصيدة أخرى يعبّر عن شوقه وحنينه لوطنه، متسائلا عن موعد عودته إليـــه، يقول[2]:

ملء عيني فـــي شفاهي يـــحيا وطني ملئ خافقي وكياني
أنا فيض في الصبابات والشوق وفرط الحنين والحرمان
أنا بركان لهفة ... ظمأ طاغ ... وسهدئين في الأجفان
يا أنا ... يا جزائر ... غير قلب مخلص الحب مفعم الإيمان
النوى ... جرحي الدفوق مدى العمر فهل بلسم من الشطآن
أبدا ضامئ لنهلة ماء من روابي (شرشال أو تلمسان)
أنا من (قاسيون) أسأل (أوراس هلى يا ترى يحين التداني
أأظل الحياة ناء ... يلوب الشوق بي هائم الرؤى والأماني

---

[01] عبد السلام الحبيب الجزائري "اذكريني يا جزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص :29-30.

[02] عبد السلام الحبيب الجزائري "اذكريني يا جزائر"، ص: 116.

وقال الشاعر متغنّيا ببطولات الثوار [1]:

لك من جوى قبلي وتحنانـــي وروحـــي شـــاعـــريـــا
مـــن وحيـــك الـــجيـــاش سلسلت القوافي والرويـــا
أنـــا للبطولـــة قـــد نذرت ملامـــحي فاصغـــي إليا
عوذت باســـمك بالعروبـــة يـــا جـــزائـــر أصغيـــا
وهزجـــت أشعـــاري فكنت صدى لمن أو حـــرا إليـــا
سيـــر التفانـــي فـــي النضال أضـــا حيا و دمار كيا

[01] نفسه، ، ص: 133.

ولكن انشغاله بالقضية الوطنية لم يُنسِه وطنه فقد ظلّ يحنّ إليه طوال فترة إقامته في دمشق، و يتألّم لفراقه ، يقول[1]:

مرآك يا مجلى الأمانـــي لـــم يكحل مقلتيـــا
ناء أحن الصبح للأرض الـــحبيبـــة و العشيـــا
أنا ما ولدت على ثراك ومـــا نعمت به صبيـــا
لكن بي لهن المشـــوق لأمـــه نادت . ..نبيـــا
يصبي الفـــؤاد يهزنـــي إن مس ذكرك مسمعيا
ويؤزني الشوق الحنـــون لا لثم التراب النديـــا

ظل الشاعر الجزائري يعيش حالة غربة وإشتياق لمراتع صباه حتى بعد الاستقلال، يقول واصفا ذلك ، فيقول[2]:

أحن إليها وشوق عصيب
يمزق أعشار قلبي الكئيب
مجالي الصبا
ربوع الهوى
ومرتع أحلامي فيما مضى

ومازال الشاعر يحتفظ بكل ذكرياته الجميلة التي عاشها في الوطن ،يقول[3]:

هناك تحيا ... بأعماقي تحيا
خيالات ذكرى وأطياف رؤيا
تعانق ذاكرتي
تبرعم في مهجتي
على برزخ البعد والغربة

---

01 عبد السلام الحبيب الجزائري "اذكريني يا جزائر"، ص: 133.

02 عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل"، ص :61.

03 نفسه ، ص :61.

ويعبّر في قصيدة أخرى عن تعبه وسأمه من الحياة بعيدا عن الوطن ،و عن تجرّعه مرارةالبعد والاغتراب بقوله[1]:

حسبنا ما قد لقينا

من تعاسات الزمان

أكؤس الحرمان، ذل الاغتراب

ومرارات الهوان

مذ خلقنا ... منذ بدأ الدهر ... نحن في ارتحال

ويجد الشاعر نفسه كطير كسير ذليل يقضي أيامه وحيدا في غربته ،يقول[2]:

ظمئت وأهوي كطير مهيض الجناح

شريد، كسير

بييداء مقفرة غير ذات صباح

ويبدو أن الشاعر إغترب سعيا لتحقيق أحلامه ؛التي غدت سرابا فأحاط به اليأس ووجد نفسه ذليلا في غربته ،يقول[3]:

نفسي يمزقها الاغتراب

وذل المقام يمنفى العذاب

ويمسخني اليأس، ظلا مهينا

يهرول خلف منى من سراب

وأشعر أني تجردت من عزتي

فقدت الآن، قيمتي، كبريائي

وأصبحت جد حقير، ضعيف

---

01 عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل"، ص: 67.

02 نفسه ، ص: 57.

03 نفسه ، ص: 58.

ويقول متسائلا[1]:

إلام ارتحالي ... وفيم اغترابي

وحتام تبقى أماني شبابي

مشتة باكية

إلام أظل،

حياتي ألم

وجودي عدم

أمالي وطن

كانت المطالب السابقة وقفة على أهمّ أنماط الاغتراب التي تضمّنها النص الشعري الجزائري الحديث في المرحلة الاستعمارية ومرحلة ما بعد الاستقلال ؛و التي تمثّلت في الاغتراب السياسي الذي كان مسيطرا على القصائد في المرحلة الأولى، وذلك تبعا للظروف التي كانت تواجهها البلاد ؛والمتمثّلة في الظلم والقهر والاستبداد المسلّط عليها من طرف القوى الاستعمارية ؛حيث بدا الشاعر الجزائري خير معّبر عن هذه الفترة الحرجة من تاريخ الوطن، مع الاهتمام بقضية فلسطين لدى بعض الشعراء .

وفي مرحلة الاستقلال أخذ هذا النمط من الاغتراب بعدا أشمل؛ إذ عبّر الشاعر عن اغترابه عن الواقع السياسي المتردي في الوطن العربي ككلّ، وبدا أكثر اهتماما ودعما لقضايا التحرر من الاستعمار في العالم ومعارضة الاضطهاد الذي يمارسه الحكّام العرب على شعوبهم ،بالإضافة إلى احتجاجه على تخليهم عن القضية الفلسطينية ،في حين كان الاغتراب الفكري والنفسي أكثر شدّة ووضوحا في القصائد في مرحلة الاستعمار، وذلك نظرا للمحاولات الحثيثة التي كانت تبذلها فرنسا في سبيل اقتلاع الجزائر وشعبها من جذوره العربية الإسلامية بمحاربتها للغة العربية وتشجيع الشعوذة والطُرقية ،وأيضا نشرها للعادات الفرنسية الغريبة عن المجتمع الجزائري، فكان لذلك أثره الواضح على

---

[01] عبد الحميد باشوات ،"زمن الرحيل"، ص: 59-60.

الشاعر الذي ألفى نفسه في وضعية صعبة، يحمل على عاتقه مهمة الإصلاح وسط هـــذا الجو المتخلّف ثقافيا، وكان الأمر يصل به غالبا إلى اليأس عندما لا يجد لصوته صـــــدى أوساط الناس فيخيب في حصد التجاوب ، وهو ما خلّف لديه غربة نفسية قوية تجلّت القصائد المنشورة آنذاك، كما أخذت هذه الغربة بُعداً وجوديا في مرحلة الاستقلال؛ إذ وجدنا الشعراء يتحّدثون عن فكرة الوجود والعدم واليأس والضجر من الحياة ولعلّ ذلك ناجم عن التأثر بالجو الشعري الذي كان سائدا آنذاك في المشرق لدى شعراء الحداثـــة ؛ نظرا لاحتكاك الشاعر الجزائري بالشاعر العربي واطلاعه على الإنتاج الأدبي. إذ أصبح المجال لذلك مفتوحا وأكثر سهولة مما كان عليه أثناء الاستعمار ؛الذي فـــرض حصـــارا ثقافيا على البلاد ومنع دخول الكتب والمجلات العربية إليها.

أمّا الغربة المكانية فكانت النمط الأقل انتشارا ؛إذا ما قورنت بـــالنمطين الســـابقين، إذ كانت القصائد المعالجة للاغتراب المكاني قليلة تمثّلت في قصائد فئة من الشعراء الـــذي غادر معظمهم البلاد باختياره سعيا وراء التحصيل العلمي في العواصم العربية ،وهنـــاك كابدوا الألم والقسوة التي تنتج من الانفصال عن الوطن ؛الذي هو بمثابة الروح للإنسان، فتميزت نصوصهم الشعرية بالشكوى والحنين والشوق للعودة للـــوطن ولقـــاء الأهـــل والخلان،و كثيرا ما كانوا يرجعون بالذكريات إلى ما مضى من أيام آسينا على ما يعانيه الشعب من اضطهاد وظلم، مستمرّين في حمل رسالة الـــدفاع عـــن القضـــية الوطنيـــة والتعريف بها في كل المحافل كلما سنحت الفرصة بذلك وبعد الاستقلال أيضا وُجـــدت قصائد تعبّر عن الحنين إلى الوطن لشعراء وبخاصّة قصائد عبد الحميد باشوات في ديوانه "زمن الرحيل"؛ إذ صوّر الذل والهوان الذي يعانيه المغترب وهو بعيد عن الحنان وطـــن، كما صوّر خيبة آمال المهاجر في تحقيق أحلامه التي غدت سرابا.

كانت هذه وقفة مع القضايا الموضوعية لشعر الاغتراب في الشعر الجزائري ،حيث تعرفنا على مختلف أنماطه، وفي الفصل القادم سنتطرق إلى الجـــانب الفني لهـــذا الشـــعر ،وكيف تم تسخيره في القصيدة الجزائرية الحديثة للتعبير عن الغربة.

الفصل الرابع : تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري الحـــديث : القضـــايا الفنيـــة

سنحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على أثر موضـــوع الاغـــتراب في التشكيل الفني للقصيدة الجزائرية الحديثة، عبر دراستنا لقضايا المعجم الشعري والصـــورة الشعرية والموسيقى، وكيف سخّرها الشاعر للتعبير عن اغترابه.

-أوّلا: المعجم الشعري:

تعدّ اللّغة عنصرا أساسيا في بناء القصيدة، باعتبارها إبداعا يقـــوم أصـــلا علـــى الكلمة، كما أنّ اللّغة ركيزة تقوم عليها بقية العناصر المشكّلة للعمـــل الفني (الصـــورة الشعرية والموسيقى)، ولذلك فإن الحكم على تجربة الشاعر يعتمد أوّلا مدى قدرته على توظيف اللّغة وتفجر طاقاتها وإمكاناتها لنقل انفعالاته الشعورية، فهل استطاع الشـــاعر الجزائري أن يخلق معجما شعريا مناسبا للإفصاح عن اغترابه؟ وهل تمكّن من تطويع لغته الشعرية لتصوير حالات اليأس والقلق والتشاؤم التي انتابته وزعزعت استقراره النفسي؟ وفيما يلي سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات وذلك في مرحلتين: قبـــل الاســـتقلال وبعد الاستقلال.

-1 مرحلة ما قبل الاستقلال:

يلاحظ الدارس للشعر الجزائري الحديث أثر القـــرآن الكريم الواضـــح في بنـــاء المعجم الشعري بخاصّة لدى شعراء جمعية العلماء المسلمين، الذين اتّخذوا مـــن ألفـــاظه مُعينا لهم يساعدهم على تصوير غربتهم داخل الوطن، فلغته "الواقعية في دلالاتها والقوية في تعبيرها، تمتاز بمميزات لا تتوفّر عليها أية لغة معبرّة أخرى، ممّا جعلها تتّسم بالذروة في البلاغة والبيان"[1]، وقد كان اهتمام الشاعر المصلح باللغة العربية والقرآن الكريم نابعا من حرصه الشديد على التمسك بجذوره وهويته العربية الإسلامية،ودعوته إلى إحياء التراث القديم كردة فعل على السياسة الاستعمارية التي كانت تحاول حرمانه من انتمـــائه العربي الأصيل، ولذلك فقد عدّ الشعراء المصلحين"اللّغة أمرا مقدسا؛ لأنّهـــا لغـــة القـــرآن،

---

[1] ناصر بوحجام، "أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (1925-1976)" ، الجزء الأول ،المطبعة العربية ،الجزائر، 1992، ، ص: 130.

فالتجديد فيها أو الخروج عن مقاييس القدماء، أوالثورة على قوالبها يعدّ خروجا على المقدسات"[1]، وعلى هذا الأساس فإنّ قلّة من الشعراء اغترفوا من القرآن الكريم دون التقليد المضِّر بالتجربة الشعرية بحيث حافظوا على أصالة اللّغة مع منح مفرداتها قيما ودلالات تُساير العصر وتعايشه، في حين إنّ الغالبية توجّهت نحو الصنعة المفتعلة والاتّكال على المخزون الديني دون القدرة على إيصال الانفعال الحقيقي ومشاعر الاغتراب للقارئ؛ حيث اتّسمت لغتهم عموما بـ "المباشرة، والتقرير والوضوح، والتجريد، وابتعدت في أغلب حالاتها عن طبيعة لغة الشعر التي تتطلب لغة إيحائية، تصورية رامزة"[2]، تُميّزها عن لغة النثر التي تهدف أساسا إلى الاتصال دون التركيز على الإبداع والجماليات.

فإذا تعرّضنا لتجربة محمد العيد آل خليفة مثلا نجده من الشعراء الذين وُفّقوا إلى حدّ بعيد في استلهام ألفاظ القرآن الكريم مصوّرا من خلالها غربته وعزلته،فنجده مثلا يستخدم عبارة "سراب بقيعة" ليصوّر غدر فرنسا ووعودها الكاذبة، الأمر الذي جعله يرفض الواقع السياسي ويغترب عنه، يقول[3]:

وما وعدهم إلا سراب بِقيعة وما عهدهم إلا مداد بقرطاس

وهو مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[4].

---

[01] عبد الله الركيبي، "الشعر الديني الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 1981، ص: 633.

[02] محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث (1925-1975)"، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت ،لبنان، 1985، ص: 311.

[03] محمد العيد أل خليفة ،الديوان، ص:327

[04] سورة النور، الآية: 38.

وعندما أراد أن يصف الوضع السيئ الذي يطوّق الجزائر وهي ترزح تحت نَيْـــر الاستعمار قال:[1]

أرى الأرض زادت ظلمة فوق ظلمة على أهلها واستوحشت بعد إيناس

وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ... ﴾[2].

وحين أراد تصوير حالة الشعب الجزائري المتدهورة التي وصل إليها مـــن جـــرّاء الانقسام و التخلّي عن الوحدة، قال[3]:

وقعدنا مع الخوالف نخزى بضروب من الأذى ونكاد

وهي اقتباس من قوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾[4].

وعندما أراد أن يصوّر حالة الفقير في الجزائر، الذي حرمه الاستعمار مـــن نعـــم بلاده وخيراتها وظّف لفظة "تُكبكب" ولفظة "الحافرة" وقد وُفِّق في اســـــتخدامها؛ لأنّ القارئ يستشعر من خلالهما شِدّة جوعه وضعفه ، يقول[5]:

ألا تكرمون ألا تنقذون وجوها تكبكب في الحافرة

---

[1] محمد العيد أل خليفة ، الديوان ،ص: 326

[02] سورة النور، الآية 40.

[03] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ص: 118.

[04] سورة التوبة، الآية 87.

[05] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ، ص:251

واللفظتان مأخوذة من قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [1]،ومن قوله تعالى أيضا: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [2].

كما يُعدّ مفدي زكريا من الشعراء الذين تميّزوا باقتباسهم الكثير من القرآن الكريم لفظًا ومعنى، فمثلا عندما أراد التعبير عن القهر السياسي والظلم الذي كان يتعرّض له الجزائريّون من الإدارة الاستعمارية ، قال[3]:

وحاق البلاء وعم العذاب وفي الجيد حبل من المسد

فعبارة "في الجيد حبل من المسد" مقتبسة من الآية الخامسة من سورة المسد، وقد وُفِّق الشاعر في تصوير الوضع دون أن يضطرّ إلى التفصيل، لأنّ في العبارة ما يوحي بالضيق والهوان الذي لحق بالناس.

وإذا انتقلنا إلى تجربة الشعراء الذين لم يوفّقوا في اقتباسهم من القرآن نجد أنّ قصيدة محمد السعيد الزاهري، خير مثال يجسّد عدم استفادة أولئك الشعراء من توظيف المعجم القرآني، إذ إنّهم اهتمّوا في المقام الأوّل بإيصال الفكرة موظّفين لغة مباشرة جافّة ،دون تفجير طاقاتها التي تَشُدّ القارئ، وبالتالي لم تحرّك فيه أدنى عاطفة، فبقي الشاعر بذلك عاجزا عن الإفصاح عن غربته، وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر أن يصف غربة الإنسان المتعلّم بين الناس الجاهلين ، يقول[4]:

لم أجد في الشقاء من هو أشقى بحياة من عالم محروم

---

[01] سورة الشعراء ، الآيتان 94 ، 95.

[02] سورة النازعات ، الآية 10.

[03] محمد ناصر ،"مفدي زكريا ،شاعر النضال و الثورة" المطبعة العربية ،الجزائر ، 1984، ص : 158

[04] صالح خرفي ،" شعراء من الجزائر"، ص :114

لا ولا في متاعب الدهر صعبا مثل نشر العلوم بين العموم

بين قوم عمى البصائر صم ليس فيهم غير الجهول الأثيم

هو في الجهل كالحمار ولكن هو في المكر كالمريد الرجيم

يسمع الحق واضحا مستبينا فيعيه وعي العتل الزنيم

أنا والله عفت فيهم حياتي و بقائي فوق هذا الأديم

فهذه الأبيات عبارة عن مجرّد رصف لمفردات القرآن الكريم (صم، عمي، جهول، الأثيم، الرجيم، الزنيم) بطريقة مباشرة تبتعد عن مواصفات اللّغة الشعرية؛وبالتالي فَشِل الشاعر في إقناع القارئ بغربته وانفعالاته.

وأحمد سحنون يمزج بين المعجم القرآني والآداء العامي، فجاءت لغته أقرب إلى لغة النثر من لغة الشعر، يقول[1]:

رباه لم تبق لنا حيلة وما لنا حول ولا قوة

وما لنا غيرك من عاصم يعصمنا من هذه الهوة

وأصبح مرا كل ما لذ في فمي ولو أنه أحلى من المن السلوى

إذا جن ليل فالبلاء مضاجع وإن لاح صبح فالشتاء مخيم

ومن خلال تتبّعنا لاقتباس الشعراء الجزائريين من القرآن الكريم لاحظنا تفاوتا فيما بينهم، فمنهم من وُفِّق إلى الخروج عن القوالب الجاهزة والجمود، وجعل لغته مستوعبة لمشاعره المغتربة ومنهم من كان اقتباسهم للحاجة دون نقل عاطفته،و هو ما جعل المستوى الفنّي لقصائدهم ضعيفا مباشرا بألفاظ واضحة مُقيَّدة الدلالة، ممّا يوحي بانعدام

---

[1] أحمد سحنون ،ديوانه، ص: 161و 164

التجربة الشعرية الخالصة، وبالتالي فهم لم يُوفّقوا إلى الإفصاح عن غربتهم ونقلها للقارئ.

و إضافة إلى القرآن الكريم وجدنا الشاعر الجزائري في هذه المرحلة يحاكي الشعر العربي القديم بخاصّة شعراء العصر العباسي؛ ليستقي منه معجما يُفصح من خلاله عن غربته بمختلف أنماطها، فمحمد السعيد الزّاهري مثلا يعبّر عن غربته الفكرية بين قومه الجاهلين، بقوله[1]:

أيها العالم الرشيد الذي لم يم حض نصحا دوما لغير رشيد

أنت في أمة تداركها الل ه بلطف كصالح في ثمود

ففي البيت الثاني يظهر أثر المعجم الشعري للمتنبي في شعر محمد السعيد الزاهري، فهو يحاكي قوله[2]:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونجد الشاعر إبراهيم بن نوح امتياز أيضا يعتمد على معجم المتنبي في تصوير غربة المثقّف في مجتمعه الجاهل حيث يقول[3]:

أيعيش الأديب في البؤس رغما لم يجد رحمة ولو بالبكاء

ويعيش الغبي أنعم بالا هناء و صحة و غناء

وهاهو حمّود رمضان أيضا لا يبتعد في معجمه عن معجم المتنبي حين يقول[4]:

فذو المعارف يشقى والبؤس طي ردائه

كم عالم مات غما بصبره و وفائه

وجاهل في نعيم يجول في علوائه

---

[01] صالح خرفي ،" شعراء من الجزائر"، ص:104

[02] الديوان، ص : 22.

[03] محمد الهادي الزاهري "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "، ، ص: 182

[04] صالح خرفي، "محمود رمضان"، ص: 94.

فقد حاكى كلّ من الشاعرين المتنبي في قوله[1]:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وكان محمد العيد آل خليفة متأثّرا لأبعد الحدود بمعجم أبي العلاء المعـــري، فحين عبّر عن شوقه للموت هربا من كدر الدنيا قال[2]:

طال المقام بنا والدار موحشة متى الرحيل بنا من هذه الدار

وقال أيضا[3]:

إلى متـــى أنا ثاو غبراء فيها اغتربت

فالمعجم الشعري في هذه الأبيات لا يبتعد كثيرا عما جاء به أبو العلاء المعري في لزومياته، عندما صوّر سَأَمه من الحياة الدنيا وحنينه للموت والحياة الآخرة ،يقول[4]:

طال الثواء، وقد آن لمفاصلي أن تستبد بضمها صحراؤها

وعندما أراد محمد العيد آل خليفة أن يصوّر غربته الاجتماعية وخيبـــة أملـــه في الناس، الذين يعيش بينهم قال[5]:

قد اكتشفت بأن الداء قربهم فيما اكتشفت وأن الحمية الطلق.

فهنا نجده يُحاكي معجم أبي العلاء المعري في قوله[6]:

بعدي منم الناس برء من سقامهم وقربهم للحجى والدين أدواء

وأيضا عندما قال[7]:

ظننت في الناس خيرا فخاب ظني وخيب

---

01 الديوان، ص: 571

02 محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص: 361.

03 نفسه، ص :364.

04 أبو العلاء المعري ،" لزوم ما لا يلزم" ، 1/ 54

05 محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص: 377.

06 أبو العلاء المعري ،" لزوم ما لا يلزم" ،1/48

07 محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص: 364.

فإنّه حاكي المعري في قوله[8]:

توهمت خيرا في الزمان وأهله وكان خيالا لا يصح التوهم

والشاعر عبد الرحمن العقون عبّر عن غربته السياسية أثناء فترة سجنه محاكيا مالك بن الريب ،يقول[2]:

ألا هل من الوادي الحزين لنا قرب وهل في دياجي البين عن قريتي قرب

مرابع لهوي في صباي عشقتهـا وديار أحباب فؤادي بهـم صـب

فهو يصوّر شوقه لأهله وقريته بعد أن ضاق عليه سجنه وكبّلته ظلمته ،وبتصويره هذا ذكّرنا بمالك بن الريب؛ الذي كان بعيدا عن وطنه ويخشى أن يداهمه الموت في الغربة قبل أن يلقى أحبّته هذا في قوله[3]:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضي أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى مزار و لكن الغضى ليس دانيا.

إضافة إلى الشعراء المحافظين ، هناك شعراء آخرون، في فترة الخمسينات تأثّروا بالمعجم القديم، بخاصّة أولئك الذين عاشوا غربة مكانية، فعلى الرغم من وجودهم بالمشرق إلّا أنهم لم يستفيدوا من تطوّر لغة القصيدة العربية هناك، و لم يستطيعوا التخلّص من سطوة الشعر القديم،فمثلا نجد صالح خباشة يحاكي عمرو بن كلثوم في معلّقته التي مطلعها[4]:

---

[8] أبو العلاء المعري ،" لزوم ما لا يلزم" ، 2/ 383

[02] عبد الرحمن ابن العقّون، الديوان ، ص: 75.

[03] الديوان، ص: 65.

[04] عمرو بن كلثوم ، الديوان ،شرح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ،ط 1، بيروت ،1991 ،ص :.24

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا.

فيقول[1]:

أعاصمة الجزائر خبرينا عن القصباء والمستعمرينا.

نستشفّ من هذه النماذج عجز هؤلاء الشعراء عن ابتداع وخلق معجم شعري خاصّ بهم، يُفصح عن اغترابهم؛ لذلك نزعوا إلى الشعر القديم بصيغه الجاهزة، وهو ما يدلّ على قصور أدواتهم الفنيّة وبذلك لم يكن "للحاضر من هذا المعجم المذكور إلا المضامين المنظور إليها غالبة بلغة القدماء التي تعتمد التقرير، والاقتباس أساسا لها[2]"، ويرى محمد ناصر أن أغلبية الشعراء في هذه المرحلة لم يستطيعوا استثمار التراث الأدبي والاقتداء به في أساليبه البيانية الرائعة، فهم لم يستغلّوا ثراء البلاغة العربية[3]، ومع ذلك وُجدت فئة أخرى من الشعراء (الشعراء الوجدانيون) أكثر إبداعا في التعامل مع اللّغة، أَوجَدت لنفسها معجما ذاتيا خاصا دون الإعتماد على الموروث القديم، وقد انطلقوا من رؤية مفادها أنّ "أساس أصالة الشاعر تكمن في رجوعه إلى ذات نفسه، فإن أولى مظاهر الذاتية والتفرّد تتجسّد في المعجم الشعري الذي يتعامل معه الشاعر و في طريقة تعامله معه[4]"، وبالتالي كان هؤلاء الشعراء أقرب وأقدر من غيرهم على تصوير تجربة الغربة ممّا جعل القارئ يشاركهم هذه المشاعر.

فقد تميّز أمثال: عبد الله شريط، وأبو القاسم سعد الله، ومحمد الأخضر السائحي باستخدام لغة موحية تعتمد التصوير أساسا ، وذلك لأنّهم على وعي بالاختلاف بين لغة الشعر والنثر، وأيضا تميّزت لغتهم بكونها هامسة ومجازيّة أخرجت الألفاظ من إطارها التقليدي المباشر، والتقريري الجاف، كما كان الحال عند شعراء المحافظين وقد كان الشاعر يراعي في اللّغة التي يوظّفها وجدانه ومطالب نفسه المقيّدة بغربتها، فكانت

---

01 صالح خبّاشة ،" الروابي الحمر"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص: 50.

02 عمر بوقرورة،" الغربة والحنين في الشعر الجزائري"، ص: 208.

03 محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث"، ص: 281.

04 محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث"، ص: 233.

الألفاظ تنبع من الأفئدة لتعبّر عن تجربة شعريّة خالصة، ألفاظا تعبّر عن الحـــزن والقلـــق والاكتئاب والنظرة السوداوية للحياة.

فأبو القاسم سعد الله مثلا يعبّر عن غربته النفسية قائلا[1]:

حائر ضل عن الصبح طريقه.

وشعاري ذاب في نار المساء.

والملايين التي مثل هباء.

ويقول أيضا[2]:

في بلدي حيث الضياع والعرق.

وأنفس من العذاب تحترق.

من الحرمان والقلق.

فقاموس الشاعر مكوّن من ألفاظ توحي بضياع الشاعر وسط زحـــام الحيـــاة (حائر، ضلّ، ضياع ، هباء ، القلق).

ويقول عبد الله شريط مصوّرا كآبته بتوظيفه لمفردات متّشحة بالسواد ،وبألفاظ موحية بالحزن والاختناق [3]:

ضقت أم ضاقت الشجون بقلبي. لست أدري إلا دجاي الشقيا.

نبغ ألامي الغزار سخي. وأمر الآلام ما كان حيا.

ومحمد الأخضر عبد القادر السائحي يشعر بالوحدة والضياع ،ويتملّكه الأسى والحنين و الحسرة على زمن مضى كان فيه سعيدا ، يقول[4]:

غيرتني الخطوب والآلام فعلى عهدي القديم السلام.

---

[1] أبو القاسم سعد الله،" الزمن الأخضر"، ص: 235

[2] نفسه، ص:.253

[3] عبد الله شريط ،" الرماد" ، ص:.110-111

[4] محمد الأخضر السائحي، "من وحي الأسى"، البصائر، عدد 50، (20-9-1948)، ص: 5.

فلفظة الخطوب توحي بأثر الزمن وقسوته على الشاعر، إذ إنّه لم يجلب للشاعر إلّا الآلام فغدت حياته خالية من الأمل، يقول[1]:

وبغضت الحياة إني أدركـــ ت مخازي الحياة فهي حطام.

وكرهت الصباح يشرق وضا حا وأغراني بالجلال الظلام.

فالألفاظ في هذه البيات موحية، مصوّرة ليأس الشاعر من الحياة ما جعله يتخلّى عن الشعر في آخر المطاف، فقد غاب عنه الإلهام لشدّة ما يلاقيه من العذاب.

والمتتبّع لدواوين هؤلاء الشعراء يجدها تغصّ بهذه الألفاظ المعبّرة عن الغربة نحو: (الظلام، الليل، الدجى، الوحدة، الضباب، الغـــروب، المســـاء، الأحـــزان، الجـــراح، الشحوب، الآلام، الأشباح، العذاب، القلق، العدم، البكاء، الشقاء).

وقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يُسخّروا مظاهر الطبيعة للتعبير عن انفعـــــالاتهم الشعورية من حزن وقلق واكتئاب ،فعبد الله شريط مثلا يخاطب الليل قائلا[2]:

أيها الليل أنت سر من الغم ترامى على الوجود الكبير.
فيك تفنى لحون كل غريد فيك يذوي ابتسام كل الزهور.
فيك يا ليل تنطفي شعلة الدنيا و تسود رائعات البدور.
هو ذا للغاب قد تمشى به الصمت كما بات ماشيا في القبور.
فغدا هو مسبل في دجاه وضباب من الأسى و الفتور.
كضريح ممدد في فؤادي قبرت فيه فرحتي و سروري

فعندما نقرأ هذه الأبيات نستشفّ أن الليل الذي يتحدّث عنه الشاعر هو ليـــل نفسه التي يئست من واقعها واغتربت عنه، وهو ما تعبّر عنه الفاظ :(الغـــم، يـــذوي ابتسام،تنطفئ ،شعلة الدنيا،الصمت،القبور،ضباب،الأسى،الفتور.)

---

[01] نفسه ، ص: 5.

[02] عبد الله شريط،" الرماد"، ص: 89

ويقول عبد الله شريط في قصيدته "الصيف"[1]:

هو ذا الصيف يا فؤادي ينساب بجنبي مفعما باللهيب.

قد تولى عهد الربيع الذي شاخ سراعا ومال نحو الغروب.

أمّا إحساسه بهذا الفصل ممثّل بقوله[2]:

آه ما أثقل السماء على صدري وما أضيق الفضا بالبيد.

يا ليالي الربيع متن في الشرخ صبايا مكممات الورود.

خنقت عطركن في قلبي الأبكم ريح صفراء تنخر عودي.

أيها ذا الصيف المسربل غما أرق أنت في جفون الليالي.

فالمعجم الشعري مكّون أساسا من مظاهر الطبيعة (السماء، الفضاء، البيد الربيع، الورود، الريح الصيف، الليالي)، وقد انتقى الشاعر هذه الألفاظ ليعكس خيبة آماله بعد أن فشل كما يبدو في تحقيق أهدافه، الأمر الذي جعله رهين الإحباط واليأس والغربة.

وكخلاصة نختم برأي محمد ناصر الذي يعتقد أن "الشعراء الوجدانيين الجزائريين استطاعوا –على تفاوت بينهم– أن يطوّروا اللغة الشعرية في القصيدة الجزائرية، فاستخدموا معجما شعريا جديدا يستقي من أجواء القصيدة الرومانسية التي تدور حول الطبيعة ومشاهدها، وعوالم الذات وما يضطرب فيها من أحاسيس ومشاعر، فابتعدوا بذلك عن المعجم الشعري القديم الذي كان يستمدّ ألفاظه من التراث[3]".وهو أمر جلّي يدركه القارئ للشعر الوجداني الجزائري .

وبعد هذه الوقفة مع المعجم الشعري لمرحلة ما قبل الاستقلال سنحاول التعرف على خصائص المعجم الشعري لمرحلة ما بعد الاستقلال.

---

01 نفسه ،" الرماد"، ص: 107

02 نفسه ، ص : 108.

03 محمد ناصر ،" الشعر الجزائري الحديث"، ص: 345.

2- مرحلة ما بعد الاستقلال:

إن أهم ما يمكن ملاحظته في هذه الفترة،هو انسياق الشعراء الجزائريين وبخاصّة في مرحلة السبعينات إلى التعبير عن اغترابهم ورفضهم للواقع الجديد في الجزائر، والناتج عن أوضاع اقتصادية واجتماعية جديدة عرفتها البلاد، إضافة إلى رفضهم للواقع العامّ في الوطن العربي وما يواجهه من تحدّيات نحو دكتاتورية الأنظمة السياسية، و قضية فلسطين المحتلّة، وهذا كلّه بتوظيف لغة بسيطة، تفتقر إلى المقوّمات الجمالية والفنية المميِّزة للغة الشعر، حتى أننا لا نجد بينها وبين لغة التخاطب اليومي العادي أدنى فرق؛ فمثلا نجد أحمد حمدي يقول:

كدست (فواتير) المآسي فوق جفني..... [1]

أنا حقل قمح ومدفأة.

وخرائط حزن، وفاتورة الخطوات الجريئة..... [2]

.....لا أعرف سر الموت مجانا.

ولا هذا (الديالكتيك).... [3]

...يجادلون الموتى.

في شرعية النظام.

في (ايديولوجيات) المعارضين.... [4]

"و لم يكتف الشعراء بتوظيف المفردات العامية، وإنّما تعدّوها إلى تضمين قصائدهم بمقاطع كاملة من الأغاني والمرويّات الشعبية جريا وراء التقنيات الجديدة؛ التي شاعت في الشعر الجديد، وأصبحت من تقنيات البنية الشعرية في شعر التفعيلة[5]"، وكان

---

01 أحمد حمدي ،"إنفجارات"، ص: 5.

02 أحمد حمدي،" قائمة المغضوب عليهم"، ص: 41.

03 نفسه ، ص: 13.

04 نفسه ، ص: 8.

05 محمد ناصر، "الشعر الجزائري الحديث"، ص: 376.

ذلك سائدا عند معظمهم إن لم نقل كلّهم، فمثلا نجد عمـــر أزراج يصـــف مشـــاعر الاغتراب من خلال مقطع غناء شعبي ضمّنه قصيدته "الهبوط إلى القصبة" ، يقول[1]:

...فغالبني يا بلادي الحنين.

"يا رايح" لبني منصور".

قول لهم خلاه البابور.

وراه في القصبة يتسول.

ونشر أحزانوا من سور لسور".

والشاعر أحمدي حمدي يُفصح عن اغترابه داخل واقع متردّي لم يعد للفقراء فيـــه مكان، ويثور على البرجوازيين، يقول[2]:

نوري لك وين الحق كان نسيته

يا بورجوازي يا وسخ يا ميتة

إن الفقر من أرضنا نحيته

بسلاحنا ، و الحب فارسيته

القهر ما نفعشي.

والحر ما يرجعشي.

حتى يجيب الشمس.

أو النعش.

وهو مقطع من أغنية شعبيّة ضمّنها الشاعر قصيدته، ولعلّ الغرض من ذلك يكمن في وصول الشاعر إلى وجدان المتلقّي وجعله يشعر باغتراب الشاعر عن هذا الواقـــع و رفضه له .

---

[01] عمر أزراج ، "و حرسني الظل "، ص: 38

[02] أحمد حمدي ،"انفجارات " ، ص : 46 و 48

وزينب الأعوج أيضا تضمِّنت قصيدها أغنية شعبية مغربيّة في محاولة للتعبير مـــــن مشاعر الضيق والضياع، تقول[3]:

طريق شحال طويلة يا ويلي.

وليلتي مظلامة علي يا ويلي.

وسفينتي مقواها علي يا ويلي.

والأرياح في راسي هايجة يا ويلي.

إمتى يا خيي، نبراو من هذا الصداع.

إمتى دارنا ترجع بلا لجام.

آش هذا الحصلة في القوم المعمية.

نجمة جافلة وقافية معمية.

كما أنّها ضمَّنت إحدى قصائدها مثلا شعبيا قائلة[2]:

قال، في فمه عظام الموتى.

الذين سقطوا تحت الأنياب بدون شهادة.

"الجنازة كبيرة والميت فار".

سبح في الليل ونام.

في عينيه تذابحت زوايا، طعمها الغبن.

فرأى نفسه مثل غراب، تحت سواده.

يرتجف الأطفال.

والشاعر حمري بحري أيضا يوظّف اللّغة العامية في قصائده فمثلا نجده يقول[3]:

واحد ينعم في فيلة واجنان داير بحذاه.

أواحد يسكن في قربي ويفكر في عشاه.

---

[03] زينب الأعوج، "أرفض أن يدجن الأطفال"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص: 18.

[02] زينب الأعوج، "أرفض أن يدجن الأطفال"، ص: 106-107.

[03] حمري بحري ،"ما ذنب المسمار يا خشبة"، ص: 68.

ويقول أيضا[1]:

الحطاب إيموت ويبقاو احبالو.

كل زمان عيبو عيبو على رجالو.

ومضمون القصيدة صورة عن المضامين التي عالجتها أشعار سنوات السبعينات ألا وهي ذمّ البرجوازيين الذين استغلّوا خيرات البلاد ونسوا حقّ الفقراء في العيش الكريم، وهو ما ولّد غربة الشاعر في ظلّ هذا الواقع الاقتصادي المتردّي

لقد تعمّد شعراء مرحلة الاستقلال توظيف اللّغة العامية في النص الفصيح؛حتّى يكونوا قريبين من لغة الحياة اليومية ،وحتّى يكونوا أكثر واقعية في وصف اغترابهم ورفضهم لبعض المظاهر السلبية في المجتمع ،وقد انعكس هذا سلبا على لغة القصيدة؛التي بدت باهتة و أقرب إلى لغة النثر، هو ما أثّر على التجربة الشعرية ككل.

كما أن المتبّع لشعر الاغتراب في هذه المرحلة يلاحظ غناه بالألفاظ المعبّرة عن الضياع والقلق ،والاغتراب وما يصاحبه من مشاعر اكتئاب ويأس، وقد كانت هذه الألفاظ غالبة على القصائد الحديثة لدرجة تَشابهها،ولعلّ الشعور الموحَّد بالغربة لدى هؤلاء الشعراء جعلهم يكرّرون "مجموعة بعينها من المفردات والصور والتراكيب والأفكار وكذلك أساليب التعبير، وكأنّهم جميعا يترامون عطاشا على نبع صغير وحيد لا ثاني له[2]"، وفيما يلي نماذج لهذه الألفاظ في ديوان مجوعة من شعراء هذه المرحلة.

-1 حمري بحري[3](الجرح، الحزن، وحدي، الغربة، القهر، ثورة، الهم، الشعبي، الضباط، السلطان، الجلاد، الطغيان، الاستعباد، الخيانة، القمع، النفي، الرفض، الضياع، الدموع، الكادحين).

---

01 نفسه، ص: 69.

02 محمد غنيمي هلال، "النقد الأدبي الحديث"، ص: 403.

03 حمري بحري،" ما ذنب المسمار يا خشبة"، ص: 9-10-11-14-44-45-48-51-53-77-78-85-94-102-110-114-117.

-2 عبد العالي رزاقي[1]، (الحزن، عصور الانحطاط، الموت، أزمنة التمرد، الرفض، دولة الجهل، العنف الثوري، ثورة الفقراء، أزمنة الغي، الصراع، ضباط الوزارات الجديدة، مولاكم، المسافر، الخيانة، المرافئ، الملوك، القادة الزعماء، دم العبيد، حرس البلاط، الغربة، الكادحين، الهجرة، المعرضة، السقوط، البكاء، الهزائم، السجان، التمدي، التشرد، الهزيمة).

-3 أحمد حمدي (التوجع، الهم، الحصار، الزيف، عصر الجوع والموت، الجنرالات، الملوك، الزعماء، منع الحلم، الصديد، الوهم، زمن السحق، الموت، الثورة، الأحزان، الجراح، الخيانة، المهانة، الصراع، الجياع، الضيق، القهر، المتمردين، الجند الفراغ، الصراع، مجزرة الأحلام، الانهيار، الوحدة، الآهات، الألم، الرفض، السأم، براكين، الغضب، الرحيل، المساء الكئيب[2]).

-4 زينب الأعوج (الألم، الاختناق، الملاجئ، الشكوى، الجرح الحزن الشهداء، الرفض، الهزيمة المذلة، اليأس، الموت، السجون، الخيانة، الجوع، الفقراء، الغبن، الهم، الملاجئ، الضياع، الشنق، الجمارك، الخوف، الشقاء، المنفى، الهم الدموع، البوليس الحصار، البؤس، السفر، القهر، عساكر الليل، الغريب، الكآبة، البكاء، الدمع، العذاب[3]).

-5 مصطفى الغماري (الحزن، اليأس، الضجر، الغربة السوداء، السأم، الحيرة، الألم، الأسى، الضياع المر، السراب، الأوهام، العدم، مضطهد، الشكوى، الجرح، الدموع، الغضب، الهم، الشقاء، الموت، الصراع، الزيف، الرفض الغدر، التعاسة، الأشجان، القهر، الوحشة، الاختناق، زمن الوحول السود، الزمن المر، الاغتراب[4]).

---

[01] عبد العالي رزاقي ،"أطفال بور سعيد يهاجرون إلى أول ماي"، ص: 11-12-13-1516-17-19-20-23-24-25-27-28-29-32-34-40-41-42-46-49-52-56-58-61.

[02] أحمد حمدي ،"ديوان تحرير مالا يحرّر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 19-20-28-31-33-37-41-46-47-48-55-56-61-62-66-73.

[03] زينب الأعوج ،"أرفض أن يدجن الأطفال"، ص: 11-13-26-27-28-29-34-36-42-51-64-73-74-82-103-114-118-123-128.

وهذه النماذج عيّنة بسيطة لبعض الشعراء لأنّ المجال لا يتّسع هنا للإشارة إلى جميع التجارب، وما يمكن استنتاجه من تكرار الألفاظ نفسها والعبارات الموحية بالحزن الاختناق والضياع هو أنّ الشعراء كانوا يعبرّون من خلالها عن فكرة واحدة هي طغيان مشاعر الاغتراب على نفوسهم بخاصّة الاغتراب عن الواقع السياسي، إذ إنّهم تأثّروا بالأحداث التي كانت تدور في الوطن العربي وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية ؛ التي ولّدت لدى الإنسان العربي إحساسا عميقا بالإحباط والهزيمة، علاوة على انتشار الاستبداد في الحكومات العربية وكبْت الحريات العامة.

كان الشاعر الجزائري رافضا للتوجهات السياسية السائدة في الوطن العربي آنذاك. ولذلك كثرت ألفاظ (البوليس، الملوك، الجنرالات، الضباط، الخيانة، الشرطة، الاستعباد، الجلاد، القهر، الاضطهاد)، كما استخدم الشعراء ألفاظا دالة على السوداويّة والظلام والنظرة المتشائمة للحياة، تعبيرا عن الغربة؛ حيث لا يخفي علينا الدلالات التي يُولّدها اللون الأسود والتي أدّتها ألفاظ مثل (السوداء، البعد الضبابي، الدجى، الليل، الظلام، دهاليز الكهوف، حالك، الرماد، الدم، العتمة، الضارب، الليل، المتلبد، ظلمات، البهيم، السديم، خفافيش الظلام، موحش، مكفهرة، الغروب، الطلاسم).

ختاما يمكن أن نقول إنّ الشاعر الجزائري افتقد في هذه المرحلة خاصيّة التميّز والتفرّد في التعبير عن غربته فمن "الواضح أنّ احتكاك الشعراء الشباب بالشعر المشرقي جعلهم يتأثّرون بهذا الشعر إلى حدّ بعيد، وقد جعل هذا الاحتكاك صورهم ومعجمهم الشعري يتأثر إلى حدود التضمين من شعر هذا الشاعر أو ذاك من الشعراء الكبار[1]"، بخاصّة صلاح عبد الصور ومحمود درويش ونزار قبّاني، والبياتي وبدر شاكر السياب فالقارئ، لقصائدهم يدرك هذا الأمر من الوهلة الأولى، ولعلّ ذلك أيضا راجع إلى طبيعة هذا الشعر الثورية الرافضة؛ التي انسجمت مع نفوس الشباب المتمرّدة الرافضة للواقع

---

[04] مصطفى الغماري ،"أسرار الغربة"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 ، 1982، ص: 37-40-45-46-48-55-67-68-70-75-85-86-87-91-95-122-135.

[01] محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث"، ص: 408.

وبالتالي اتّسم معجمهم الشعري بالمحدودية والضيق، وتخلّفوا عن روح الابتكار والجِدّة. ومع ذلك ،يمكن القول بأنّ الشاعر وُفِّق في هذه المرحلة في إيصال انفعالات نفسه المغتربة للقرّاء.

وبعد وقوفنا على المعجم الشعري في المبحث السابق، و تحديد خصائصه ،سنحاول دراسة الصورة الشعرية في شعر الغربة الجزائري ، على اعتبار أنّ الصورة الشعرية تعدّ ركيزة أساسية من ركائز الشعر .

ثانيا: الصورة الشعرية:

تُعدّ الصورة الفنية من أهم الركائز التي يقوم بها العمل الشعري؛ حتّى أنّ بعض النقاد لا يُعدّ الشعر خالصا مهما كانت درجتة الفنية إن هو افتقر لعنصر التصوير، وقد اختلف مفهومها بين النقد العربي القديم و النقد العربي الحديث، إذ إنّ الأوّل كان يدرس الصورة الشعرية ضمن دراسته للوسائل البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية وجناس وطباق ومقابلة بينما تطور مفهومها في الثاني متجاوزا الطرح الأوّل إذ يرى محمد غنيمي هلال أنّ "الصورة الشعرية لا تُلزم أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد لا تكون العبارات حقيقيّة الاستعمال، وتكون مع ذلك حقيقيّة التصوير دالّة على خيال خصب"[1]، بمعنى أنّه يمكن للألفاظ والعبارات أن تُولِّد صورا معبّرة عن تجربة الشاعر على الرغم من خلوّها من البيان إذا استخدم الشاعر ملكة الخيال. فهل استطاع الشاعر الجزائري في العصر الحديث توظيف صور شعرية نجحت في نقل تجربته النفسية مع الاغتراب؟

1- مرحلة ما قبل الاستقلال: كان القرآن الكريم مصدرا للصورة الشعرية في هذه المرحلة بخاصّة، لدى الشعراء المحافظين، فهو يحتلّ مكانة سامية في نفوسهم،وبالتالي كان أمرا طبيعيا أن يتضّح أثر ذلك من خلال التجربة الشعرية فيما يتعلّق بالصورة الفنية .

فنجد محمد العيد آل خليفة موفّقا في استلهام الصورة الشعرية التي عبّر بها عن غربته النفسية من الآيتين الكريمتين: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[2]، ، فيقول[3]:

---

[01] محمد غنيمي هلال، "النقد الأدبي الحديث"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5، القاهرة، 1971، ص: 437.

[02] سورة الملك ،الآيتان 3 و 4.

[03] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ص: 11.

سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة حوادث لا تنفك مستعرات

أردد طرفي سابرا كنه غورها فيرجع طرفي خاسئ الحسرات

فالشاعر وُفِّق في إبراز إحساس التشاؤم والنظرة السوداوية للحياة ؛والتي نبعت أساسا من تناقضات الحياة، هذه الحياة التي لطالما حاول الشاعر أن يفهم سرّها،ولكنه عجز عن ذلك مَثَلَه مَثَلَ الذي يحاول أن يجد عيبا في ما خلق الله، فيتأمل ويعيد التأمّل لكن دون جدوى.

وعندما أراد محمد العيد آل خليفة أن يعبّر عن ضيقه وتبرّمه من عزلته ، قال[1]:

رماني حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طوال

فعشت به كيونس في سقام لدى قومي، ولكن في انعزال

وهنا استلهام للصورة القرآنية من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[2]، فالصورة القرآنية تعبّر عن حالة الشاعر النفسية بدقّة، فقد أسره الاستعمار وفرض عليه الإقامة الجبرية ،فعانى عذاب العزلة النفسية و الغربة وهو مُقيم في بلاده و بين قومه وذويه.

أمّا مفدي زكريا فيستلهم صورته الشعرية من سورة يوسف معبّرا عن فشل العرب وتخلّيهم عن القضية الفلسطينية، معيبا عليهم تخاذلهم أمام العدو الصهيوني قائلا[3]:

إذ يسط ذئبهم ونحن جماعة إن لفي الأرذلين خسارا

---

[1] محمد العيد أل خليفة ،الديوان، ص: 425.

[2] سورة الصافات ، الآيات من 139 إلى 145.

[3] مفدي زكريا ،"من وحي الأطلس" ، مطبعة الأنباء ، الرباط ، 1976، ص :44

فمرجعه في هذه الصورة هو قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[1].

إضافة إلى القرآن الكريم وجد الشاعر الجزائري المحافظ في الحديث النبوي الشريف مصدرا مُهِمّا يُمدُّه بالصور المعبّرة عن اغترابه ومحنته وما كان يتعرّض له من ظلم وقهر على يد الاستعمار.

فمفدي زكريا يُخاطب المستعمرين واصفا مَكْرَهُم وخداعهم وخيانتهم للعهود بقوله[2]:

ومن يلدغ، فإنا قد لدغنا خداعا من جحوركم مرارا

وهي صورة مقتبسة من قول الرسول صلّى الله عليه وسلم: «**لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرّتين**» [3].

وأيضا محمد العيد أل خليفة يستمدّ صورته من الحديث النبوي الشريف عندما أراد التعبير عن خوفه وقلقه من الفُرقة، و من الشتات الذي أصبح غالبا على الشعب المفَرِّط في وحدته، يقول محذّرًا إيّاهم [4]:

والشاة للذئب سهم إن فرطت في القطيع

وهو إشارة لقول الرسول صلّى الله عليه وسلم:« **يد الله مع الجماعة وإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية** » [5]، فالذئب هو الاستعمار المتربّص بالشعب الذي مثّل له الشاة التي تخلّت عن القطيع.

---

[1] سورة يوسف ،الآية : 14

[2] مفدي زكريا "اللهب المقدس"، ص : 153

[3] أبو الحسن مسلم ،" صحيح مسلم " ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 8 /227

[4] محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص: 175.

[5] محمد بن ناصر الدين الألباني،"صحيح الترغيب و الترهيب "،مكنبة المعارف ،الرياض ،1/ 74

وقد تميّزت الصورة الشعرية في هذه المرحلة باعتماد الأدوات البلاغية ولاسيّما التشبيه وذلك راجع إلى تشبّث الشعر الإصلاحي بمقاييس النقد القديم؛ إذ كان النقاد القدامى يرون في التشبيه جانبا من شرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة، ولذلك جعلوه أَبْيَنَ دليل على الشاعرية، ومقياسا تُعرّف به البلاغة، وأوصى النقاد بأن يطلب الشاعر الحذق فيه، لكي يملك زمام التدرّب في فنون الشعر البياني[1]إضافة إلى استخدام الطباق والجناس والمقابلة ،وغيرها من المحسنات البديعية في تصوير مشاعر الغربة، لكن الملاحظ أنّ اهتمامهم بالصنعة أثّر على التجربة الشعرية، حيث عجزت الصور الفنية التي قدّموها عن الإفصاح الدقيق عن حالة الغربة، فالشاعر كان يسعى إلى الوضوح والتناسب المنطقي بين عناصر الصورة؛مُهملا بذلك أهمّ عنصر ألا وهو الخيال، مع أنّه يعبّر عن مواقف ذاتية تتطلّب العفوية والابتعاد عن البلاغة في بناء الصور حتى تكون قادرة على نقل الشعور الإنساني بالغربة.

فإذا أردنا أن نمثّل لذلك في شعر محمد العيد أل خليفة نجده يشبّه أرباب الهدى أو رجال الإصلاح بالعقبان، وذلك ليُصوّر غربتهم في مجتمع كَثُر فيه الفساد ، يقول[2]:

تطاول أرباب الغواية واعتدوا حدود الهدى تحميهم سطوة الحكم

وأصبح أرباب الهدى دون عاصم غريبين في الدنيا كعقبانها

والعقبان طيور تعيش في الأماكن الخالية.

وشبّه الشاعر عبد الله شريط، الحقّ الذي غاب عن حياة الضعفاء ممّن استبدّ بهم الاستعمار ب "السراب" بقوله[3]:

أيها الحق ذبت بين الليالي كسراب يذوب فوق البيد

والشاعر مبارك جلواح أيضا يوظّف التشبيه ليصوّر غربته بين أقاربه[4]:

---

01 محمد ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس، بيروت، 1981، ص: 64.

02 محمد العيد أل خليفة، الديوان، ص:105

03 عبد الله شريط ،" الرماد " ، ص : 60

04 نفسه، ص :383.

وللقربى بهذا الخلق سم كسم الرقطا بالماء المعين

وأنى الخير يرجى من نفوس كنار الغاز في أدران طين

فالشاعر يُشبّه أقاربه بالأفاعي لما لاقاه منهم من جفاء.

ثمّ يشبّه الشاعر قلوب الناس بالحجر القاسي،فيقول[1]:

قلوب الناس كالصوان أقسى لغير الفأس لم تسمح بلين

والشاعر محمد العيد في تصويره لغربته النفسية يعمد إلى توظيف الطباق حتّى يُفصح عن التناقضات التي تجتاح نفسه، يقول[2]:

يا ليل طلت جناحا متى تريني الصباحا

أمسى علي حراما ما كان منه مباحا

قد ضقت بالهم ذرعا وما وجدت انشراحا

ومبارك جلواح يوظّف الطباق ليصوّر إحساسه بالزمن ويأسه من الحياة، يقول[3]:

قد أدبرت عني الحياة وأقبلت نحوي المنية وامّحي التأميل

كما أنّه يوظّف المقابلة أيضا ليعبّر عن غربة الأديب الفكرية ،يقول[4]:

وعليم في خطاه عاثر وجهول سالم الخطوات

وأديب في مناه خائب وبليد ظافر بالأمنيات

فالشعراء في هذه المرحلة جعلوا من هذه الجوانب الشكلية هدفا وأساسا في بناء صورهم الشعرية على حساب الخيال والشعور، وهذا ما أعاقهم عن توصيل مشاعر الاغتراب، حيث جاءت الصورة الشعرية في الغالب باهتة، لأنّ الشاعر لم يُضف عليها من إحساسه.

---

[01] عبد الله شريط ،" الرماد " ، ص :.382

[02] محمد العيد أل خليفة الديوان، ص: 45.

[03] عبد الله الركيبي، "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار" ص:441

[04] نفسه ، ص :422

لكن الصورة عرفت في أواخر الأربعينات والخمسينيات تطوّرا واضحا، إذ أصبح الشعراء أكثر ذاتية وصدقا في نقل واقع الغربة، مع ظهور التيار الوجداني أو الرومانسي، فقد جعل الشاعر الرومانسي من الصورة فيضا نابعا من وجدانه، و لم يحاول التـــدخل في خلقها بفكرة الواعي، متأثّرا في ذلك بالشعر المهجري وجماعة أبولو وبأبي القاسم الشابي خاصّة.

فإذا اقتربنا من الصورة الفنية في شعر محمد الأخضر السائحي وجدناه يركّز على جزئيات دقيقة يصنع منها صورة متكاملة ومتناسقة ،مثال على ذلك قوله[1]:

أنا والشمعة لم يدر كلانا ما الهجوع.
كلما حدقت فيها ذاهلا تذري الدموع.
تتلاشى في هوى الليل، وأفنى في خشوع.
نارها شبت على الرأس، وناري في الضلوع.
فإذا أصعدت أنفاسي، تهاوت في خضوع.
هكذا تمضي لياليا ارتعاشات تروع.
نرقب الفجر، ولكن ليس للفجر طلوع.
فضحاياك تراهم، شعراء وشموع.

فبمقارنة الشاعر بين حالته وحالة الشمعة استطاع أن ينقل لنا الغربة النفسية التي يعيشها.

و عبّر عبد الله شريط عن شعوره الحاد بالاغتراب قائلا[2]:

يا غروب الحياة في قلبي الدا مي كصخر يذوب بين ضلوعي.
أنا من كنت في انتظار شروقي كيف أمسيت في الغروب المروع.
ونجوم الأحلام في أفقي النائي تدلت كواجمات الدموع.
والسنون العرجاء تزحف بالنسيان عن ذكريات أمسي الصريع.

---

01 محمد الأخضر السائحي ،"همسات وصرخات"، المطبوعات الوطنية الجزائرية ، الجزائر، ط 1، 1965 ص: 50.

02 عبد الله شريط ،"الرماد"، ص: 126.

في رمال حمراء تأكل من قلبي تروي من شعلتي ونحيبي.

فالشاعر هنا ارتكز على خياله الذي أسعفه في ابتكار مجازات صوّرت غربته بطريقة دقيقة.

ويقول في قصيدة بعنوان "القلق"[1]:

خدعة أنت يا حياة ولكن لست أدري على ما يبكيك فني

شاخ في صدري الغناء وأمسى شوك هذا النسيم يجرح لحني

وابتسام الأنام أملس كالأفعى صديدا يذوب من قرح جفني

يا عروس الحزن المغلف في قلبي أما آن أن يزاح حجابك

والشاعر هنا يربط بين الموصوفات بعلاقات مجازية لنقل مشاعر القلق (سراب النار، أرجوحة الليالي، أدمع الجوع، شاخ الغناء، شوك النسيم، اللحن المجروح، ابتسام أملس كالأفعى).

وتميّز الشعراء الوجدانيون بعنايتهم الواضحة بصورة الطبيعة في بناء صوّرهم الشعرية وجعلوا من الحيوان معادلا موضوعيا لحالة الغربة التي يعيشونها ،كما أنّهم جعلوا من مظاهر الطبيعة وسيلة للتعبير عن انفعالاتهم الحزينة، بل إنّها أصبحت تشاركهم إحساسهم الحادّ بالقلق والاكتئاب.

فالشعراء الوجدانيون أُولعوا "بمخاطبة الطيور حين يُصدمون في تجاربهم الخاصة، أو حين يحسّون بضغط المجتمع، فيفرّون إلى البلابل أو العصافير يبثونها أحزانهم ويشكون إليها ما يشعرون به من ألم، ويقارنون بين حالهم وحال الطيور التي تغني، أو تعاني من السجن في الأقفاص"[2].

---

[1] عبد الله شريط ،"الرماد"، ص: 82.

[2] عبد الله ركيبي، " الشاعر جلواح من المجرد إلى الانتحار"، ص: 151.

ففي قصيدة صالح خبشاشه "يا طائر" يناجي الشاعر طائرا حزينا، ويربط بين حزنه وحزن الطائر، فيقول عاقدا مقارنة بينه وبين الطائر مفصحا من خلالها عن غربته[3]:

تبكي وأبكي والشجون عريقة وأنا وأنت الفاقدان جناحا
وأنا وأنت النائحان على الحمى وأنا وأنت المثخنان جراحا
فحماك داسته البزاة بمخلب وحمايَ أضحى للقساة مراحا
وبنوك داسهم الزمان بنعله وبني أعدمهم هدى ونجاحا

فالطائر إذًا حزين مثل الشاعر على ضياع وطنه وعلى أبناء جنسه ولكن الاختلاف يكمن في امتلاك الطائر للحرية في حين إنّ الشاعر مُقيّد، يقول[2]:

لو كنت مثلك مطلقا حرا لما ضيعت وقتي حسرة ونواحا.
لكني يا طير موثق أرجل ومكمم لا أستطيع صراحا.

وفي قصيدة لجلواح " البلبل المجندل"، نجد أنّ الشاعر جعل هذا الحيوان صديقا يبوح له بما يُقاسيه من ألم وضيم ،يقول[3]:

هات أبسط القول عما قد تكابده فإنني لك قد أفرغت آذاني.
لا تفرقن لكوني امرء بشرا إني كمثلك مكلوم الحشا عاني.
ومن رماك بهذا الخطب برثنه هو الذي قد رمى قلبي وجثماني.

ويواصل الشاعر واصفا حال البلبل الحزين ذاكرا ما مضى من عهود كان فيها سعيدا فكأنّه يُسقط ذلك على نفسه ويتأسّف على أيامه الخوالي.

وفي افصاحه عن غربته وهو في باريس،يستخدم "الورقاء" وهي نوع من الطيور فيُحمّلها ما يختلج بداخله من مشاعر الشوق والحنين والحزن على فراق الوطن ،يقول[4]:

---

[03] مجلّة أمال، "شعر ماقبل الاستقلال "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1962 ، ص :66.

[02] مجلّة أمال، "شعر ماقبل الاستقلال "،ص :66

[03]عبد الله ركيبي، " الشاعر جلواح من المجرد إلى الانتحار" ،ص: 373.

[04] نفسه ، ص :454.

باتت تناجيك خلف اليم في الغمم ورقاء حيد بها عن ورودك الشبم.

مشتاقة لرباك النضر آيسة من أن تراها ولو في هدئة الحلم.

نهرية اللحن والوجدان قد لفظت راح الصروف بها في موطن العجم.

ترنو فترسم أيدي الذكريات على أذهانها صور الأسراب والأكم.

فترسل النوح لكن لا مجيب سوى خرير دمع من الأجفان منسجم

إضافة إلى الحيوان وظّف الشاعر الطبيعة، فكانت مظاهرها من ليل وبحر ونهر مكوّنا أساسيا لمعجمه السخي، مُلقيا عليها ما في ذاته من أحزان وآلام تصف لنا غربته.

فأحمد سحنون مثلا في قصيدته "مناجاة البحر"ومن خلال محاورته ينسب إلى البحر ما يعتري الشاعر من حزن وألم تسبّب في عبوسه وبكائه،يقول[1]:

ماذا بنفسك قد ألم أيها البحر الخضم.

نام الخلائق كلهم وبقيت وحدك لم تنم.

وأرى العبوس على محياك الجليل قد ارتسم.

وأرى أنينك صاعدا في الجو دوى في الأكم.

فكان موجك وهو يعثر بالصخور إذا اصطدم.

دمع جرى من موجعفقد التصبر فانسجم.

إنّ الشاعر يعكس دواخل نفسه على البحر، فهو إن كان ينسب هذه الصفات الإنسانية للبحر إلا أنه في الحقيقة يعبّر عن واقعه الكئيب، وهو ما تؤكّده الأبيات المتبقّية من القصيدة ، يقول:

أتضج من عبث السياسة كم أباد وكم هدم.

ومن المعمر إذا طغى و من المسيطر إذا ظلم

والشاعر مبارك جلواح يستعين بصورة الطبيعة المضطربة؛لينقل بها انفعالات نفسه الحادّة وهو مغترب في باريس، يعاني من التمييز والعنصرية، يقول[2]:

---

[01] أحمد سحنون، الديوان، ، ص: 32.

[02] عبد الله الركيبي ،" الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار" ، ص: 439

يا ليل أين الالتجاء، يا ليل الريح تعصف، والعهاد يسيل.
والبرق يلمع في السحاب ويختفي والرعد يقصف والغصون تميل.
والشهب وسنى حيث غيب نورها للسحب عنا في السماء منديل.

فسواد الليل وعصف الرياح، ولمعان البرق في السحاب وقصف الرعـــد، وميلان الغصون وغياب نور الشهب تعطي انطباعا بالسوداوية وتجسّد مشاعر الحزن والرعـــب.

والشاعر أبو القاسم سعد الله يتّخذ من صورة الغروب وما تخلّفه من ظلام وسيلة معبرّة عن واقع غربته خارج الوطن، يقول[1]:

يا نجمة الغروب
يا من تخدرين الأفق بالأحزان والشحوب
وترسلين عبر قرية نحيب
وموكبا من الحداد والبكاء
رفقا بقريتي هناك في الرمال
فإنها حطام ذكريات
مشت على رفاتها الرياح
فأصبحت يا نجمة الغروب
أغنية تحبها الأحزان
وتستعيدها مساء كل عيد
في سمع طفل طوح الفراق
به، عن أمه...أبيه...والرفاق
عن حبه...وهمه البعيد.

ويقول أيضا:[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص: 360 361

[2] نفسه ، ص: 326 و 327

أطارد الأشباح في الظلام

تصطادني الأشباح في الظلام

أرى النجوم تبتعد

أرى الصباح ميتا، قتيل

عيناي تنظران...تجمدان

يداي...تبحثان...تقنطان

وأسمع الأصوات حشرجات

أتيه في الضباب

أغوص في العذاب

والشاعر محمد بلقاسم خمّار أيضا يعتمد صورة الظلام معبّرا عن غربته وهـــو في دمشق ،يقول[1]:

الناس يختفون هاربين

والشمس في ارتعاش تنسحب

لا تتركوني خلفكم وحيدا

ألوب في الظلام...لا أرى...

يلوكني الإعياء.

فالألفاظ التي وظّفها الشاعر (الناس يختفون، الشمس تنســـحب، لا تـــتركونني خلفكم،وحيدا، ألوب في الظلام) تؤكّد الصورة الكلية لمشاعر الغربة التي تحيط به ومـــا نتج عنها من مشاعر الوحدة والخوف والوحشة .

ويظهر تأثّر الشعراء بأبي القاسم الشابي في الرجوع إلى صوّر الطبيعة خاصّة عبد الله شريط ، يقول[2]:

---

[1] محمد بلقاسم خمّار ،" ظلال وأصداء"، ص: 102.

[2] عبد الله شريط ،"الرماد"، ص: 89.

أيها الليل أنت ستر من الغم ترامى على الوجود الكبير.
فيك تفنى لحون كل غريد فيك يذوي ابتسام كل الزهور.
فيك يا ليل تنطفئ شعلة الدنيا و تسود رائعات البدور.
هو ذا الغاب قد تمشي به الصمت كما بات ماشيا في القبور
فغدا وهو مسبل في دجاه و ضباب من الأسى والفتور.
كضريح ممد د في فؤادي قبرت فيه فرحتي وسروري.

إنّ الليل الذي يصوّره الشاعر هو ليل نفسه المكتئبة؛ التي طفت عليه مشاعر الغربة واستبدّت بها ، وقد استلهم الشاعر صوره من الصورة الشعرية التي وظّفها الشـــــابي في قصيدته " أيّها الليل" والتي يقول فيها [1]:

أيها الليل يا أبا البؤس والهو ل، يا هيكل الحياة الرهيب.
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب، تصلي بصوتها المحبوب.
فيثير النشيد ذكرى حياة حجبتـــ، ها غيـــوم دهـــر كئيب.
وترف الشجون من حول قلب ي بسكون، وهيبة، وقطوب.
أيها الليل أنت نغم شجي في، شفاه الدهور، بين النحيب.
تتلوى الحياة من ألم البؤ س، فتبكي بلوعة ونحيب.
وعلى مسمعيك، تنهل نوحـــا، عـــويلا مُـــرًّا شـــجون القلوب.
وأرى في السكون أجنة الجبار، مخضلة بدمع حبيب.

*** التشخيص:**

---

[1] أبو القاسم الشابي ،"أغاني الحياة"، ص: 75 76.

لقد تميّز الشعر الوجداني باعتماده الصورة التشخيصيّة؛حيث أدرك الشاعر دورها في نقل التجربة الشعرية،وأثرها الواضح في الإفصاح عن مشاعر الاغتراب، يقول عبد القاهر الجرجاني بخصوص التشخيص: "فإنك لترى الجماد حيّاً ناطقًا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعني الخفية بادية جليّة"[1]، فالتشخيص هو توليد ذهني لما سبق إدراكه بالحواس، ويكون ذلك باللّغة المجازية، ويظهر ذلك جليّا في تجربتي:جلواح وعبد الله شريط.

يقول مبارك جلواح[2]:

إنّي سَئِمْتُ من الوجُود ومن حُمقِ المَسَا و غَبَاوَة البُكْرِ.
وسَئِمْتُ من كَيْدِ الحَياة ومن إحْنِ القَضا وضَغَائن القَدَر.
وسَئِمْتُ من هُزْءِ الرَّجاء ومن هَزْلِ المُنى وتَهَاوُن الضَّجَر.
وسَئِمْتُ من عَبَثِ الشَّبِيبَة بي وعُبُوس ذَاكَ الشَّيب للبَصَر.

فالوجود، والمساء،والصباح الباكر، والحياة، والقضاء والقدر والرجاء والمنى، والضجر والشباب والشيب، كلّها أصبحت في نظر الشاعر مبعثا للسأم والملل واليأس، ولذلك نفث فيها من روح الإنسان و أسبغ عليها من صفاته: الحمق، الغباء، الكيد، الكراهية، الهزل، السخرية والعبث والعبوس؛ ليجعل الصورة أكثر حيوية وأقدر على الإفصاح عن غربته.

ويقول عبد الله شريط [3]:

وأَرَى اللَّيل قابِضا بِيدَيه عُنُقَ الكَون بَارِدا كالحَمَام.
جاءَ كاليأسٍ ساكِتا يتَمشَّى مُثْقَلَ الخَطْو في فُؤادِي الدَّامي.
في حَشَاه البَعِيد يَبْتَلِع الدُنْيا فَتَخْفى في جَوفِه المُتَرَامي.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ،"أسرار البلاغة"، تحقيق محمد الفضالي ، المكتبة العصرية ،صيدا ،ط 1 ، 1998

[2] عبد الله الركيبي، "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، ص :401

[3] عبد الله شريط ،"الرماد"، ص: 84

فالشاعر يجعل لليل أرجلا وأيديا، كالإنسان، يقبض بها على الكون بقوة، ليجعله خاليا من الحياة والأمل، يبتلع المخلوقات في جوفه؛ فإحساس الشاعر بالغربة والكآبة جعله يصوّر الليل بهذه الطريقة.

وقريب من هذا المعنى قوله[1]:

لَكِنَّ الصَفْو أيُّها اللَّيلُ أنَّي في حَيَاةٍ دُجَاك بَعْضُ بِلاهَا.

بِرِدَاكَ البَغِيضِ غَطَّيتَ دُنيانَا وَ رَوَّعْتَ أَمْنَها ومُنَاها.

فالليل إنسان يلبس رداءً داكنا يحجب به دنيا الشاعر قاتلا بذلك أحلامه وأمانيه ومبقيّا إيّاه حبيسا لليأس والأسى.

وتعبيرا عن غربته السياسية في السجن يصوّر الشاعر مبارك جلواح القضاء إنسانا خائنا رمى به في السجن على غفلة منه،يقول[2]:

وسِجْن رَمَت بي في دُجاهُ يدُ القَضا على غَفْلَةٍ مِنِّي ولسْتُ بِمُجرِمِ.

وعندما يصوّر إحساسه الشديد بالحزن و الغربة في قصيدة كتبها رثاءً لوفاة صديقه، جعل من الزمان إنسانا أعمى، يقول[3]:

ويا صَاحِبِي قَد بِتُّ بَعدَك كالحِذا برِجْل زَمَان باتَ في سَيْره أعْمَى.

يَدِبُّ على شَوكِ الكَوارِث بِي ولَم تَنَلْ شَوكَتِي منه سِوى أُذُن صَمَّا.

وتميّز عبد الله شريط بخياله الواسع إذ جعل من الصيف شيخا هرما، ومن ليالي الربيع صبايا خنقتها الريح، ومن المساء إنسانا حزينا يَجُرُّ خُطاه، ومن النجوم دموعاً ضائعات، يقول[4]:

هُو ذا الصَّيفُ يا فُؤادي يُطَلُّ اللَّفْحُ من وَجْهِه اللَّهِيثِ الجَهِيد.

---

01 نفسه، ص: 87.

02 عبد الله الركيبي، "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، ص: 394

03 نفسه ، ص: 286

04 عبد الله شريط ،"الرماد"، ص :107 ــ 109

تَتَدلَّي الأيَّامُ من رَأسِه الأشْيَب شُعْثا كمَيِّتاتِ الجَرِيد.

يا لَيالِي الرَّبيع مُتُّـــن في الشَّـــرْخ صَـــبايا مُكَمَّمـــات الوُرُود.

خَنَقَت عِطْرَكُنَّ في قَلْبي الأبْكَم رِيحٌ صَفْراء تَنْخَرُ عُودي.

أيُّها ذا الصَّيفُ المُسَرْبَلُ غَمًّا أَرَقٌ أنْتَ في جُفُون اللَّيالِي.

والمَساءُ الحَزِين أَدْمَيتَ رِجْلَيه وأَثقَلْتَ خَطْوَه بالرِّمَال.

ما لْتلْك النُّجُوم في أُفُقِـــه النـــائِي تـــدَلَّت كَضَـــائِعات الدُّمُوع.

ما لأيَّامِنا تَزَّاحَفُ رَزْحَى وعَلَيها كالكَفَن بِيضُ الدُّرُوع.

وبذلك أجرى الشاعر أحكام العاقل على غير العاقـــل فمـــن خلال الصـــورة التشخيصية وعن طريق تكثيف الصور الجزئية المتلاحقة تشكّلت صورة متكاملة عن غربة الشاعر، ويأسه من الحياة.

ومحمد بلقاسم خمّار أيضا يعتمد التشخيص في قصيدته أشـــواق ليعبّـــر عـــن أحاسيس الوحشة والخوف والوحدة والبؤس وهو غريب في دمشق، يقول[1]:

وَطَني تَرَكْتُكَ مُرغَمًا ، وتَرَكْتُ فيك سَعَادَتي.

ورَمى الزَّمَانُ بمُهْجَتي كالوَّيل في قَعْرِ البَوَادِي.

حيْثُ التَّعَاسَةُ كالظَّلامِ تُثيرُ آلامي وبُؤسِي.

ولَظَى السَّرَاب، وَوحْشَةُ الأفَاقِ تَلْهَثُ كالصَّوَادِي.

---

[1] محمد بلقاسم خمّار، "إرهاصات سرابية"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط 1 ، 1986 ،ص: 91.

وأنا الغَريبُ بِوحْدَتي بالخَوفِ تَمْضَغُني اللَّيالِي.

وكخلاصة لما سبق، نقول إنّ الشاعر الوجداني اهتم بالصورة الشعرية ؛ذلك أنّه جعل من التجربة والانفعالات الشعورية الذاتية أساسا في التجربة الشعرية، فتميّزت الصورة بالصدق والحيوية، وبالقدرة على نقل مشاعر الغربة بصورة واضحة وأهمّ ميزة طبعت الصورة هي اهتمام الشاعر بالخيال والعاطفة في بنائها.

-2 مرحلة الاستقلال:

لاحظنا كيف كان الشاعر الجزائري في مرحلة ما قبل الاستقلال يهتم بالفكرة والمعنى ويركز في بناء صوره على النواحي البلاغية وتناسبها مع الناحية العروضية على حساب الخيال؛ ذلك أنّه كان متأثّرا بالنقد القديم، ممّا جعل عنصر التصوير في هذه المرحلة ضعيفا وغير قادر على تبيان مشاعر الاغتراب بصورة دقيقة، في حين إنّ الشاعر في مرحلة الاستقلال أدرك أن الصورة الشعرية هي العنصر الجوهري للشعر، فتجاوز الصورة البلاغية المقتصرة على التشبيه والكناية والاستعارة، واهتمّ بعنصر الخيال،ما أنّه ابتدع وسائله الفنية التي ساعدته في تصوير غربته نحو الاستعانة بالرمز والأسطورة.

كما أنّ طريقته في الإفصاح عن مكنونات ذاته وانفعالاته أصبحت غير مباشرة، فالصورة في هذه المرحلة غدت مرادفة للتجربة الشعورية؛ولهذا كانت أكثر نجاحا في تصوير غربة الشاعر وأكثر تأثيرا في المتلقّي لشعرهم.

والملاحظ في شعر السبعينيات كثرة الصوّر؛ "التي يتفجّر منها إحساس هؤلاء الشباب بالحزن والضياع والاغتراب والقلق،أو الإحساس بالملاحقة والاضطهاد والكبت"[1].

ففي قصيدة "الإبحار عبر متاهة الصفر": لعبد العالي رزاقى تواجهنا صورة شعرية تكشف عن إحساس حادّ بالاغتراب والضياع، يقول[2]:

أَدُور أَدُور

---

[01] محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث"، ص: 534.

[02] عبد العالي رزاقى،" الحب في درجة الصفر"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1973 ،ص: 27.

في خَلَجاتِ أيَّامي الشَّقية.
وفي مَرايا الصَّمْت والمَنْفى.
وحِيدا.
أرْتَمي في لُجَّة الأحْزان.
في دَوَّامة التَّخْمِين.

في أيْقُونَة التِّجْوال.
وحِيدا.
في عَقَارِب ساعَة عَمْيَاءَ.
أغتَالُ الدَّقَائِقَ والثَّوانِي.
أجُرُّ الحُزْن.
أشْربُ وَقْعَ خُطُواتي.
أُلُمُّ الصَّمْتَ.
أَمضَغُهُ.
. **وأُبْحِرُ في عُبَاب الصِّفْر.**

لقد وُفِّق الشاعر في توظيف صور متتابعة ومكثّفة، نقل من خلالها إحساسه بضياعه في تفاهة الحياة، وعبر عن ذلك بـ: الدوران في الأيام الشقية،و بالارتماء في لجّة الأحزان، الدخول في دوّامة التخمين، الوحدة، النظر في عقارب ساعة عمياء، جر الأحزان

أما عمر أزراج فيعبّر عن اغترابه بتوظيفه لصوّر تدلّ على العبث والعدمية
واللّاجدوى ، يقول[1]:

... سَأدْفِن وجْهِي بتِلكَ الحَقِيبة.

[01] عمر أزراج ،"وحرسني الظل"، ص: 32.

وأنْتَظر الصَّمْتَ تُومئ لي ساعِداه.
فأمْشي إلى جُزُرِ الوهْم، أجْلِسُ بين جَناحَي مَلاَك.
وأحِبُّ جنِّيةً لا تُحبّ.
وأقرأ من دفْتَر الاغْتِراب.
حَكايَا فُؤادِي البَعِيد.
لسَاعِي البَريد.
لِيُرجعَني خِلْسَةً للمَدِينة.
فَأسكُنُ في سَلَّة المُهْمَلات.
على بَابِ قَصْرٍ الحُكُومة.

وتجسّد أحلام مستغانمي إحساسها العميق بالضياع في مجتمع يضطهد المرأة ويحرمها من حقوقها ويعاملها باحتقار، في صورة السفينة؛ التي تترامى بها الأمواج في بحر الحياة، فوظّفت تعابير: الأمواج، العواطف، الشراع الممزق، المركب الضائع مفصحة بها عن تمرّدها وتنكّرها لهذه القيم التي تحطّ من قَدْر المراة، تقول[1]:

... مَازِلْتُ يا رَفِيقَتِي.
أُصَارِعُ المِياه.
مَنهُوكَةً سَفِينَتِي.
لكنَّها بقُوة الإلَه.
سَتَقْطَعُ البِحَار، وتَهْزِم المُؤامَرة.

و أصبح الشاعر في هذه المرحلة يميل إلى الغموض في بناء صوره الشعرية، وهذا أمر مرتبط أساسا بمفهومه لمصطلح الصورة، فالشعراء الشباب كانوا يركّزون على الغرابة، ويشترطون المفاجأة والدهشة ويرفضون المباشرة، لكن ذلك أثّر على النص الشعري؛حتّى أنّنا نشعر أحيانا بالعجز عما يريد الشاعر قوله فالقصيدة تصبح أشبه

[01] أحلام مستغانمي ،"على مرفئ الأيام"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972 ص: 90.

بالطلسم نتيجة لتلاحق الصور دون خضوعها لمنطق العقل الذي يساهم في وضـــوحها وتناسقها، ولعلّ هذا الغموض راجع في أساسه إلى اضطراب نفسية الشاعر، الواقعة تحت سلطة الاغتراب عن الواقع، فالصورة أساسا هي تجربة نفسيّة يحاول الشاعر إخراجها إلى الوجود الأدبي والفني، معتمدا في ذلك إمكاناته العقلية والفنية ؛فالصورة " تجربة نفســية يعيشها المرء وتكشف عن باطنه الخفي"[1].

وقد دفع الغموض هؤلاء الشعراء إلى اختراق ما هو طـــبيعي في قـــوانين اللغـــة العربية، فاستعانوا باستعارات معقدة نحو: (أصير مدينة – يتشعّب شـــعر الحلـــم علـــى جسدي – مقهى – يهرب صوتي وفي يصير دروبا، صفوف نخيـــل- أحلـــب ضـــرع المسافات – انطفأ الماء – يجلس الغيم خلفي – سجون الوجوه الذليلة – حزن الشجر – يرضع ثدي المطر – ترتعش السنون – يورق في ضلوعي الشوق – يخضر البكاء)، وهنا نستشف تعمُّد الشاعر ربط الصور فيما بينها برباط غير مفهوم، كما يتضح لنـــا مـــن خلال توظيفه لهذه العبارات اضطراب مشاعره وتوتّرها، وكذا رفضـــه لواقـــع الحيـــاة المعاصرة وما تفرضه عليه من قلق واكتئاب.

و أصبح الرمز من الأدوات الفنية الأساسية في تشكيل الصورة الشـــعرية، فقـــد أدرك الشاعر ما يحويه مكنونه من طاقة إيحائية كبيرة تزيد في غنى العمـــل الشـــعري، وتجعله أبعد ما يكون عن الوضوح والمباشرة في الإفصاح عن المشاعر والأفكار، هـــذا لا يعني أنّ الشاعر في المرحلة السابقة لم يوظّف الرمز، وإنّما كان "بسيطا، ســـهل الإدراك عند محمد العيد والسائحي، وصالح خرفي، وغيرهم من الشعراء التقليدين والســـبب في ذلك أنّ هؤولاء الشعراء لم ينظروا إلى الرمز بوصفه صورة فنية بقدر ما كانوا يهـــدفون إلى تجسيد أفكارهم أمام أبصارنا في قالب أقرب ما يكون إلى الرمز، وإن شئنا هو شبيه بالكناية"[2].

---

[01] محمد غنيمي هلال ،"النقد الأدبي"، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط 5 ، ص :433.

[02] الوناس شعباني، "تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى 1980"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988،ص :45

وما من شكّ في أنّ الرمز اللغوي كان تعبيرا عن المشاعر والأحاسيس التي يرغب الشاعر في الإفصاح عنها، ومن ثَمَّ كان تعبيرا صادقا عن تطوّرات الحياة السياسية والاجتماعية التي واكبها الشعراء"، في مرحلة ما بعد الاستقلال.

فنجدهم مثلا يميلون وبكثرة إلى توظيف الأعلام سواء أكانت أشخاصا أم أمكنة تلاءم حالاتهم الشعورية المغتربة، فعبد العالي رزّاقي يُكثر من الاستعانة بالشخصيات التاريخية المعروفة برفضها للواقع وتمرّدها عليه، ومحاربة الظلم والاستبداد أمثال (الشنفري – أبي ذر الغفاري، لوركا، ابن بركة، تشي جيفارا، الحلاّج، الخوارج).

ومن الرموز التي طغى توظيفها في قصائد هذه الفترة: رمز الشهيد والأماكن التي لها علاقة بثورة الجزائر: كساحة الشهداء، ساحة أول ماي، أيضا حي القصبة؛ وهو معروف تاريخيا بالملاحم التي حدثت فيه أثناء الثورة التحريرية الكبرى؛ فالشهيد غدا رمزا لزمن البطولات والتضحيات يُواجه به الشاعر واقعه المزيّف المتآكل ،زمن الانتهازيين والخونة؛ الذين استغلّوا شعار الثورة لخدمة مصالحهم بعد استقلال البلاد، متجاهلين الشعب البائس، المقيَّد بالفقر، وخانوا مبادئ الثورة و لم يحقّقوا منها شيئا يُذكر، وبذلك ضاعت جهود الشهداء و تضحياتهم، يقول محمد زتّيلي[1]:

تُعَايشُني غُربَةٌ لا تُطَاق.
يُمزِّقُني اليَأسُ، والحُزنُ في ساحَةِ الشُهَداء.
يُقَاتِلُوني الواقِفُون.
يُخاصِمُني الصَامِتُون.
أعوذُ بكم أيُّها الشُهداء.
أُحَيِّيكُم أيُّها الفُقَراء.
وألْعَنُكُم كُلَّ صُبحٍ أيا أيُّها الأُمَراء.
لأنَّ الذين أمامي في "ساحَة الشهداء".

[01] محمد زتيلي ، "فصول الحب و التحول " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د ت ، ص : 71

مُصادَرةٌ كُلُّ أَوْراقهم ، و البِطاقَات ،

و الأغْنِيات التي عَشِقُوها

وأحمد أحمدي يعتب على هذا الزمن الذي خان الشهيد بقوله[1]:

مازِلتُ أَجُوبُ الشَّارِع.

ضَيِّق شَارِعُ الاسْتِقْلال.

فسِيحَةٌ سَاحَةُ الشُّهَداء.

فضيق ساحة الاستقلال رمز لضياع أحلام الشعب، وشساعة ساحة الشهداء ترمز إلى كثرة الشهداء الذين سقطوا لتحيى الجزائر حرّة وتُطبق فيها المبادئ التي قامت من أجلها الثورة.

وربيعه جلطي أيضا يوظّف رمز الشهيد لتنتقد الواقع المتردّي؛ تقول[2]:

"عَبَّان" يُشْهِرُ في وَجْهِ الرِّيحِ قَلْبَه.

يَشُمُّ عَلى عُنُقِ التَّارِيخِ حَقِيقَة رَهِيبَة.

يَجْلِسُ مُحَاذِيًا لِجِدار مُنْطَفِئ.

منْ يُحاكِمْ؟

و ... "عَبَّان"، صَار شَارِعا يَصْعَد إلى الأَسْفَل.

فِي العاصِمَة.

إنّ جهود الشهداء وتضحياتهم ذهبت هباء، فكلّ ما حصده الشهيد وضع اسمه على لافتات الشوارع، فغدا مجرّد شعار أو اسم يتغنّى به الناس، بدل السعي لتكريس المبادئ التي مات من أجل أن تكون دستورا للجزائر في مرحلة الاستقلال، ويدلّ على ذلك توظيف الشاعرة للطباق بصورة مُوفَّقة في قولها "يصعد إلى الأسفل".

---

[01] أحمد أحمدي ،"قائمة المغضوب عليهم"، ص: 58.

[02] ربيعه جلطي،" تضاريس لوجه غير باريس"، ص: 74.

وأحلام مستغانمي في قصيدتها "بكائية على قبر امرئ القيـــس" تُصـــوّر غربتهـــا السياسية بطريقة مُوفّقة معتمدة الرمز الكلّي ،تقول[3]:

لا سَيْفَ في اليَمَن.
لا فارِسا تَأتِي به مَرَاكِبُ الزَّمن.
والعَمُّ، والأخْوَالُ، والجِيران.
... تَحَوَّلُوا غِلْمَان.
قُمْ، إنَّني،
يا أيُّها الأَمِير، مِن عُصُور.
أُبْعَثُ في المَدَافِن.
وأجْمَعُ السَّرَابَ في المَداخِن.
أَسْأَلُ كلَّ جِيفَة.
أيْنَ بَنُو أَسَد؟
لاَ نَبْضَ في قُلُوبِنا.
أيْنَ بَنُو أَسَد؟
أتَيْتُكُم أَسْأَلُ عَن أَحَد لَكنَّ فِرْعَونَ هُنا.
لا يَمْنَحُ الحَيَاةَ لِلرِجَال.
يا ضَيْعَةَ الرِّجَال.
قُمْ أيُّها الأَمِير.
فعِنْدَما تَحَرَّكَت عَواطِفُ الجِيرَان.
والقَيصَرُ البَطَل.
قد هَزَّهُ التِّذْكَارُ والحَنِيْن.
أقْسَمَ أنْ يُهْدِي لَنَا.

---

[03] أحلام مستغانمي،" على مرفأ الأيام"، ص: 73-75.

أحْدَث مَا قَدْ حِيكَ مِن حُلَل.

فالشاعر تسقط قصة امرئ القيس على واقع الأمة العربية المؤلم والمخيِّب بعد نكسة 1967، وتعبّر عن مشاعر غربتها السياسية، في ظلّ هذه الأوضاع المزرية، فالحكّام العرب يشبهون امرؤ القيس الذي لجأ إلى ملك الروم كي يساعده في الثأر لمقتل والده؛ متجاهلا القبائل العربية التي كانت ستكون له خير معين، فهم لجئوا إلى الغرب بحثا عن حلول لمشاكلهم الداخلية مُتجاهلين أهمية التعاون العربي العربي.

كما لجأ أغلب الشعراء الجزائريين إلى الاستعانة بالأسطورة للتعبير عن غربتهم؛ لأنّها أكثر قدرة على تكثيف تجربة الشاعر إن هو أحسن توظيفها وقد حظيّت أسطورة "السندباد" بحصّة الأسد، إذ لا يكاد يوجد ديوان يخلو من الإشارة إليها، ولعلّ هذه الشخصية المشهورة "بطابعها المعروف بالاغتراب الدائم، والتجوال المستمر، وحبّ المغامرة والبحث عن الجديد، ورفض الواقع الراكد الثابت، هي التي أغْرَتهم واستمالت أفئدتهم فراحوا يبنون عليها قصائدهم، وكأنّهم وجدوا في هذه الشخصية ما يشبه نزوعهم عادة إلى كل ما هو جديد، وتطلّعهم الدائم إلى الكشف، والمغامرة، والتمرّد"[1].

فعبد العالي رزّاقي جعل من الأسطورة خلفيّة فكريّة وفنيّة صوّر من خلالها اغترابه ومعاناته؛ لأنّه يحمل هموم وطنه، ونجده يخاطب المرأة وهي رمز للجزائر المغتربة والمحاصرة بين جور الحكام وقهر الغراة بقوله[2]:

أُريدُك أنْ تَشْعُري باغْتِرَابِك.
فالسُّفُنُ المُبْحِراتُ مع الرِّيحِ مُتْعَبَة.
والمَوانِئ مُغْلَقَة.
والشَواطِئ مَهْجُورَة.
وعُيُونُ مُعَاوِيَّة تَترَقَّبُنَا، تَتَنَاقَلُ أَخْبَارَنا.
وسُيُوفُ الغُزَاةِ مُلَطَّخَةٌ بِدَم الشُّهَدَاء.

---

01 محمد ناصر، "الشعر الجزائري الحديث"، ص: 579.

02 عبد العالي رزاقي ،" الحب في درجة الصفر" ، ص: 78

هل المَوجُ يَخْضَعُ للرِّيح؟
يَسْأَلُني زَمَنٌ تَتَداخَل فيه المَوَاقف.
أَخْلَعُ عَن جَسَدِي جلْدَ مَن يَرْتَدِينِي.
أُنَاديكِ باسْمِك.
فأقْتَرِب.
ليْسَ للرَّفْضِ مَعْنَى بِدُونِك.
يا امْرَأة – آه – أُعِيدُها.
ويُخَيَّلُ لي أنَّها الانْتِمَاء.

وقد نجح أحمد حمدي في منح أسطورة "السندباد" دلالات جديدة،وذلك من خلال المزج بين الوقائع الأسطورية القديمة والوقائع المعاصرة؛ التي يقصد الشاعر من ورائها إلى الإفصاح عن مشاعر غربته وتأزّماته الذاتية والفكرية، يقول[1]:

والبَحْرُ أَجْوَفُ ما يَكُون.
في عيَنِ بَحَّار.
على شَفَتَيهِ تَنْتَحِرُ البِحَار.
في مُقْلَتَيهِ في
ارْتِعاشَاتُ الحُرُوف.
تَعِيشُ أَحْقَادُ الخَرِيف.
وما يَكون غَنَّاه.
إنْ غَنَّى؟ و تلكَ الأغْنِيَات
سِوى خُدُوشُ الحَشْرَجَات.
ويَتِيهُ رَكْبِي.
أنا ضِعْتُ في قَلَقِي وَرَكْبِي.

[1] أحمد حمدي،" انفجارات"، ص:14 و 15

فالشاعر يرى في السندباد صورة لذاته؛ إلا أنّه ليس السندباد الذي "ركب البحر ليكتشف العالم أو يغنم الجواهر، وإنّما هو شاعر يحمل هَمَّ وطنه، فركب الشعر وهو في حالة مخاض، فتغيب الحروف والكلمات في شفتيه، فالهمّ كبير، والكلمات عاجزة عن البوح والتعبير عنه، هذا العجز يجعل الشاعر يرتّد إلى أعماقه تائها في همومه وقلقه الداخلي"[1]. إضافة إلى إلى أسطورة السندباد استفاد الشعراء من الأسطورة اليونانية ووظفوها للتعبير عن غربتهم السياسية.

فعبد العالي رزّاقي يرمز ب "سيزيف" إلى الشعوب التي سُلبت حقوقها، واُضطهدت وأُخضعت للقهر، يقول[2]:

حَكَمَتْ آلِهَةُ الزِّيف.
أنْ أَحْمِلَ صَخُرَةَ "سيزيف".
أنْ أَحْمِلَ طَوْعا أو كُرْها.
تَأشِيرَةَ مَنْفَى.
... فَرِحْتُ أُغَنِّي مع الفُقَراء.
لِغُرْبَتِنَا وَطَن.
سَوفَ يُصْلَبُ في القَلْبِ كالرَّعْدِ بَينَ ثَنَايا الغُيُوم.
و "سيزيف" يَصْعَد ...يَهْبِط.
في شَفَتَيه يَنَام نَشِيدٌ قَدِيم.
يا هَابِط الجَبَل.
فَكِّرْ في صُعُودِك.
يا صَاعِدَ الجَبَل فَكِّرْ في نُزُولِك.

---

[01] حسن مزدور، "المضمون الأسطوري في الشعر الجزائري"، مجلة الملف، عدد 24، 2005، ص:85

[02] عبد العالي رزاقي ،"الحب في درجة الصفر" ، ص :98-105.

فالموقف النفسي المتأزّم للشاعر تطلَّب منه استدعاء شخصيّة "سيزيف" وتوظيفها كمعادل موضوعي لواقع إنسان القرن العشرين؛ الذي يتعرّض لجور الحكّام واضطهادهم.

أما حمري بحري فيرمز ب "سيزيف" إلى الإنسان الذي تمرّد على الظلم، الإنسان الذي يحلم بتغيير واقعه إلى ما هو أفضل، يقول[1]:

سِيزِيف في كلِّ مَكَان.
سيزيف في كُلِّ زَمَان.
يَبْحَثُ عن إنْسَان.
يَحْلُمُ بالرِّيحِ التي تَهُزُّ الأوْرَاق.

وكخلاصة لما سبق ،يمكن أن نقول بأنّ الشاعر في مرحلة ما بعد الاستقلال منح أهميّة كبيرة لبناء الصورة الشعرية؛ إذ أصبحت الخيط النفسي والشعوري الذي يربط بنْيَة القصيدة كلّها، وبالتالي كان أكثر قُربا وعُمقا في تصوير غربته بكلّ أنماطها، وأصبح المتلقي أكثر تفاعلا مع القصيدة؛ إذ أصبح عليه إعادة قراءة النص مرات عدّة ليكتشف أبعاد الصورة و يستشفَّ من خلالها انفعالات الشاعر على اعتبار أنّ هذه المرحلة تميّزت باللّا مباشرة في طرح الأفكار والعواطف المراد التعبير عنها (استخدام الرمز والأسطورة).

وبعد اطلاعنا على الصورة الشعرية في شعر الاغتراب الجزائري ، سنتطّرق في المبحث القادم إلى الصورة الشعرية و نحاول تتبُّع خصائصها وكيفيّة توظيف الشعراء الجزائريين لها في التعبير عن اغترابهم .

---

[1] حمري بحري ،"ما ذنب المسمار يا خشبة"، ص: 104.

ثالثا: الموسيقا الشعرية:

يُعدّ الإيقاع الموسيقي من المقومات الفنية الأساسية التي يرتكز عليها العمل الشعري، وهو الميزة الأولى والخاصية الأساسية التي تجعلنا نفرق الشعر عن النثر؛ لأنّ الشعر نشأ مرتبطا بالغناء، كما أن ضعف الجانب الموسيقي في القصيدة يُنقِص من قُدرتها على التعبير والإيحاء وإيصال إحساس الشاعر للمتلقي. وعليه، سنحاول في هذا المبحث دراسة عنصر الموسيقا الشعرية في القصيدة العربية الحديثة في الجزائر؛ لنتبيّن مدى استفادة الشاعر الجزائري من الموسيقى والإيقاع في الإفصاح عن حالة الاغتراب التي عاشها.

إن المتتبّع للشعر الجزائري الحديث يلاحظ أن مجموعة من الشعراء حاولوا التعبير عن اغترابهم من خلال المحافظة على نظام القصيدة العمودية؛ فالتزموا بالإيقاع المعتمد على الوزن الرتيب والقافية المطّردة، وذلك من خلال المعارضات، وقد كانت "سينيّة" البحتري من أكثر القصائد التي أُفْتُتِن بها الشعراء وعارضوها، فمحمد العيد مثلا وصف غربة الشعب داخل وطنه وما يتعرّض له من ظلم وقهر من قِبَل الاستعمار الفرنسي متأثّرا بالبحتري ونلمس ذلك من خلال ما قاله في قصيدته "لا أنسى"[1]:

ديار من السكان تخلي نكاية وعسفا وأحياء تساق لأرماس.
وشيب وشبان يسامون ذلة بأنواع مكر لا تحد بمقياس.
وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أراذل أنكاس.
وقفت أجيل الطرف في الأرض باحثا وأضرب أخماسي الجميع بأسداسي.
أرى الأرض زادت ظلمة فوق ظلمة على أهلها واستوحشت بعد إيناس.

ووجد مبارك جلواح هو الآخر في "سينية" البحتري ضالّته عندما صوّر غربته النفسية فعارضها بقوله[2]:

اعبسي أو ابتسمي إن نفسي سئمت من جميع شجو وأنس.

---

[01] محمد العيد أل خليفة ، الديوان، ص: 326.

[02] عبد الله الركيبي، "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، ص: 386.

وكان صالح خرفي من أكثر الشعراء الجزائريين مُعارضة للبحتري، وذلك في أكثر من قصيدة ،ومن بين ما قاله في التعبير عن اغترابه لما تتعرّض له بلاده وشعبه[1]:

خبروني أبالجزائر إنس أم طوى شعبها المكافح رمس.

كما أنه عارض المتنبي في قصيدته " يا عيد" فقال[2]:

عيد بأي حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد.

مالي أراك ثقيل الظل في وطني يشين وجهك في الأنظار تخديد.

كما أن الشاعر مفدي زكريا تأثّر بنغم "نونية" ابن زيدون التي يقول في مطلعها [3]:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا.

وعارضها معبّرا عن حنينه للوطن وتوقه لحريته ،فقال[4]:

عام مضى كم خابت أمانينا ماذا تخبئه يا عام ستينا. ؟

ومما يمكن ملاحظته عن هذه المعارضات، أن الشعراء تباينوا في تأثّرهم، فمنهم من اُفتتن بالقافية فقط، ومنهم من تعدّى ذلك إلى الوزن والصوّر، ولعلّ ما جعل الشاعر الجزائري يُعارض هذه القصائد هو مناسبتها للغرض الذي عالجه؛حيث مثلت بموسيقاها العذبة وما تشيعه من حزن،وبقوافيها المختارة نَماذجَ ملائمة للتعبير عن تجارب اغترابه، لكنّ ما يؤخذ على غالبية الشعراء الذين كتبوا القصيدة العمودية هو التضحية بالانفعالات والحالات الشعورية في سبيل البناء على وزن معيّن وقافية معيّنة؛ممّا جعلهم يبدّدون الفكرة والشعور للبحث عن عبارات تنسجم مع قافية معيّنة بمعنى أنّ الشاعر كان يعطي الأولوية لسلامة الشكل بدل صدق التعبير والانفعال، وهو ما أثّر على

---

[01] صالح خرفي ،" أطلس المعجزات"، ص: 47.

[02] نفسه، ص: 33.

[03] ابن زيدون ،ديوانه، دراسة وتهذيب، عبد الله سندرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص: 11.

[04] مفدي زكريا ،" اللهب المقدس"، ص: 149.

التجربة الشعرية؛ إذ بقي عاجزا عن الإفصاح عن غربته ضمن إطار جديد يُمكّنُـــه مـــن الانطلاق والتعبير بحرية.

وهذا الجدول يُظهر تأثّر الشاعر الجزائري بالشعر القديم[1]:

الشاعر المتأثر	عنوان القصيدة	الشاعر المتأثر به	عنوان القصيدة	وزنها	حرف الروي
أحمد معاش	خواطر الذكرى	المتنبي	وإذا لم يكن	الخفيف	النون
أحمد سحنون	أيها المبعد	ابن زيبون	ذكرى ولادة	الرمل	الكاف
أحمد سحنون	الإنسان بين...	عدي الغساني	بلا عنوان	الخفيف	الهمزة
أحمد سحنون	ابنتاي	محمود غنيم	أنا وابناي	المتقارب	الياء
صالح خرفي	العيد والجزائر	المتنبي	عيد بأية حال	البسيط	الدال
صالح خرفي	على الشاهقات	البحتري	صورة أنطاكية	الخفيف	السين
صالح خرفي	أهج خيم	البحتري	صورة أنطاكية	الخفيف	السين
صالح خرفي	ثائر لم يعد	البحتري	صورة أنطاكية	الخفيف	السين

[1] عمر بوقرورة، "الغربة والحنين في الشعر الجزائري"، ص: 283.

صالح خباشة	لا سلم للأعداء	جرير عمرو	بان الخيط	الكامل	العين
	مأساة القصبة	عمر بن كلثوم كلثوم	المعلقة	الوافر	النون
عبد الرحمن العقون	أنشودة الألم	البارودي	شقني وجدي	الرمل	الراء
مفدي زكريا	ماذا تخبئه يا عام	ابن زيدون	أضحى الثنائي	البسيط	النون
مفدي زكريا	رسالة الشعر	ابن زيدون	أضحى الثنائي	البسيط	النون
محمد الأخضر السائحي	الصحراء	البوصيري	كيف ترقى	الخفيف	الهمزة
محمد الأخضر السائحي	في عيد الذكرى	أبو الطيب الرندي	النونية	البسيط	النون
محمد بلقاسم خمار	رجعة	البحتري	صورة أنطاكية	الخفيف	السين
محمد بلقاسم خمار	غضبة	المعري	غير مجد	الخفيف	الدال
محمد بلقاسم خمار	الأصداء	المعري	غير مجد	الخفيف	الدال

وقد وُجدت استثناءات، من ذلك مثلا نجد الشاعر جلواح موفّقا في الكثير من قصائده التي نظمها على الطريقة التقليدية وحافظ فيها على النظام الخليلي، في التعبير عن انفعالاته الشعورية واغترابه؛ ذلك أنّه جعل التعبير عن المشاعر الحزينة والحالات الشعورية الموحية باليأس من أولوياته، بدل التركيز على البناء الخارجي للقصيدة.

يقول الشاعر في قصيدته "يا قلبي" معبّرا عن غربته الاجتماعية وسخطه على أهله الذين لم يُقدّروه حقّ قَدره[1]:

إلى ما النوح كالعاني السجين لصد أخ وهجران الخذين.

ويقول في قصيدة أخرى معبّرا عن غربة وجودية[2]:

لماذا خلقت؟ لماذا أعود ترابا كما كنت تحت اللحود؟.

تراني أذنبت قبل النشوء فجئت أعاقب في ذا الوجود؟

فماذا جنيت، وأين جنيت وهل كنت شيئا بماضي العهود؟

لماذا أضل إذا شاردا وأمسي على الأرض دامي الكبود؟

لماذا أضحي لأجل حياة برمت بها بجميع الجهود؟

نلاحظ كيف أن الشاعر اختار ألفاظا ذات موسيقا هامسة وموحية تلاءم مشاعره الحزينة، مبتعدا عن النبرة الخطابية والموسيقا الصاخبة؛ التي تفقد الشعر نزعته التأمّلية، وهو ما لُوحظ في أغلب القصائد العمودية الجزائرية، يقول محمد مندور في هذا الصدد: "الشاعر القوي هو الذي يهمس فتحسّ صوته خارجا من أعماق نفسه في نغمات حارّة، ولكنّه غير الخطابة التي تغلب على شعرنا فَتفسِده، إذ تبعد به عن النفس، عن الصدق، عن الدنوّ من القلوب[3]".

فإذا تأمّلنا قصيدته "لماذا خلقت" وجدنا موسيقا الأبيات هادئة و موحية؛ ذلك أنّ الشاعر عَمد إلى "القافية الممتدّة، التي تبدو قوية في موسيقاها، ولكنّه خفّفها بالسكون في

---

01 عبد الله الركيبي،" الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، ص: 382.

02 نفسه، ص: 408.

03 محمد مندور، "في الميزان الجديد"، مطبعة نهضة مصر، ط 3، القاهرة، د.ت، ص: 69.

"الواو" و "الدال" معا رغم أنّه سبقها الضم وهو نبرة قوية، بينما السكون نبرة خافتة ساكنة تلاءم إحساسه بالنهاية المؤلمة[1]" وينطبق هذا الحكم عل غالبيّة قصائده: "ليلة على شاطئ السين"،"زورة الوداع"، "البلبل المجندل"، "محيط الليالي"، فقد تميّز جلّها بالنبرة الهادئة والموسيقا المناسبة التي ساعدته في الإفصاح عن غربته النفسية والمكانية على حد سواء.

كما أنّ اعتماد الشاعر الاستفهام مكنّه من التعبير عن حالته النفسية المغتربة؛ التي لم تعُد تدرك ماهيّتها وسبب وجودها، فجاءت نغمة الأبيات حزينة موحية باليأس.

ويبدو أنّ الشاعر كان يدرك أثر الاستفهام في توليد موسيقا شعرية حزينة تُبرز حالته القلقة ،ولذلك نجده يُكثر منه في قصائده ، يقول[2]:

هل لذي النائبات من منتهى أم هل لعمري في الدنيا من نفاذ؟

ويقول أيضا في التعبير عن غربته في وطنه[3]:

ألم أك شحرورا بمجدك صادحا على دوحك العلوي والسرحات؟

فهل أنت يا سؤلي سئمت ترنمي فأصبحت لم تحفل برفع شكاتي؟

ففي البيت الأول نستشفّ أنّ الشاعر يبحث عن خلاص؛ وقد وجده في الموت، وتوظيفه للاستفهام أبان عن كآبة الشاعر؛ حيث أكسب البيت إيقاعا حزينا يوحي بتحسّره على سابق عهده السعيد، وكيف أصبح اليوم غريبا في وطنه لا يحفل بأحزانه أحد، فقد أعطى الاستفهام إيقاعا تنغيما حزينا يصدر عن قلب يعاني العذاب والألم.

كما أنّ الشاعر كرّر "كم" الخبرية في تعبيره عن غُربته بين أهله وأصدقائه،وجسّد هذا التكرار تناغما صوتيا يعبّر عن نفسية متأزّمة فاقدة للأمل فيمن حولها ،يقول[4]:

فكم أيدي رجوناها فكانت قنى المأمون في صدر الأمين.

---

01 عبد الله الركيبي، ، "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، ص: 299.

02 عبد الله الركيبي، ،" الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار "، ص: 461.

03 نفسه، ص: 465.

04 نفسه ، ص: 383.

وكم بر بذرناه زمانا فلم نحصد سوى المقت اللعين.
فكم ذا قد حبونا بالمعالي أخا قد كان كالعبد المهين.
ولما فاز بالعليا أرانا يد البغضا ووجه المستهين.

وقد اتجه شعراء جزائريون آخرون إلى التجديد؛ في محاولة للخروج عن الأوزان الخليلية؛ لأنّهم رأوا فيها حاجزا يمنع الشاعر من التعبير عن انفعالاته ومشاعره؛ محاولين إيجاد إطار موسيقيّ يختلف عن التقليدي ،ولا يلتزم الشاعر باتّباع قافية محدّدة، وكان حمّود رمضان الشعراء الأوائل الداعين إلى التجديد، وقد عبّر عن ذلك شعرا ونثرا، يقول[1]:

ألا جددوا عصرا منيرا لشعركم فلسفة التقليد حطمها العصر.
وسيروا به نحو الكمال ورمموا معالمه حتى يصافحه البدر.

ويقول أيضا[2]:

"الشعر تيار كهربائي، مركزه الروح، وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته، وغاية أمرهما أنهما تحسينات بديعة لفظية، اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان".

لكنّ الشاعر رغم دعوته إلى التخلّي عن الوزن والقافية لم يُوفّق إلى تطبيق نظريّته على قصائده رغم محاولاته، ومن بين تلك القصائد التي حاول التجديد فيها قصيدته "يا قلبي".

يقول فيها معبّرا عن غربته النفسية و عن آلامه وهمومه [3]:

أنت يا قلبي فريد في الألم والأحزان.
ونصيبك من الدنيا الخيبة والحرمان.

---

01 صالح خرفي، "حمّود رمضان"، ص: 100.
02 نفسه، ص: 101.
03 نفسه ، ص: 85.

أنت يا قلبي تشكو هموما كبارا وغير كبار.

أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يعبث به الدهر الجبار.

فالشاعر في سعيه لا يجاد إطار موسيقى جديد تخلّى عن الوزن في هذه المقـــاطع المتوازنة الطول تقريبا، واختتمها بقوافي متراوحة مع اختلاف الروي (النون، الراء، اللام، القاف) ثمّ فيما بعد أتى بخمسة أبيات موزونة ومقفاة ،يقول[1]:

ويلاه من هم يذيب جوانـــحي فكأنما في القلب جذوة نار.

نفسي معذبة بهمـــة شاعـــــر دمعي على رغم التجلد جار.

حظي على متن النوائب راكب تمشي به لمحطة الأكدار.

قد خانني دهري وتلك سجية للدهر مثل سجية الأشرار.

هو دائما لي عابس متنكـــــر حتى الطبيعة حسنها متوار.

وتتواصل القصيدة على هذه الوتيرة، أي بمقطوعات خماسية موزونة، تستقلّ كل واحدة بقافيتها، تتخلّلها فقرات نثريّة مقفّاة، وقد جمع حمّود رمضان بين البحر الخفيف والبحر الكامل في المقاطع الخماسية المقفّاة في قصيدة واحدة ، وهو ما لم يكن موجـــودا من قبل في الشعر الجزائري.

وقد وَجدت دعوة حمّود رمضان آذانا صاغية،أو بـــالأحرى أحـــسّ الشـــعراء الجزائريون في العصر الحديث بأنّ المحافظة على الوزن والقافية يُعيق انطلاقهم في التعـــبير عن مشاعر الغربة،ولذلك وجدنا محاولاتهم في التغيير مستمرّة، وتجربة أبي القاسم ســـعد

[1] أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر "، ص: 85-86.

الله خير مثال على هذا السعي الحثيث وراء تشكيل موسيقي جديد للقصـــيدة، ففـــي قصيدته "يارفيقي" نجده يعتمد التفعيلة بدل نظام البيت، يقول في المقطع الأول منه[2]:

يا رفيقي

لا تلمني عن مروقي.

فقد اخترت طريقيă

وطريقي كالحياة.

شائك الأهداف، مجهول السمات.

عاصف التيار، وحشي النضال.

صاخب الأنات، وعربي الخيال.

ويكشف التقطيع الإيقاعي بأنّها مكونة من تفعيلات على الشكل الآتي:

فاعلاتن.1

فاعلاتن، فاعلاتن.2

فاعلاتن، فعلاتن.2

فعلاتن، فاعلات.2

فاعلاتن، علاتن، فعلات.3

فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلاتن.3

فالشاعر حاول التعبير عن تمرّده ورفضه واغترابه ضمن إطار موســيقي جديــد، لكنه لم يتحــرّر تمامــا مــن الــوزن؛ إذ نجــده يــوازن بين الأبيــات الشــعرية (1.1.1,3.3.3,2.2.2) كما أنّه لم يتخلّص من أسر القافية ؛فبين كلّ قافيّتين مختلفتين قافيّتين متشابهتين (رفيقي، مروقي، طريقي، الحياة، السمات، النضال، الخيال، تســهيل، وحوول، طيوف، حتوف، شوادي، العباد، الزهور، العطــور، الشــموع، الــدموع، المشاعل، المجاهل، الوجود، عبيد، هاويات، داميات، ورائي، ولائي، هلمّوا، زمّوا، نعاج،

---

[02] نفسه ، ص: 141.

فجاج، واقفين، أنين، رمادا، حدادا، الكسيح، الجريح، الرحيبة، الخصيبة، عبقر، أحمـــر، العالمين، يقين، الوضية، الوطنية، ديني، دعوني)، وقد تميّز سعد الله بالمحافظة على القافية ؛ حتّى أنّه في بعض الأحيان يُضحّي بصحّة المعنى في سبيل القافية ومن ذلك مثلا قوله[1]:

بشر أنتم جميعا يا عبيد.

يا عبيد الأرض، والله الوحيد.

فتركيز الشاعر على القافية جعله يقول "الله الوحيد" بدل "الله الواحد" وهو خطأ أثّر على المعنى.

ولكنّ عمر بوقرورة يرى بأنّ تقيُّد أبو القاسم سعد الله بالقافية في قصيدته "يـــا رفيقي" يعود إلى "التجربة النفسية الغاضبة التي تسيطر على الأبيات الشعرية، فجـــاءت خاضعة لحركة الانفعال؛ التي تبدأ بسيطة بتفعيلة واحدة لتبلغ ذروتها في ثلاث تفعيلات، ثمّ تهدأ ويخفُّ التوتّر الموسيقي فيعود تفعيلة واحدة[2]".

ولعلّ الشاعر محمد بلقاسم خمّار، كان من الشعراء الأوائل الذين تخلّصوا من قيد القافية؛ إذ أصبحت عنده خاضعة للتجربة والموقف النفسي بدل أن تتحكـــم هـــي في صياغة القصيدة وشكلها، وذلك كونه يعطي الأولويّة لانفعالاته ودواخله؛ فهـــي الـــتي تتحكّم في الإيقاع الموسيقي، ويظهر ذلك في "توسّل"، التي كتبهـــا وهـــو مغـــترب في دمشق، معبّرا فيها عن إحساسه بالوحدة والوحشة ،يقول فيها[3]:

الناس يختفون هاربين.

لا تتركوني خلفكم وحيدا. مسفعلن مستفعلن فعولن.

ألوب في الظلام، لا أرى. مفاعلن مفاعلن فعو.

يلوكني الإعياء. مفاعلن مستفعل.

لا تتركوني خلفكم. مستفعلن مستفعلن.

---

01 أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر "، ص: 225.

02 عمر بوقرورة، "الغربة والحنين في الشعر الجزائري"، ص: 295.

03 محمد بلقاسم خمّار ،"ظلال وأصداء"، ص: 102.

إنني أخاف غرفتي. مستفعلن مفاعلن.

أكرهها. مستعلن.

أكره بابها اللعين. مستعلن مستفعلن فعول.

ونلاحظ أن الشاعر لم يهتمّ بالتناسب الصوتي بين الأسطر الشعرية؛ إذ إنّه اعتمد في صياغته أسطرا غير مكتملة لا يتّصل السطر فيها بالآخر، بل إنّ أغلب الأسطر انتهت بتفعيلة معلومة تعبّر في انقطاعها عن التوتّر الانفعالي الشديد الذي يعكس حالة الغربة التي يعيشها الشاعر، وبذلك نقول إن الشاعر وُفّق إلى حدّ بعيد في تطويع الموسيقا لخدمة غرضه،والإفصاح عن اغترابه، فحقّق ما دعا إليه غيره من الشعراء ولكنّهم لم يُحققوه.

أمّا عن البحور التي شاع توظيفها من قبل الشعراء للتعبير عن اغترابهم، فنستطيع أنْ نقول بأنّ الشعراء اهتموا ببُحور (الرمل، الخفيف، الكامل، البسيط، الطويل والرجز والمتقارب)، ولكن هذا لا يعني بأنّ هذه البحور هي الصالحة للتعبير عن الغربة؛ لأنّ الشاعر البارع يمكنه أن يَنظِم قصيدته على أي بحر فالوزن الشعري يمثّل إيقاعا عامّا يلوّنه الشاعر بتجربته الشعرية، ويُخضِعه لانفعاله ؛ فيتلوّن بخصوصية، إذ ليس هناك وزن شعري ملائم لغرض معيّن بحدّ ذاته

وفي مرحلة الاستقلال وصل سعي الشعراء لإيجاد قالب موسيقي جديد ، إذ ظهرت فئة من الشعراء؛ الذين أعلنوا القطيعة التامة مع الشكل العمودي، وقد أحدث هؤلاء الشباب من جيل السبعينات تطوّرا واضحا في موسيقا الشعر؛ إذ إنّهم "بدأوا بالسطر الشعري المعتمد على التفعيلة إلى أنْ أصبحوا يعتمدون الجملة الشعرية، وما يسمّى في مصطلحات الشعر بالتدوير، إنّ هذا رَسَم تطوّرا متقدّما في العمل الشعري بالنظر إليه من زاوية الإيقاع الموسيقي، فبينما كنّا مع السطر الشعري في المرحلة السابقة نقف عند نهاية السطر الشعري المقفى أو غير المقفى، أصبحنا مع الجملة الشعرية غير قادرين على هذا الوقوف، إذ نكون منساقين مع الدفقة الشعورية المتحكّمة في بناء الجملة الشعرية حتّى نهايتها دونما خضوع لنهاية عروضية أو دلالية[1]".

[01] محمد ناصر، "الشعر الجزائري الحديث"، ص: 232.

فأصبح الشعراء يكتبون ما يسمّى بالشعر المنثور أو قصيدة النثر، إذ أنّهم تخلّـــوْا تماما عن الوزن والقافية، واعتبروها مُقيّدة تحرمهم من الانطلاق والتعبير عن أفكـــارهم ومشاعرهم بحرّية، فالعمل الفنّي الحقيق في نظرهم يجب ألّا يتقيد بالاعتبارات الخارجيـــة بقدر ما يجب أن يراعي الاعتبارات الداخلية الفكرية الشعورية ، يقول الشاعر ســـليمان جوادي بخصوص هذه المسألة، جوابا على سؤال وُجِّه إليه يتعلق بموقفه من قصيدة النثر: "إنّني كنت من المعارضين لهذا الاتجاه في الإبداع الشعري، فقد كنـــت أرى أن الشـــعر خارج الإيقاعات الخليلية هو ضرب من الهذيان والتطفل المجاني، وظلّ الأمر بي كـــذلك إلى أن قرأت نتاج الشعراء: محمد الماغوط، أنسي الحاج، نزيه أبو عفـــش، وغيرهـــم، فأدركت أنّ أساس الشعر ليس في الموسيقى الخارجية وحسب، بل في أجواء وإيقاعات ورعشات صُوَرِه ومناخاته أيضا[1]"، وسأكتفي بتقديم نموذجين لشعر الاغتراب لشاعرين مميّزين، هما : عمر أزراج وأحمد حمدي؛ حتى نلاحظ تطوّر التشكيل الموسيقي.

يقول عمر أزراج[2]:

اغني وترحل عني جراحي.

وتصلبها الشرفات.

وحين سألت رجال ألمطافي عنها.

رأيت صبيا يفتش عن لقمة في قمامة.

ومن يومها اكتشفت لماذا تغني جراحي.

أنا لا أقول أحب بلاد التوهم.

أنا لا أقول نموت نموت ويحي الوطن.

لأن الخنازير تسكنه بعدنا يا زمن.

---

[01] أحمد فرحات،" أصوات ثقافية من المغرب العربي"، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1984، ص: 242.

[02] عمر أزراج، "وحرسني الظل"، ص: 104و 105.

ويقول أحمد حمدي[3]:

اليوم، الأول من هذا العام.

أكتب يا أمي، كلماتي أصغر من حزني.

الصاعد من أقبية الزمن المتعفن.

أكتب، لكن.

قد صار الحزن بحجم الأرض.

فكيف للحرف المنمى أن يحمل أكثر

من حده؟

أكتب في آخر ساعات الليل الغافي.

كالقطة منذ صباح اليوم الأول.

في نزل رطب تسكنه الجرذان معي.

في نهج مهجور يحمل اسم شهيد.

نلاحظ من خلال هذين النموذجين تخطّي الشاعر الجزائري للتفعيلة أو السطر الشعري كأساس للموسيقى الشعرية، وأصبحت القصيدة أشبه بالنثر. ويبدو أن الشعراء الجزائريين في هذه المرحلة تأثّروا بالشعر الحديث في المشرق العربي.

ويبدو أنّ هذا النوع من التشكيل الموسيقي غريب نوعا ما على المتلقّي الذي قد لا يتفاعل كثيرا مع ما يوّد الشاعر قوله، فهذا الشعر جُرِّد من أهمّ خصائصه: الإيقاع الموسيقى الذي يلعب دورا مهمّا في إعطائه حيويّة تجعل معانيه أكثر وضوحا وأقرب إلى النفس، وبذلك بقيّ عاجزا عن إثارة الإحساس والانفعال لدى المتلقي، فليس الشعر في النهاية "إلّا كلاما موسيقيا تنفعل بموسيقاه النفوس وتتأثّر بها القلوب[2]".

---

[03] أحمد حمدي، "قائمة المغضوب عليهم"، ص: 61.

[02] إبراهيم أنيس، "موسيقى الشعر"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، القاهرة، 1952، ص: 16.

نلاحظ إذا سعي الشاعر الجزائري الحثيث إلى التجديد في عنصر الموسيقا ،ليكون أقرب إلى المتلقّي في نقْل مشاعر اغترابه ،و هذا ما يعكس وعيه بأهمية هـــذا العنصـــر و دوره في جعل المتلقي أكثر تفاعلا معه.

الخاتمة

يمكن حوصلة النتائج المتحصل عليها في هذا البحث فيما يلي :

أولا: تقمّص مصطلح الاغتراب دلالات عدّة تطوّرت بتطور الزمـــن، واختلفـــت باختلاف الثقافات ولكن تمّ الاتفاق على اشتماله على معنى الانفصال سواء عن الـــذات أو عن الآخر.

ثانيّا: إنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية متشابكة ، تتداخل فيها جميع الظروف المحيطة بالفرد سواء النفسية ؛التي تعود في الأساس إلى الكيفية التي نشأ بها الفرد أو الثقافية والحضـــارية والمتمثلّة في جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ثالثا: إنّ الشعر هو أكثر أنواع الأدب صلة بظاهرة الاغتراب، ولعلّ ذلك يعود للطبيعـــة النفسية للشعراء فهم أكثر الناس رفضا للواقع، و أشدّهم مثالية في نظرتهم للكون الحافل بالنقائص ، ولقد انعكست مشاعر الاغتراب في الشعر العربي قديمه و حديثه بأبعادهـــا المختلفة و هو ما يؤكّد أنّها لصيقة بالوجود الإنساني و ملازمة له.

رابعا: عكس الشعر الجزائري بمختلف اتجاهاته، ظاهرة الاغتراب بأنماطهـــا المتنوعـــة ، فكان خير معبّر عن الأوضاع المضطربة التي عاشتها الجزائر، و أثّرت في نفوس الشـــعراء وجعلتهم يحسّون بالغربة داخل وطنهم .

خامسا: كان الاستعمار الفرنسي للجزائر الباعث الرئيسي لاغتراب الشاعر الجزائري عن الواقع السياسي ، لما سلّطه من ظلم و قهر و استبداد على الشّعب عامـــة و الشـــعراء بخاصّة؛ إذ عرف معظمهم تجربة السجن القاسية ، فأثّر ذلك على تـــوازنهم النفســـي ، فعبّروا عن مشاعر اليأس و التشاؤم . إضافة إلى ماتسبّب فيه من خراب و دمار و تخلّف في الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و ما نجم عنه من فقر و فاقة طـــالت الجزائريين ؛ كما كان سببا مباشرا في الاغتراب الروحي و الفكري بمحاولاته المتكرّرة لاقتلاع الفرد الجزائري من جذوره العربية الإسلامية؛ عن طريق محاربة اللّغة العربية و تشجيع الشعوذة و الطُرقية و نشر العادات الغريبة عن المجتمع الجزائري المحافظ ، كما عـــرف الشـــعراء

الجزائريين في فترة الاستعمار الاغتراب المكاني ، إذ إنّ معظمهم قصدوا دُولا عربية شقيقة بحثا عن العلم و المعرفة، فكانوا يشتاقون للوطن و يُعبّرون عن حنينهم و شوقهم من خلال قصائدهم .

سادسا: عرفت الجزائر في مرحلة الاستقلال عدّة تغيرات في الحياة السياسية و الاقتصادية كانت وراء تنامي مشاعر الاغتراب عن الواقع السياسي ، والملاحظ في هذه الفترة أنّ هذا النمط أخذ بُعدًا أشمل؛بحيث إنّ الشاعر الجزائري عبّر عن اغترابه عن الواقع السياسي العربي؛ الذي تميّز باضطهاد الحكام العرب للشعوب العربية ، وتخلّيهم عن القضية الفلسطينية ، كما أنّ الغربة النفسية أخذت بُعدا وجوديا ، إذ أصبح الشعراء يتحدّثون عن العدم و اليأس ، و الضجر من الحياة في المدينة وهنا ظهر تأثره بشعراء الحداثة المشارقة ، كما استمر الشعراء في التعبير عن غربتهم المكانية ، مصوّرين خيبة أمل المهاجر في تحقيق أحلامه ، و ما يلاقيه من ذلّ و هوان وهو بعيد عن وطنه و أهله .

سابعا: تميّزت اللّغة الشعرية عند الشعراء المحافظين بالمباشرة و الوضوح و التقرير مُبتعدة بذلك عن لغة الشعر الموحية و الرامزة ؛حيث إنّ أغلبية الشعراء توجّهوا نحو الصنعة المفتعلة و الاتكال على المخزون الديني (القران الكريم) و التراث العربي (الشعر العربي القديم) ، فكانوا عاجزين عن استثمار اللّغة استثمارا جماليا و فنيا و ابتداع معجم خاص بهم يستطيعون من خلاله نقل انفعالاتهم الحقيقية للقارئ ؛ عكس الشعراء الوجدانيين الذين أوجدوا معجما شعريا خاصا بهم ، فجاءت لغتهم هامسة موحية ترتكز أساسا على التصوير ، وكان اختيار الألفاظ خاضعا للوجدان ، ومطالب النفس المقيّدة بغربتها ممّا جعل تفاعل القارئ مع شعرهم أكبر .

أمّا في مرحلة الاستقلال اتّجه الشعراء إلى توظيف اللّغة العامية المستقاة من المرويّات الشعبية تعبيرا عن رفضهم للأوضاع الاقتصادية و السياسية في الوطن العربي ، وتميّز المعجم الشعري بغناه بالألفاظ المعبرة عن الضياع و القلق و الاغتراب وما يصاحبه من

مشاعر الاكتئاب و اليأس ، وقد كانوا متأثّرين بشعراء الحداثة المشارقة إلى حدّ جعلهم يفتقدون خاصية التميّز و التفرّد و روح الابتكار .

ثامنا: تأثّرت الصورة الشعرية في شعر الاغتراب الجزائري عند الشعراء المحافظين بالصنعة المفتعلة ؛ حيث أهمل الشاعر عنصر الخيال ممّا جعل التجربة الشعرية عاجزة عن تصوير حالة الاغتراب بعمق ، لكن مع ظهور التيار الوجداني أو الرومانسي ، تجاوز الشعراء الجوانب الشكلية في بناء الصورة الشعرية ، إذ أصبحت فيضا نابعا من وجدان الشاعر ؛ لم يتدخل في خلقها بفكره الواعي ، وتميّزت بالصدق و الحيوية ، والقدرة على نقل مشاعر الاغتراب للقارئ أمّا مرحلة الاستقلال ، فقد عرفت تطوّرا ملحوظا في بناء الصورة الشعرية حيث وظّف الشعراء تقنيات و وسائل فنيّة حديثة (الأسطورة ــ الرمز)؛ الأمر الذي أسهم في تصوير غربتهم بعمق و قوة .

تاسعا: حافظ الشعراء المحافظون على نظام القصيدة العمودية ،ولجئوا إلى معارضة الشعر القديم ؛ إذ وجدوا في ذلك أنسب طريقة للتعبير عن اغترابهم ، في حين رأى شعراء آخرون في الأوزان الخليلية حاجزا يقف أمام التعبير عن انفعالاتهم بحرّية، و عليه، اتّجهوا للتجديد معتمدين على نظام التفعيلة ؛ وفي مرحلة الاستقلال أعلن الشعراء القطيعة التامة مع الشكل العمودي معتمدين الجملة الشعرية ، حيث اعتبروا قصيدة النثر أفضل وسيلة للتعبير عن غربتهم .

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

1ـ الكتب

❖ إبراهيم أنيس ، "موسيقى الشعر العربي "، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،ط 2 ، 1952

❖ إبراهيم خليل ، "مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث" ، دار المسيرة ، الأردن ، ط 2 ،2007

❖ إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات و حامد عبد القادر ، "المعجم الوسيط"،دار العودة، اسطنبول،1989

❖ ابن الآبار ، "الحلّة السّراء "، حقّقه وعلّق حواشيه :حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة و النشر ، د.ب ، ط 1 ، الجزء الأول ، 1963

❖ ابن باجة ،" تدبير المتوحد" ، تحقيق : ماجد فخري ، بيروت ، لبنان ، 1968

❖ ابن خلكان ،" وفيات الأعيان" ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1972 ، الجزء : 05

❖ ابن رجب الحنبلي ، "كشف الكربة في وصف أهل الغربة" ، مطبعة النهضة الأدبية ، د.ب ط 1 ، 1332ه

❖ ابن رحمون ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1980

❖ ابن رشيق أبي العلي الحسن القيرواني ، "العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده" تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط 5 ، 1981

❖ ابن زيدون ، الديوان ، دراسة و تهذيب : عبد الله سندرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1984

❖ ابن فارس ، "مقاييس اللّغة"، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، المجلد الرابع ، 1991

- ابن قتيبة ، الدينوري ،" الشعر و الشعراء" ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار التراث العربي ، ط 3 ، 1977
- ابن قيم الجوزية ،" مدارج السالكين "، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2001
- ابن منظور ، جمال الدين ،" لسان العرب" ، دار صادر بيروت ، ط 2 ، المجلد الأوّل ، 1994
- أبو حيان التوحيدي ، "الإشارات الإلهية" ، تحقيق و تقديم : عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، 1981
- أبو العتاهية ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، 1986
- أبو العلاء المعري ، "لزوم ما لايلزم" ، دار صادر ، بيروت ، 1961
- أبو فراس الحمداني ، الديوان ، شرح : نخلة قلفاط ، مكتبة الشروق ، بيروت ، 1910
- أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985
- أبو القاسم الشابي ، "أغاني الحياة "، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس ، 1970
- أبو النواس ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، د. ت
- إحسان عباس ،" بدر شاكر السياب ،دراسة في حياته و شعره "، دار الثقافة ، بيروت ، ط 4 ، د.ت
- أحلام الزعبي ، "ابو النواس بين العبث و الاغتراب" ، دار العودة ، بيروت ، 1981
- أحلام مستغانمي ، "الكتابة في لحظة عري" ، دار الآداب ، بيروت ، ط 1، 1976
- أحلام مستغانمي ، "على مرفأ الأيام ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972

- أحمد حمدي ،"قائمة المغضوب عليهم" ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيـــــع ، الجزائر 1980
- أحمد حمدي ،" انفجارات "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1980
- أحمد حمدي ،" تحرير مالا يحرر" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985
- أحمد سحنون ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1977
- أحمد فرحات ، "أصوات ثقافية من المغرب العربي" ، الدار العالمية للطباعـــة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1984
- إرنست فيتشر ، "ضرورة الفن "، ترجمة : اســـعد حليـــم ، الهيئة العامـــة ، القاهرة ، 1971
- أسعد رزوق ، "موسوعة علم النفس" ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ،لبنان ،ط 3 ، 1987
- أشرف علي دعدو ، "الغربة في الشعر الأندلسي بعد سقوط الخلافـــة" ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 2002
- الأصبهاني ،أبوالفتح ، "أدب الغرباء"،تحقيق : صلاح الـــدين المنجـــد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1972
- الأصفهاني ، أبو الفرج ،" الأغاني" ، تحقيق: إحســـان عبـــاس و إبراهيـــم السعافي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1972
- اعتدال عثمان ، "إضاءة النص" ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، القـــاهرة ، 1988
- الألباني محمد ناصر الدين ،" ضعيف الجامع" ، مركز نور الإســـلام لأبحـــاث القران و السنة ،الإسكندرية ، مصر ، د.ت ، الجزء الثاني
- الألباني محمد ناصر الدين ، "صحيح الترغيب و الترهيب" ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط 5 ، الجزء الخامس

- امرؤ القيس ، الديوان ، اعتنى به و شرحه : عبد الرحمـــن المصـــطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 2004
- أمطانيوس خليل ،"دراسات في الشعر العربي الحديث ،المكتبـــة العصـــرية" ، بيروت ، ط 1 ، 1968
- أمنة بلعلي ،" تجليات مشروع البعث و الانكسار في الشعر العربي المعاصـــــر" ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995
- أمنة بلعلي ، "أبجدية القراءة النقدية" ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجـــزائر ، 1995
- أنس داود ، "رواد التجديد في الشعر العربي الحديث "، المنشاة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، ليبيا ، ط 2، 1980
- إيليا أبوماضي ، الديوان ، دار العودة ، بيروت ، د.ت
- إيليا الحاوي ، "في النقد الأدبي" ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الجزء الرابع ، ط 1، 1980
- إيليا الحاوي ،" الرومانسية في الشعر الغربي و العربي" ، دار الثقافة ، بيروت، ط 2 ، 1983
- باتريك ملاهي ،" عقدة أوديب في الأسطورة و علم النفس" ، ترجمة : جميل سعيد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1962
- بدر شاكر السياب ، الديوان ، دار العودة ، بيروت ، 1984
- بشار بن برد ، الديوان ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة الوطنيـــة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976
- بشر بن خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، مطبوعات مديريـــة إحياء التراث القديم ، دمشق ، 1960
- البغدادي عبد القادر بن عمر ، "خزانة الأدب و لب لباب العرب" ، تحقيـــق ألبرت يونس كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، ط 2 ، 1968

- بلقاسم محمد خمّار ،" ظلال و أصداء"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيـــع ، الجزائر ، ط 2، 1985
- بلقاسم محمد خمّار ، "إرهاصات سرابية" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط 1 ، 1986
- بلقاسم محمد خمار ،" ربيعي الجريح" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجـــزائر ، ط 1 ، 1970
- بنت الشاطئ عائشة عبـــد الرحمـــن ،" قيـــم جديـــدة للأدب العربي" ، دار المعارف ، مصر ، 1970
- تأبط شرّا ، الديوان ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2003
- تميم بن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، دار الشروق العربي ، بيروت ، 1995
- توبة بن حمير الخفاجي ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998
- توفيق البكري الصديقي ، "أراجيز العرب" ، د.ب ، ط 1 ، 1313 ه
- الجاحظ عمرو بن بحر ،" الحنين إلى الأوطان" ، تصحيح الطاهر الجـــزائري ، مطبعة المنار ، د.ب ،1333ه
- جان لابلانش ، ج.ب بونتاليس ،"معجم مصطلحات التحليـــل النفســـي" ، ترجمة :مصطفى حجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1985
- جان لوسيرف ،"النزعات الصوفية في أدب جبران" ،ترجمة: شعبان بركات ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، د.ت
- جبرا إبراهيم جبرا ،"النار و الجوهر" ، المؤسسة العربية للدراسات و النشـــر ، بيروت، ط 3 ، 1982
- جبران خليل جبران ،"العواصف" ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ، د.ت

- جبران خليل جبران،" البدائع و الطرائف"، المكتبة الثقافية ،بيروت، لبنـــان ، د.ت
- جبران خليل جبران، "المواكب" ، دار نابوليس للنشر ،بيروت ، لبنـــان ، ط 1 ، 2005
- جرير ، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، 1986
- جلال فاروق الشريف ،" الشعر العربي الحديث" ، منشورات اتحـــاد كتـــاب العرب ، دمشق ، 1976
- جميل بن معمر ، الديوان ،دار صادر ، بيروت ، 1982
- جورج غريب ،" دراسة في الشعر و التاريخ" ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1975
- جون بول سارتر ، "الجحيم" ، ترجمة : طارق فودة ، دار الثقافة ، د.ت
- جون بول سارتر، "الوجود و العدم"، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط 1 ، 1966
- جون كرونشانك ،"ألبير كامي و أدب التمرد" ، ترجمة جلال العشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986
- جون ماكوري ،" الوجودية" ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة فـــؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1982
- الجوهري ، الصحاح،المجلد الأول،دار الكتاب العربي، القاهرة،1956
- الحارث بن حلزة ، الديوان ، جمع و تحقيق و شرح :إميل بديع يعقـــوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1991
- حرز الله أبوزيد ،"مواويل العشق و الأحزان"، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب ، الجزائر ، 1984
- حسن فتح الباب ، "رؤية جديدة لشعرنا القديم "،دار الحداثـــة للطباعـــة و التوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 1984

- حمري بحري ،" ماذنب المسمار يا خشبة "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981
- الحموي شهاب الدين ،" معجم البلدان" ،إشراف : فريد الرفاعي ، مطبوعات دار الملايين ، الجزء الخامس ، مصر ، د.ت
- حنا الفاخوري ، "الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، الأدب العربي القديم" ، دار الجيل ،بيروت ، المجلد الأول ، ط 3، د.ت
- خليل إبراهيم ،" ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي "، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، 1989
- خير الله عصار ،" مبادئ علم النفس الاجتماعي "، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984
- ربيعة جلطي ،" تضاريس لوجه غير باريسي"، دار الكرمل ، دمشق ، 1981
- رمضان الصباغ ،" في نقد الشعر العربي المعاصر" ، دراسة جمالية ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ن الإسكندرية ، ط 1،1998
- ريتشارد شاخت ،" الاغتراب "، ترجمة :كامل يوسف حسين ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ،1980
- زامل صالح ، "تحول المثال" ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ، ط 1 ، 2003
- زكريا عبد الرحمن صيام ، "شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته و إسلامه"، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985
- زهير بن أبي سلمى ، الديوان ن شرحه حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2005
- الزوزني أبي عبد الله الحسين ، "شرح المعلقات السبع" ،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت

- زينب الأعوج ،"السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر" ، دار الحداثة ،بيروت ، ط 1، 1985
- زينب الأعوج، "ارفض أن يُدجّن الأطفال "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1983
- س.موريه ،" الشعر العربي الحديث 1800ـــ 1970" ، ترجمة : شفيع السيد مصلوح و سعد مصلوح ، دار غيب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2003
- سالم بيطار ،" اغتراب الإنسان و حريته" ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، 2003
- سعد حسون العنبكي ،" الشعر العربي القديم ،دراسة في تأويلاته الفنية و النفسية" ، دار دجلة ، الأردن ، ط 2007،1
- سميرة سلامي ، "الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري" ، دار الينابيع ، دمشق ، ط 1 ، 2001
- سهير عبد السلام ، "مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز" ، دار المعرفة الجامعية ،الأزايطة ن مصر ، 2003
- سيغموند فرويد ، "قلق الحضارة" ، ترجمة : جورج طرابيشي ،دار الطليعة ،بيروت ، لبنان ،ط 2 ، 1979
- الشافعي ، الديوان ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،ط 3، 2005
- الشنفرى ، الديوان، جمع و تحقيق : إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1994
- شوقي ضيف ،"العصر الجاهلي" ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 8 ،د.ت
- شوقي ضيف، "التطور و التجديد في الشعر الأموي "، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط 6، د.ت

- شوقي ضيف،"تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول "، دار المعـــارف ، القاهرة ،ط 6،د.ت
- شوقي ضيف،" دراسات في الشعر العربي المعاصر" ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، د,ت
- صابر عبد الدايم،" أدب المهجر ،دراسة تحليلية"، دار المعارف، القاهرة،ط 1، 1993
- صلاح عبد الصبور ، الديوان،دار العودة،بيروت،ط 1 ، 1972
- صالح خباشة،"الروابي الحمر"، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،ط 1971،1
- صالح خرفي ،" أطلس المعجزات" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط 2، 1982
- صالح خرفي،"شعراء من الجزائر،الحلقة الأولى"، معهد البحوث و الدراســـات العربية ،د.ب، 1969
- صالح خرفي،" حمّود رمضان" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985
- الطاهر احمد مكي،" امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية" ،حياته و شـــــعره، دار المعرفة ،د.ب،ط 2 ، 1970
- طرفة بن العبد ، الديوان ،اعتنى به،حمدو طماس، دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ط 1 ،2003
- عبد الله الركيبي،"الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، المؤسسة الوطنيـــة للكتاب ،الجزائر ، 1986
- عبد الله الركيبي،"الشعر الديني الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،ط 1، 1981
- عبد الله شريط،" الرماد "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982
- عبد الحفيظ بورديم ،" النص الشعري العربي المعاصر" ، دار البشائر للنشر و الاتصال ، الجزائر،ط 1 ، 2002

- عبد الحميد باشوات ،" زمن الرحيل"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1980
- عبد الحميد بن هدوقة، "الأرواح الشاغرة" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط 3، 1981
- عبد الرحمن بن العقون ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980
- عبد الرحمن بدوي، "رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي"، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط 2، 1962
- عبد الرحمن شكري، الديوان،جمعه و حققه : نقولا يوسف ، مراجعة و تقديم : فاروق شوشة، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، 2000
- عبد السلام الحبيب الجزائري ،" اذكريني يا جزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986
- عبد السلام المسدي ،" قراءات مع المتنبي و الجاحظ و الشابي "، دار سعاد الصُباح ، الكويت ، ط 4 ، 1993
- عبد العالي رزّاقي ،" الحب في درجة الصفر"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1973
- عبد العالي رزّاقي، "أطفال بور سعيد يهاجرون إلى أول ماي " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،ط 2، 1983
- عبد العزيز شتا السيد علي ،" الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية "، مكتبة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية ، 1977
- عبد العزيز المقالح ، "أصوات من الزمن الجديد"، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1980
- عبد العزيز المقالح، "الشعر بين الرؤيا و التشكيل" ، دار طلاس للدراسات و النشر و الترجمة، دمشق ، 1985

- عبد العزيز نبوي ، "دراسات في الأدب الجاهلي" ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة، ط 3، 2004
- عبد القادر عبد الحميد زيدان، "الغربة و التمرد في الشعر الجاهلي" ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، د.ت
- عبد القادر القط،" في الشعر الإسلامي و الأموي" ، دار النهضة العربية،بيروت، 1987
- عبد القاهر الجرجاني ،" أسرار البلاغة"، تحقيق :محمد الفضالي، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط 1 ، 1998
- عروة بن الورد ، الديوان ، تحقيق : أسماء أبوبكر ، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998
- عزيزة مريدن ، "الشعر القومي في المهجر الجنوبي" ، دار الفكر ، د.ب ،ط 2، 1973
- عزيز السيد جاسم، "الاغتراب في حياة و شعر الشريف الرضي"، دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، ،د.ت
- عزيز السيد جاسم،"تأملات في الحضارة و الاغتراب" ، دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، ط 1، 1987
- علي إبراهيم أبوزيد ، "امرؤ القيس ،أمير الشعر العربي في الجاهلية" ، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1، 1993
- علي إبراهيم أبوزيد، "طرفة بن العبد شاعر البحرين في الجاهلية، دراسة أدبية لشعره و شرح ديوانه"، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، بيروت ،ط 1، 1983
- عمار بو الدهان ،"معزوفة الظمأ" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1982
- عمر أزراج،" وحرسني الظّل"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976

- عمر بوقرورة،" الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، 1945ـــ 1964"، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د.ت
- عمر الدسوقي ، "دراسات أدبية"، دار النهضة، القاهرة،مصر، ط 2،د.ت
- عمر الدقاق ،" ملامح الشعر المهجري"، منشورات جامعة حلب،سوريا، 1978
- عمر رماني،" المدينة في الشعر الجزائري الحـــديث، 1925ـــ 1962"،المؤسســـة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2002
- عبيد بن الأبرص، الديوان، شرح:أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت،ط 1،1 994
- عنترة بن شدّاد، الديوان،مطبعة الآداب، بيروت، ط 4 ، ،1893
- فاطمة حميد السويدي ، "الاغتراب في الشعر الأموي"، مكتبة مدبولي،القـــاهرة، ط 1، 1997
- فتحي أحمد عامر، "في مرآة الشعر الجاهلي "، دار المعارف، الإسكندرية ،د.ت
- فريدة غيوة حيرش ،" من الوجود الزائف إلى الوجود الأصـــيل"، مطبوعـــات جامعة منتوري ، قسنطينة ن الجزائر، د.ت
- قادة عقاق، "دلالة المكان في الشـــعر العربي" ، منشـــورات اتحـــاد الكتـــاب العرب،دمشق،2001
- القتال الكلابي ، الديوان ،تحقيق: إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت، 1961
- القروي،رشيد سليم الخوري، الديوان،الجمهورية العربية الليبية، د.ت
- قيس هادي احمد،"الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيوز"، المؤسسة العربيـــــة للدراسات و النشر، بيروت،ط 1، 1980
- قيس بن ذريح، الديوان، اعتنى به و شرحه،عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفـــة، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 2006
- قيس بن الملوح، الديوان ، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة و تعليق، يسري عبـــــد الغني،دار الكتب العلمية،بيروت،ط 1، 1999

- كاميليا عبد الفتاح ، "الشعر العربي القديم"،دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية، 2008
- كاميليا عبد الفتاح،"إشكاليات الوجود الإنساني"، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية، 2008
- كمال أبو ديب ،" الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي لدراسة الشعر الجاهلي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ط 1، 1986
- كمال الدسوقي ،" ذخيرة علوم النفس"، المجلد الأول، الدار الدولية للنشر و التوزيع،القاهرة، 1988
- لبيد بن ربيعة ، الديوان، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت، لبنان،ط 1 ،2004
- مالك بن الريب، ديوانه و حياته و شعره، تحقيق : نوري حمود القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد 15، الجزء 1،بغداد ،
- مالك حدّاد ، "الشقاء في خطر"، ترجمة، ملك أبيض العيسى،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت، ط 1979،2
- المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1983
- مجدي احمد محمد ، "الاغتراب عن الذات و المجتمع و علاقته بسمات الشخصية"،الإسكندرية،2001
- محمد الأخضر السائحي ، "الكهوف المضيئة"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
- محمد الأخضر السائحي ،" همسات و صرخات "، دار المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر ، ط 1، 1965
- محمد حسين الأعرجي ، "مقالات في الشعر العربي المعاصر"، مطبعة الكتاب العربي ،دمشق، 1985

- محمد زتّيلي،" فصول في الحب و التحول"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت
- محمد زكي العشماوي، "فلسفة الجمال في الفكر المعاصر" ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1980
- محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط 3، 1980
- محمد غنيمي هلال ،" الرومانسية"، دار العودة، بيروت، 1973
- محمد غنيمي هلال،"قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث" ، دار النهضة العربية، بيروت، 1979
- محمد مندور ، "في الميزان الجديد"،مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط 3، د.ت
- محمد ناصر،" الشعر الجزائري الحديث،(1925ـ 1975)"،دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ط 1، 1985
- محمد ناصر،"مفدي زكريا ، شاعر نضال الثورة"، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1984
- محمد ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس،بيروت، 1981
- محمد الهادي الزاهري، "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، المطبعة التونسية، تونس، 1926
- محمود جعفر راضي،" الاغتراب في الشعر العراقي الحديث "، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق، 1994
- محمود حامد شوكت و رجاء عيد ،" مقومات الشعر العربي الحديث و المعاصر"، دار الفكر العربي ، د.ب، د.ت
- مديحة عامر ،" قيم فنية و جمالية في شعر صلاح عبد الصبور" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1948
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، "الصحيح "، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، الجزء الأول ، د.ت

- مصطفى الغماري ،" أسرار الغربة "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط 2 ، 1982
- مصطفى الغماري ،"نقش على ذاكرة الزمن" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر،1978
- مفدي زكريا، "اللهب المقدس" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1983
- مفدي زكريا،"من وحي الأطلس" ، مطبعة الأنباء ، الرباط، 1976
- مفيد قميحة، "الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر"، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ،1987
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني،"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء 3، 1988
- ميخائيل نعيمة، "همس الجفون" ، المجموعة الكاملة ، دار العلم للملايين،بيروت، ط 6،الجزء الرابع، 1999
- النابغة الذبياني ، الديوان، شرح حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت،لبنان،ط 2 ، 2005
- نادرة جميل السراج،"شعراء الرابطة القلمية"، دراسات في شعر المهجر، دار المعارف،مصر، 1964
- نادرة جميل السراج، "نسيب عريضة"، دار المعارف ، القاهرة، 1970
- ناصر بوحجام،" أثر القران في الشعر الجزائري الحديث 1925ـ 1976" ،المطبعة العربية الجزائرية ، 1992،
- وفيق خنسة ،" دراسات في الشعر السوري الحديث"، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1981،
- الوناس شعباني ،" تطور الشعر الجزائري الحديث منذ سنة 1945حتى سنة 1980"،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988

- وهبة أحمد رومية،" شعرنا القديم و النقد الجديد"، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1996
- وهيب طنوس،" الوطن في الشعر العربي" ، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1979
- يسري محمد سلامة ، "عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان"، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،1944
- يوسف خليف، "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط 3،د.ت
- يوسف نوفل، "ديوان الشعر في الأدب العربي الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ب ، ط 1، 1986

.

2 - **المخطوطات** :

-1 **الرسائل الجامعية** :

- إبراهيم بوشريحة ، الملامح النفسية في شعر المتنبي (رؤية الذات نموذجا) رسالة ماجستير، جامعة تلمسان ، 2002-2003
- بنعلي قريش ، الاغتراب في الشعر العربي الحديث (1920 – 1945) ، رسالة دكتوراه ، جامعة بلعباس ، 2006-2007
- شهيناز بسمة بن زرقة ، المكان في القصيدة الجاهلية ، دراسة لموضوع العراء ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، 2000 – 2001.
- عبد الرحمن قيوش زايد ، القضايا الاجتماعية في أدب جبران خليل جبران ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 199ه.
- عبد القادر شريف بموسى ، الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة ، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان ، 2004 – 2005.

❖ محمد سعيدي ، ملامح الرفض في شعر مصطفى الغماري ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، 2001 – 2000.

.-2 **المجلات** :

❖ مجلة الأثر ، العدد :04 ، ماي ، جامعة ورقلة ، الجزائر،2005 ،
❖ مجلة آمال ، الشعر الجزائري المعاصر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجـــــزائر، 1982
❖ مجلة البصائر، العدد :5،سبتمبر، 1948
❖ مجلة دراسات جزائرية، العدد:03، مارس،جامعة وهران، د.ت،
❖ مجلة الرؤيا ، العدد: 04، السنة الثانية ، الجزائر ، 1983
❖ مجلة فصول ، المجلد 17 ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، مصـــر ، 1998.
❖ مجلة فصول ، المجلد 12 ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب ، مصـــر ، 1999.
❖ مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، مصـــر ، 1983.

.

❖ مجلة عالم الفكر ، مجلد 15 ، العدد الثاني ، 1984 ، الكويت.
❖ مجلة عالم الفكر ، (عدد خاص حول الاغتراب) ، المجلد 10 ، العدد الأول ، 1979 ، الكويت.
❖ عالم الفكر ، المجلد 26 ، العدد الأول ، 1997 ، الكويت.
❖ عالم الفكر ، المجلد 27 ، العدد الثاني ، 1998 ، الكويت.
❖ مجلة فصول ، المجلد 17 ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، مصـــر ، 1998.

- مجلة فصول ، المجلد 12 ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1999.
- مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1983
- مجلة المعرفة السورية،العدد:04،السنة 02،حزيران، 1963
- مجلة الموقف الأدبي ، العدد:352، سبتمبر،اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، العدد السابع ، جوان ، 2005 جامعة تلمسان ، الجزائر.

3ـ **المراجع الأجنبية** :

- Albert Camus , l'étranger , enag édition , Alger , 2001.
- Erich From , société Aliénée et société saine – du capit – alisme au socialisme humaniste , traduit par : Janime Laude , le courier du livre , Paris , 1956.
- Jean Paul Sartre , la naussé ,édition Gallimard ,Paris,1938
- Karen Horney , la personnalité névrotique de notre temps, traduit par : Jean Paris , l'arche éditeur , 1953.

2/ **Dictionnaires** :

- Dictionnaire quillet de la langue française – tome 1 ; librairie artistide quillet , Paris , 1975.
- Grand Larousse de la langue française – Volume 1 – librairie Larousse , Paris , 1971.
- Dictionnaire de psychologie , édition Bordas , Paris , 1980.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصّفحة**

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأوّل : ماهية الاغتراب.....01

أوّلا : الاغتراب لغة.....01

ا - في اللّغة العربية.....01

ب - في اللّغات الأجنبية.....03

ثانيا : الاغتراب اصطلاحا.....06

ا - في الفكر الغربي.....06

ب - في الفكر العربي.....15

ج - في علمي النفس و الاجتماع 21

1- في علم النفس.....22

2 - في علم الاجتماع.....25

د - علاقته بالأدب.....27

1 - الرواية.....28

2 - الشعر.....32

الفصل **الثاني : تجليات الاغتراب في الشعر العربي القديم والشعر العربي الحديث.....36**

أوّلا : في الشعر العربي القديم.....36

1 - في الشعر الجاهلي.....36

1 - 1 - الاغتراب المكاني.....36

1 - 1 - 1 - مشاعر الاغتراب في المقدمة الطّلليّة.....36

1 - 1 - 2 - الاغتراب الوجودي.....41

1 - 2 - الاغتراب النفسي.....44

الشعراء الصعاليك.....47

2 - في الشعر الإسلامي.....52

3 - في الشعر الأموي.....57

3 - 1 - الاغتراب المكاني 57

3 - 1 - 1 - الظروف الاجتماعية.....57

3 - 1 - 2 - الظروف الاقتصادية.....58
3 - 2 - الاغتراب الاقتصادي.....59
3 - 3 - الاغتراب العاطفي.....61
4 - في الشعر العباسي.....65
ثانيّا : في الشعر العربي الحديث.....73
1 - الاغتراب في الشعر المهجري.....72
- جبران خليل جبران و التمرد.....77
- ميخائيل نعيمة و الغربة الاجتماعية.....82
- ايليا ابو ماضي و الاغتراب الوجودي.....83
2 - الاغتراب في شعر جماعتي الديوان و ابولو.....85
- عبد الرحمن شكري.....85
- إبراهيم ناجي.....87
- أبو القاسم الشابّي 88
3 - الاغتراب في الشعرالحر.....92
- بدر شاكر السيّاب.....93
- صلاح عبد الصبور.....99
الفصل الثالث : تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث :
القضايا الموضوعية 107
أوّلا : الاغتراب السياسي.....107
ثانيّا : الاغتراب الفكري و النفسي.....141
ثالثا : الاغتراب المكاني 162
الفصل الرابع : تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث :
القضايا الفنية.....171
أولا : المعجم الشعري.....176
ثانيّا : الصورة الشعرية.....194
ثالثا : الموسيقى الشعرية.....220
الخاتمة.....233
قائمة المصادر والمراجع.....236
فهرس الموضوعات.....255

Résumé :

Cette étude est une essaie veillée à lever le voile sur l'aliénation qui est une caractère distinguant la vie humaine dont elle se reflet dans la littérature en générale et spécialement dans la poésie.

Dans le premier chapitre , j'ai poursuit le développement de cette phénomène dans des différents sciences et cultures à travers le temps , ensuite j'ai guetté son apparition dans l'ancienne et la moderne poésie arabe , finalement j'ai réservé le troisième chapitre pour la révélation de cet phénomène dans la poésie Algérienne moderne. Dont j' ai cité les types d'aliénation , finalement, j'ai etudié les caractéristiques artistiques de cette poésie dans le dernier chapitre

Mots clés : aliénation , apparition , réflexion , la poésie algérienne moderne

Abstract :

This study deals with alienation as it is a noticeable feature of the human life , which was reflected in literature generally and particularly in poetry.

In the first chapter I pursuit the development of this phenomena in different sciences and cultures than , in the second one , I interested with it appearance in the old and modern Arabic poetry . also I specialized the third chapter to reveal the alienation phenomena in the modern Algerian poetry. Through the main sorts of alienation , finally I studied the artistic characteristic

Key word :

Alienation – appearance – reflected – to reveal – modern Algerian poetry

الملخص

جاءت هذه الدراسة محاولة لإماطة اللثام عن ظاهرة الاغتراب، على اعتبار أنّه سمة بارزة طبعـــت الحياة الإنسانية ،وانعكست على الأدب بصفة عامة؛ والشعر بصفة خاصة، حيث تتبعت في الفصل الأول التطور الذي مرت به الظاهرة عبر التاريخ في مختلف العلوم والثقافات ،وفي الفصل الثاني رصدت تجليات هذا الاغتراب في الشعر العربي قديمه وحديثه،أما الفصل الثالث فخصصته للكشف عن تجلياته في الشـــعر الجزائري الحديث.من خلال القضايا الموضوعية ، وأخيرا تناولت في الفصل الرابع الخصائص الفنية لشعر الاغتراب من خلال المعجم الشعري و الصورة الشعرية و الموسيقا الشعرية

الكلمات المفتاحية :

..الاغتراب – التجلي – انعكست – الكشف – الشعر الجزائري الحديث